غصون متأرجحة

هبة ندا

رواية

رواية

غصون متأرجحة

بقلم

هبة ندا

تصميم غلاف

مروة أبو مسلم

تصميم داخلي وتعبئة:

هبة ندا

إهداء

إلى توأمتيّ قلبي اللتين قالتا لي يوما أُكتبِي قبل أن يخط قلمي حرفًا

إلى صديقاتي اللائي دفعنَني دفعًا لأكتب وقت أن حان السرد

إلى أولئك اللاتي آمنّ بقلمي قبل أن أؤمن أنا

إلى كل من قالت لي أنت تستطيعين حين قلت لا أقدر

أُهدي لكن هذا العمل

المقدمة

عشق

هو ذاك الذي ينغرس كنبتة بقلبك دونما تدرك فيجتاحك، تصير النبتة وارفة تحتضن كيانك فلا تدري أتربتك الخصبة من أنمتها أم رواها صاحب الغرس .

انكسار

دون إرادتنا تصفعنا الحياة فمنا المستسلم ومنا المقاوم ولا عزاء للضعفاء.

فراق

بعضه بذنبٍ اقترفناه

بعضه بقدرٍ كُتب علينا

وبعضه منحة لا نعلم مرماها

قهر

ضاقت السبل وما سبيل للنجاة

أو هكذا نظن حين نركن للظلم

حب

هو ما نحتاجه لنمنحه،

هو ذاك السحر الذي يضمد جراح،

يسكن آلام

يدفعنا رغما عنا للأمام.

ثورة

من رحم الظلم تولد

وبنبتة حب تروى

وبالإرادة تنمو.

ألم

و ما أقساه حين يصيب نطفة القلب فتعجز عن

مداواته،

جل ما ترجوه أن تشاطره الوجع.

وحدة

رغم صخب الحياة تجتاحنا،

نمل الجمع حولنا ويغرق القلب بعزلته بحثا عن

مؤنسه

أمل

به نحيا ودونه الموت

وما أقساها من حياة دونما أمل

صمود

وخلف كل حكاية قصة صمود لن يدركها إلا

من خاضها.

***

البداية

لكل شيء بداية...

وللبداية دائمًا سحر...

فبداية الحياة ميلاد...

وبداية الرواية فكرة...

بداية النجاح طموح...

وبداية الحب نظرة...

نظرة .. هي تلك التي تخبرك أن هناك شيئًا ما

يخصك في تلك العينين ...

يخصك أنت وفقط

سحر البداية لا تدركه إلا عندما تعترف

بالسقوط في أسر الحب

وهي لا تنسى أبدا أول نظرة...

أول كلمة ...

أول لمسة ...

أول قبلة ...

ولكل أول دائما سحره الخاص

ذلك الشعور الأول عندما وقعت بأسر صاحب العينين العسليتين شاب وسيم قمحي البشرة ذو جسد رياضي

لا تنسى تحديقه بها فالحال لديه لم يكن بأبعد منها عندما رآها لأول مرة بعينيها الخضراوتين ، بشرتها البيضاء الناعمة أنفها الدقيق فمها الصغير بحجابها البسيط و قد شعر أنه لم يرَ في حياته مثالًا حيًا للنعومة و الرقة مثل تلك الجالسة أمامه...

خجلت من تحديقه بها فأخفضت عينيها وتخلصت من أسر عينيه وسألت:

. أقدر أخدم حضرتك بإيه؟!

انتبه وهو يشير لمكتب زميلها المقابل لمكتبها

دون أن تحيد عيناه عنها:

. أشرف ...

تنحنح فأجلى صوته وتخلص من ارتباكه

. أشرف موجود؟

. أيوه، هو بيخلص أوراق فوق و جاي تاني،

اتفضل حضرتك انتظره

فجلس أمام مكتب صديقه وأكمل مهمته في

تفحص تلك الرقيقة وكم ابتهل إلى الله حتى لا

يأتي أشرف الآن ويا ليته لا يأتي أبدًا ويظل هو على جلسته أمامها لكن بالطبع خاب ظنه و أتى صديقه و اصطحبه للخارج

و لم تكن آخر زياراته لأشرف و مكتب أشرف وزميلة أشرف

حتى فاتحها يومًا برغبته في التقدم لها لتتم الخطبة التي لم تطل فما إن ارتبطا حتى شعر كل منهما أنه قد وجد نصفه الآخر و لم يكن هناك بُدًا من التعجيل بالزواج و ها هي بعد عشر سنوات كاملة أثمرت عن طفلين هم كل حياتها لازالت تتذكر

سحر البداية ...

الفصل الأول

مع إشراق شمس كل صباح يدور دولاب الحياة ووسط زحام شوارع القاهرة يسبح كلٌ في فلكه يلهث خلف مبتغاه و ما بين كهل أرهقته السنون

و طفل غاية مراده قالب حلوى من يديّ أمه كان هو يدور في دوامته الخاصة التي اختارها لنفسه و عن طيب خاطر.

أن تكون ربًا لأسرة صغيرة و رب لعمل ينمو بثبات و أنت لازلت في أواخر عقدك الرابع فهذا يعني أنك شاب ناجح و رجل يعتمد عليه و هو كان كذلك شخصًا نادرًا اسمًا و صفةً

نادر الكيال... المهندس الشاب ذو الثمان و الثلاثون عاما طموح لأبعد الحدود الحياة بالنسبة له تعني النجاح وفقط ونتيجة لطموحه وبعد تأسيس حياته الأسرية مع من اختارها قلبه كان قد اتخذ قراره بترك عمله وإنشاء شركته الخاصة مخاطرة ... نعم هي كذلك لكن كيف له الوصول للقمة دونها

و هو اعتمد على مدخراته القليلة، خبرته الكبيرة و إتقانه اللا محدود لعمله وقبلهم زوجة محبة مؤمنة بطموحه داعمة له في كل خطوة

و هكذا لم يدخر جهدًا وأفنى وقته فعليا في عمله لإنجاح شركته وزيادة رأس ماله حتى حولها من شركة صغيرة إلى متوسطة في بضع سنوات بل وتناطح الشركات العملاقة ذات الباع في سوق الأعمال

ولكن هل للطموح حدود ؟!

بالطبع ليس مع نادر الكيال فهو يسعى لتحويل شركته إلى واحدة من كبرى شركات توريد

المعدات الهندسية في مصر وربما في الشرق الأوسط

و هكذا كانت حياته تدور في فلك شركته و أسرته الصغيرة.

اتجه إلى منزله سريعًا يبدل ملابسه فهو لديه مقابلة عمل هامة يجب عليه اللحاق بها و ما إن فتح باب بيته حتى اندفع ملاكه الصغير لأحضانه متعلقًا برقبته طالبًا للعبته الجديدة التي وعده بها والده

. نوري أنا وعدتك إني أجيبها يبقى اعتبرها عندك بس ما تزعلش ماما

قالها و هو يطبع قبلة على وجنة صغيره و ينزله أرضًا ثم اتجه لحجرة طفلته الكبرى

نادين صغيرته ذات التسعة أعوام النسخة المصغرة عن والدتها و الوحيدة القادرة على منافستها في قلب نادر ورثت عنه قمحيته فقط لتمتلك عيني أمها الخضراوتين ونعومة خصلاتها البنية فسكنت قلبه أميرة متوجة جوار ملكته

. فين ماما؟؟

سألها نادر و هو ينحني يملس خصلاتها بكفه و يطبع قبلة على جبينها و بكفه الأخرى يمنحها

نوعها المفضل من الشيكولا التي التقطتها الصغيرة من يد والدها بسعادة

. بتعيط في أوضتها!

كانت إجابتها مع رفعها لكتفيها دليلًا على عدم الفهم وهو ما أزعج نادر، اندفع إلى غرفتهما فوجدها جالسة بركنها المفضل حيث أريكتها المريحة أسفل النافذة وأشعة الشمس المتسللة من الزجاج تعكس بريق اللؤلؤ في عينيها تضم قبضتيها فوق حاسوبها اللوحي المستريح على ساقيها وقطرات الدموع تشق طريقها ببطء على وجنتيها، انخلع قلبه لمرآها

والتهم المسافة الفاصلة بينهما بخطوات سريعة و لهفته بادية بسؤاله:

. نسمة مالك، بتعيطي ليه؟

رفعت نظرها إليه وأجابته من بين دموعها

. حمزة مات!!!

ثم كزت على أسنانها غيظا وهي تضيف:

. حذيفة روحه اتحبست هناك على الجبل!!

صدمه ما تهذي به فهو لم يفهم شيئًا مما قيل، اقترب أكثر بينما يميل عليها قليلًا مستندًا بكفه إلى ظهر مقعدها

. مين دول ، نعرفهم ؟!

كان لابد من سؤالها لتأتيه الإجابة الأغرب على الإطلاق

- دول ولاد عبد العزيز ...

ثم تذكرت الأخرى وأكملت وصلة بكائها لتزيد من حيرته:

. ليلى ملهاش ذنب في كل ده

شردت بنظرها قليلا في الفراغ وأكملت كأنها تهمس لنفسها:

. بس غبية و مدلوقة

ثم مالت برأسها قليلا مكملة بغيظ لا يعلم سببه وكأنها تُقرع شخصًا وهميًا:

. في واحدة تروح لشاب بيته ؟!

ظل يطالعها بينما تتبدل من البكاء للشرود متتبعًا همساتها الغير مفهومة بالنسبة له، هل تنوي أن تذهب عقله أم ماذا

- و يطلع مين عبد العزيز ده كمان ؟!!

سأل بتوجس وقد شعر أنه على وشك الفهم لكنه كان يخبر نفسه بأنه بالتأكيد مخطئ لابد وأنه مخطئ قبل أن تؤكد شكه وتجيب ببراءة طفولية:

. عبد العزيز بطل أنوار و جيران القمر

هل يجوز قتلها الآن؟؟

استقام بظهره وزفر محاولًا تملك غيظه

. إيه !!... بتعيطي علشان بطل في رواية؟!!

. ده مش أي بطل....

ثم أكملت وعيناها تهيم عشقًا بالمجهول:

- ده زيزو...حاجة كده وهم

- زيزو....!!

استنكار.. غيرة.. جنون.. لا يعلم لكنه قد اكتفى من هذا، هل تعاني زوجته من مراهقة متأخرة

زفر بغيظ مشيرًا لها بسبابته ويؤكد على كل كلمة ينطق بها ببطء:

. أول وآخر مرة تتكلمي عن حد بالاسلوب ده

. مين ده اللي وهم

رفع صوته بجملته الأخيرة وأولاها ظهره

فابتسمت من بين دموعها و دارت حوله تستند بكفيها إلى صدره وتقول بدلالها المعهود:

. أنتَ بتغير من خيال؟

ارتخت قسمات وجهه ناظرًا إلى عينيها وطبع قبلة على جبينها بينما يزيحها عن طريقه مربتًا على كتفها:

. طيب حاسبي بقى علشان أبطالك دول أخروني

قالها وهو يبدل ملابسه على عجل لتسأل

. مستعجل ليه ، و رايح فين ؟

هو يكره هذا السؤال وهي تعلم لكنها تشاكسه كعادتها

فنالت نظرة عتاب بطرف العين ونبرة مؤنبة بينما يكمل إحكام أزار قميصه:

. أنتِ عارفة إني بكره السؤال ده

تخصرت و أجابته مبتسمة بدلال:

. وأنتَ عارف إني لازم أقوم بدور الزوجة المصرية الأصيلة واسأل

ابتسم بعذوبه وأخبرتها نظرته أنه قد فهم مشاكستها ولم تنل الإجابة وما كانت تبحث عنها فهي تعلم أنه سيخبرها لاحقًا دون سؤال، اتجه خارجًا من المنزل وهمس لها قبل مغادرته:

. بكرة ..هنسيب الولاد عند أمي ونقضيه مع بعض

ثم غمز لها بعبث واختطف قبلة من وجنتها وانصرف.

***

الصمت،

ربما يكون علامة الألم

العجز،

أو قلة الحيلة

و هي أنثى اتخذت الصمت درعًا واقيًا

اعتادته حد الإدمان

احترفته للهرب من كل ما يواجهها.

أن تحيا أنثى منذ نعومة أظافرها في منزل مليء بالصراع؛ أب متسلط فظ بخيل بالمال و المشاعر لم تحظَ يومًا بحنانه واحتوائه وكم تمنت أن يأخذها بأحضانه مثلما كانت تسمع من صديقاتها وأم ضعيفة كسيرة الجناح بلا عمل و لا أهل مضطرة لتحمل غلظة زوجها وتعنيفه بل وفي أكثر الأحيان اعتداءاته البدنية عليها.

فإما أن تصبح أنثى قوية رافضة لما حولها أو تتحول لنسخة من تلك الخانعة

وهي لم تتقن يومًا دور القوية فتحولت لأخرى مشوهة تبحث عن الخلاص من جحيمها في أقرب فرصة

والفرصة تعني زواج والزوج كان فتى الأحلام بمواصفات قياسية لا يمكن رفضها

شاب جامعي من أسرة مرموقة، والده يمتلك شركته الخاصة وبالطبع يعمل معه فلا وريث غيره مع أم وأخت وحيدة فمن تلك التي تملك الرفض ليتم الزواج في غضون شهر

فالعريس جاهز تمامًا وخير البر عاجله؛

كان رأي والدها وما اتفق عليه مع خاطبها

فمن تملك حق التأجيل ودعاوى التقرب من زوج المستقبل من يلقي لها بالًا

لتصطدم بواقعها بعد انتهاء إجازة شهر العسل فزوجها لم يكن سوى نسخه عن والدها سليط اللسان غليظ القلب جارح الكلمات دومًا و مع أول عراك كانت أول صفعة وشكوى للأم و كانت النصيحة:

. لا أنتِ أول ولا آخر واحدة جوزها يضربها

ومع ازدياد الضغط وعندما فكرت بالانفصال كان الرد:

. عيشي وحافظي على بيتك معندناش حاجه اسمها طلاق

وهي من كانت تظن أن أمها لن ترضى لها بمثل الهوان الذي عاشت فيه اكتشفت أنها مخطئة

فمرت السنوات وازدادت الاعتداءات ومع تأخر الحمل الغير مبرر من الأطباء أصبح رد الأم:

. أحمدي ربنا إنه مستحمل عدم الخلفة لحد دلوقت واحد غيره كان اتجوز عليكِ ولا طلقك

و بعد ما يقرب من ثمانية أعوام يشاء الله أن يهديها سببًا للحياة؛ جنينًا لم تصدق وجوده

عندما أبصرت الخطين الورديين بذاك المستطيل الأبيض وخرت لله ساجدة تلهث بالحمد و الشكر أن منّ الله عليها أخيرًا بنعمة الأمومة والأمل الذي راودها بتحسن معاملة زوجها لها ربما كان غضبه بسبب تأخر الإنجاب

ربما..

منذ متى تخضع أخلاق الإنسان لربما..

فقد خاب ظنها ولم يتغير شيء؛ ظل زوجها على سلاطة لسانه وغلظته وإن كان رحمها من اعتداءاته البدنية و كانت ممتنة لطفلها بسبب ذلك ومع عدم جدوى الشكوى لأمها آثرت

الصمت وأصبحت مكالماتها شبه اليومية لصديقتها ريم هي سلواها الوحيدة

. أنا مش عارفه يا هند أنتِ مستحملة العيشة معاه إزاي

- الكلام ده لو كان ينفع زمان فمبقاش ينفع دلوقت، خلاص هيبقى فيه طفل ويمكن لما يشوف ابنه قلبه يحن ويتغير

أتاها صوت باب بيتها يُفتح فعاجلت صديقتها:

- معلش يا ريم مضطرة أقفل دلوقت حسام شكله وصل

اغلقت الهاتف سريعا دون انتظار رد صديقتها ليأتيها صوته زاعقًا

. أنتِ يا هانم؟

نهضت متوجهة صوبه وهو يكمل فور ظهورها بمحيط نظره:

. حضريلي البدلة الكحلي بسرعة عندي اجتماع مهم

هزت رأسها موافقة دون رد وأولته ظهرها عازمةً على تنفيذ أمره ليتبع:

. وصاحبتك اللي اسمها ريم دي آخر مره تكلميها مفهوم

ذهلت عيناها وتجمدت مكانها لا تقوى على الالتفات لمواجهته، هل سمعها ؟؟

لا تقوى على السؤال خائفة لا بل مرتعدة أمامه فأكمل بغضب:

. بقى أنا يمكن لما أشوف ابني أتغير !!

أقترب منها وعيناه ترسل شرارات غضبه:

. طيب أعملي حسابك أني مش هتغير و شوفي بقى هتعملي ايه أنتِ هنا خدامة وبس، أكتر من كده مفيش، كل مهمتك تشوفي طلباتي علشان أرضى عنك بدل ما أرميكِ لأهلك اللي ما صدقوا خلصوا منك

أنهى حديثه الغاضب وهو يبدل ملابسه و ينصرف

و هي رغم دموعها وجرح كرامتها الذي اعتادته لا تقوى على النطق فقط هزة رأس موافقة

وحسرة على حياة كانت تتمناها لكن يبدو أن لقدرها رأيًا آخر

وأخيرًا مع صفعه للباب سمحت لدموعها بشق طريقها الذي حفظته على وجنتيها

تربت على بطنها بحنان كأنها تهدهد طفلها الذي لم يرَ النور بعد

تعتذر عن قدره أن يولد لأم ضعيفة لم تكن تتمناها له أب قاسٍ أساءت اختياره أو تحديدًا هي استسلمت بمنتهى البلاهة للخيار المفروض عليها

***

الطموح..

حق مشروع لكل إنسان في الحياة وبالنسبة لنادر الكيال هو الحياة.

جالس بمكتبه منغمس بالكثير من الملفات الهامة لا يدري لمَ يرغب في مراجعة كافة أعمال شركته في السنوات الأخيرة بنفسه، لديه شعور قوي

بعدم الراحة ولا يعلم مصدره تحديدًا لكنه يريد أن يكون على دراية بكل صغيرة وكبيرة يراجع كل شيء علّه يجد خطأً ما كان غافلًا عنه، يكاد صداع رأسه يفتك به لكنه لا يرغب بالتوقف، رفع سماعة هاتفه الداخلي مخاطبًا سكرتيرته:

. أروى ابعتيلي مهندس محمود حالًا

. حاضر يا باشمهندس نادر

طرقات خافتة على باب مكتبه فأذن للطارق بالدخول:

. خير يا باشمهندس حضرتك طلبتني؟

كان سؤال محمود لنادر الذى أشار له بالجلوس قبل أن يبدأ كلامه:

. أيوه يا محمود أنا عايزك تسيب كل الشغل اللي في ايدك ، وزعه على زمايلك وتركز في مناقصة شركة الحديد والصلب مش عايز أي غلطة

نهض عن مقعده وأولاه ظهره يطالع الطريق المزدحم عبر زجاج النافذة قبل أن يضيف بتقرير:

. المناقصة دي متوقف عليها حاجات كتير و شركات كبيرة عنيها عليها

أومأ محمود برأسه متفهما:

. متقلقش يا باشمهندس إن شاء الله المناقصة بتاعتنا

التف مرة أخرى يواجهه وتقدم للأمام يستند إلى حافة مكتبه بكفه ويشير بسبابة للآخر مؤكدًا:

. ليك مكافأة كبيره يا محمود لو ده حصل ولما تخلصها تجيبها لي هراجعها بنفسي ومش محتاج أقولك إن مفيش مخلوق غيرك يعرف حرف من المكتوب فيها

. تمام يا باشمهندس

قالها محمود وهو ينصرف لتنفيذ طلب رئيسه على وجه السرعة تاركًا الآخر غارقًا بأفكاره.

***

في مجتمعنا لايكفِي أن تكون الأنثى مهذبة و ذات خلق

لا يكفِي أن تكون ناجحة في عملها

لا يكفِي أن تصل لأعلى المراتب العلمية بأحد أرقى الكليات

كل هذا لا يكفِي لتُعامل كأنسان كامل

طالما أن بنصرها الأيسر لم يُحط بحلقة أحدهم الذهبية

فهي دومًا في نظر الجميع أنثى ناقصة

لا يهم إن كان أحدهم هذا غير كفء لنيلها

لا يهم إن كانت لا ترى نفسها زوجة له

لا يهم حتى إن كان طامعًا فيها

كل هذا لا يهم

المهم أن تحظى بلقب زوجة ليعلن الجميع اكتمال أنوثتها.

أتاها صوت أمها من خلف باب غرفتها المغلق يطلب الإذن بالدخول و هو ما منحته لها على الفور،

جلست السيدة رقية باستحياء على حافة السرير المقابل لمكتب ابنتها

رفعت ريم أنظارها عن حاسوبها الذي كانت تنهي عليه بعض الأعمال المتعلقة بعملها

جلسة أمها المتوجسة أمامها أخبرتها أنها ربما ستسمع ما لا يعجبها كالعادة

انتظرت قليلا لكن التردد بدى واضحًا على والدتها لتبادر بسؤالها:

. خير يا ست الكل شكلك عايزة تقولي حاجة؟

نفضت رقية توترها وأخرجت ما في نفسها ولهجتها يشوبها بعض العنف:

. خالتك شكرية جيبالك عريس وهييجي يقابلك بكره

انتفضت ريم واقفة بعنف

. هييجى يقابلني من غير ما تاخدوا رأيي!!

اعتلى وجه الأم علامات الضجر من دلال ابنتها:

. الراجل نازل إجازة من شغله أسبوعين و مستعجل عايز يلحق يكتب قبل ما يسافر

- يكتب!!!!

كانت زعقة ريم المستنكرة،

حاولت أمها تخفيف حدة المفاجأة فهي تعلم أن موافقة ابنتها تقترب من المستحيل لكنها لن تكُف عن محاولاتها لتزويجها والاطمئنان عليها كما تتمنى،

اتجهت لريم تربت على كتفها بحنان وتجلسها على مقعدها مرة أخرى:

. أقصد يعني لو حصل نصيب ووافقتي هيكون عايز يكتب الكتاب علشان يخلصلك ورق السفر

رفعت ريم نظرها لأمها باستفهام لا يخلو من عتاب:

- سفر !!!

. العريس شغال محاسب في الإمارات ولو حصل نصيب أكيد هتسافري معاه

يبدو أن أمها لن تتوقف عن إدهاشها،

طالعت الفراغ أمامها تثَّبت نظرها على نقطة وهمية وتقرر:

. ده أنتوا متفقين على كل حاجة بقى وأنا آخر من يعلم

قالتها ريم بصوت متألم وضحكة ساخرة أقرب للبكاء قبل أن يلين صوت أمها:

. ولا متفقين ولا حاجة هو قال كل ظروفه لخالتك وهي قالتلي

- و إيه بقى كل ظروفه دي؟

كان سؤال ريم وهي تكاد تجزم أن بقية الحديث لن يروق لها فأجابت أمها بتردد:

. مُطلق و ولاده عايشين في مصر مع أمهم

كادت أن تتميز غيظًا لكنها حثت أمها على مواصلة الحديث وسألتها بتحدٍ:

.كملي يا ماما عنده كام سنه؟

تراجعت رقية للخلف بارتباك واضح تخفي وجهها عن ابنتها بينما تلقي بآخر ما بجعبتها دفعة واحدة:

. 52 بس خالتك بتقول ميبانش عليه سنه

فغرت ريم فاهها صدمة قبل أن تهمس:

- ده أكبر مني ب 18 سنه

تكاد لا تصدق أن رغبة أمها بتزويجها تدفعها للتنازل عن الحد الأدنى من التكافؤ المطلوب،

ربتت أمها مرة أخرى على كتفها منهية للحديث:

. قابليه بكرة ومفيش حاجة هتحصل بدون موافقتك

وانصرفت وتركتها لأفكارها وما تتجرعه من ألم

لا تدري ما يتوجب عليها فعله حتى تستطيع عيش حياتها كما اختارتها

هل يجب عليها أن تحظى بلقب زوجة حتى ولو كانت تعيسة لمجرد أن هذه رغبة كل من حولها

وماذا عن رغبتها هي، ألا قيمة لها ؟

ألا يكفيهم ما وصلت له من منصب كدكتورة في الاقتصاد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية

ألا يرون ما تحظى به من مكانة بين زملائها و حب طلابها الذي يحاوطها

كيف لا يكفيهم كل هذا وتظل بنظر الجميع مجرد أنثى مضى بها قطار العمر فعليها التنازل و الرضى بالموجود فلم تعد تملك رفاهية الاختيار كفتاة صغيرة.

***

ما أجمل أن تجد امراة

تتلاشى فيك و تسكنها كطيور النهر

و تراها ترقص فوق الموج

كأغنية عانقها البحر

تخفيك ضياءًا في العينين

و تسمعها كدعاء الفجر

و تخاف عليك من الدنيا

و من الأيام و غدر الدهر

فاروق جويدة

ما بين الطموح المشروع و التنافس الغير شريف يشعر أنه يسير على حد السيف والقلب يتوسله التراجع والعقل يمني بمستقبل أفضل و يدفعه للمضي قُدمًا فيما عزم عليه غير مكترثًا للمخاطر وبين هذا وذاك يظل حائرًا ويلجأ للهدنة علّه يحسم أمره وكما عزم استيقظ واصطحب أسرته فأودع طفليه لدى أمه ثم انطلق بحبيبته إلى تلك الوجهة التي أخفاها عنها و ما إن وصلا إلى ذلك البيت الشاطئي الصغير حتى رأى أثر مفاجأته في روعة ابتسامتها المنبهرة بجمال ما تراه فالبيت الصغير على الطراز

العصري ببساطته وألوانه الهادئة بحديقة صغيرة و مسبح خاص والحديقة محاطة بأشجار تمنحهما خصوصية عروسين في شهر العسل وفي مقدمتها باب صغير يصل المنزل بشاطئ البحر الأحمر:

. الله يا نادر المكان حلو قوي ياريتنا جبنا الولاد معانا

ابتسم فزوجته تمتلك نسختها الخاصة من غباء الزوجة المصرية لكنه يعشقها بكل تفاصيلها، لا تدرك أنه يريدها له وحده يريد هذا اليوم خاصًا بهما فقط لا يدري لمَ في هذا التوقيت بالذات و لكن حدثه قلبه بوجوب تعويضها عن رحلة

شهر العسل التي لم تتم يومًا، أحاط كتفيها بذراعه :

. حبيبتي أنا عايزك النهاردة ليَ لوحدي و بعدين ده يوم واحد بدل شهر العسل اللي أحنا معملناهوش من عشر سنين

أدار جسدها في مواجهته بينما ذراعيه تحاوط خصرها، استند بجبهته إلى جبهتها وعينيه تأسر خاصتها:

. أنا عارف انك استحملتي معايا كتير، من يوم ما اتجوزنا ورغم إننا اتفسحنا كتير مع الولاد بس كنت دايما نفسي أعوضك عن شهر العسل

وضعت رأسها على صدره دافنة وجهها بتجويف عنقه فهو موطنها الأبدي وهمست:

. أنا كل أيامي معاك عسل أنتَ متعرفش انت إيه بالنسبة لي

امتدت كفه تزيح غطاء رأسها أتبعها بإطلاق سراح خصلاتها المحتجزة أسفله يتخللها بأصابعه

. طيب إحنا هنقضيها رغي ولا إيه أنا عايز أنزل البوول مش عايز أضيع دقيقة من اليوم ده

رفعت رأسها تناظر عينيه بحب وهمست بتأنيب:

. بس أنت مقلتليش أحنا رايحين فين فماجبتش المايوه

نظرته العابثة أخبرتها بما يخفيه فبادلته أخرى مستفهمة لم تطل حتى ابتعد عنها قليلًا وأخرج رداء سباحة نسائي مكون من قطعتين باللون الأسود ما إن رأته حتى انفلتت ضحكاتها خجلة سعيدة بينما يوضح:

. هو أحنا جايين هنا علشان تنزلي بالبوركيني ؟

أمسك بقطعتين الرداء كل قطعة بيد وهو يشير لها بارتدائه:

. يالا يا حبيبتي بقولك يوم عسل

اقترب أكثر يضع الثوب بين يديها ويغمز بينما يميل عليها وذراعه تحاوطها في ضمة رجولية و أنفاسه تلفح عنقها عندما همس بأذنها:

. ولا تحبي ألبسهولك أنا

صدحت ضحكتها الرنانة خاطفة الثوب من يديه، هرعت تنفذ طلبه وما هي إلا بضع دقائق حتى انطلقت صافرته المعجبة بما يراه وهو مستلقي على الكرسي الخاص بالمسبح بينما زوجته مقبلة عليه بخطوات خجلة ونظراتها لا تخلوا من عبث يقابل عبث نظراته، استقام يضم خصرها وكفيه تداعب ظهرها العاري بينما نظرته

المتسلية تتفحصها، داعب ذقنه بسبابته وإبهامه

بينما يسأل بخبث:

. قلتيلي زدتي كام كيلو من يوم ما اتجوزنا؟

زمت شفتيها بغيظ لإثارته تلك النقطة فهو

يعلم حرصها الدائم على إنقاص وزنها لتجيب

من بين أسنانها:

. عشرة كيلو

أخفض نظراته يطالع نهديها بوقاحة مرورًا

بخصرها و أردافها ليديرها أمامه متفحصًا كامل

جسدها قبل أن يؤكد وهو يرفع كفه يضم

سبابته وإبهامه باسطًا باقي أصابعه

. بس جايين في أماكنهم مظبوط

رفعت إحدى حاجبيها تبادله التسلية ونظرتها المتلاعبة تتنقل بينه وبين المسبح، اقتربت ببطء و استندت لصدره بكفيها وبدلال همست

. البركة فيك

وبحركة مفاجئة دفعته للخلف ليسقط بالمسبح و بينما يسقط جذب كفها فسقطت خلفه وتعالت ضحكته:

. كنت عارف أنك هتعملي كده

قضيا اليوم بين المرح والمداعبات المتبادلة يسرقان من عمر الزمن سويعات قليلة من السعادة المستحقة لكليهما.

دلفت نسمة للغرفة الوحيدة بالبيت بعد أن أنهت حمامها تتفحص نادر الذي انفصل تمامًا عن عالمها مستلقيًا على الفراش يطالع السقف بأعين شاردة مثبتة على نقطة وهمية، تدرك أن حاله ليس على أفضل ما يرام فهو في مزاج سيء رغم محاولاته المستمرة لإسعادها وطفليها لكن طول عشرتها تخبرها أنه يخفي أمرًا ليس بهين

نادت باسمه مرتين دون رد وفي الثالثة أخفض عينيه منتبهًا فسألت:

. نادر إحنا هنمشي إمتى؟

أخرجه صوتها من شروده، تعلقت عيناه بهيئتها وتلك المنشفة باللون الوردي القاتم التي ضمت جسدها من أعلى الصدر وبالكاد غطت حتى أعلى الفخذين والتي أظهرت بشرة جسدها البيضاء بسخاء وقطرات الماء تنتشر عليها بينما تحاول تجفيف خصلاتها بمنشفة أخرى، أشار لها بالاقتراب، جلست جواره ومنحته كفها و بالأخرى تصفف شعرها

. إحنا هنبات هنا النهاردة ونمشي الصبح أنا اتفقت مع ماما

و هنا ابتسمت وهي تناظره بخبث فهو لم ينس شيئًا لجعل يومها مميزًا ولا تنكر أن هذا ما كانت تتمناه:

. طيب مش هنآكل؟

جذبها أكثر فمالت تستلقي جواره بينما يهمس:

. هآكل

قبل أن يقتنص شفتيها في قبلة غابا فيها عن العالم مكتفين ببعضهما عما سواهما سحب

رأسها إلى صدره يضمها إليه بشده يستنشق عبيرها الذي يعشقه وينهي يومه كما كان ينوي من قبل؛ سكنت حبيبته متوسدة صدره لكن نيران القلق أبت أن تمنحه السكينة التي يريدها عندما طالع هاتفه مساءًا

و تلك الرسالة النصية التي وجدها من ذات الرقم الخاص الذي يراسله منذ أيام لم تكن الأولى لكنها كانت الأشد لهجة.

الفصل الثاني

في دنيا المال هناك من تعود على طعم المكسب

ينتشي بالنفوذ و تتضخم ذاته بالسلطة

يسعى دائما للفوز مهما كانت الوسيلة

ففي عرفه الغاية هي الأهم

وعليه الوصول مهما كان الثمن.

في مقر شركته الكبير ذو الخمس طوابق بأحد

أهم الأحياء الإدارية بالقاهرة الجديدة مكتب

فاخر يتصدر غرفة واسعة في المنتصف، على

يساره تتوسط القاعة طاولة اجتماعات ضخمة يجاورها في أقصى الغرفة أرائك على الطراز الحديث وعلى يمينه مقعد مخصص للمساج ، كان يدرس تغير معطيات السوق و ظهورًا جديدًا لبعض صغار الشركات لا يعلم كيف تجرأ أحدهم لخوض مناقصة أمامه بينما هو يراها حق مكتسب له، يجلس خلف مكتبه الفاخر يرتدي مئزر من الحرير الطبيعي باللون الأسود يعلو بنطال بذته السوداء وقميص باللون الأبيض دون رباط للعنق وخصلاته بلون الأرز تتراجع للخلف تاركةً مقدمة رأسه صلعاء ناسبت تخطيه

لمنتصف عقده الثامن، رفع أنظاره لمحدثه، و بنظرة ثعلبية تسبر أغواره نفخ دخان سيجاره الكوبي ببطء وقطع الصمت المهيب:

. نويت تعمل إيه في المناقصة الجديدة ؟

اعتدل الآخر في جلسته مستندًا بظهره إلى المقعد بينما قدمه اليمنى تعلو ركبته اليسرى و كفه الأيسر يعبث بحذائه وأجابه بثقة من تتجمع بيديه كل الخيوط:

. متقلقش يا باشا المناقصة في جيبنا

أمعن النظر لمقابله يتحرك بمقعده الدوار يمينًا و يسارًا ببطء بينما يتلاعب بسيجاره بين سبابته ووسطاه:

. و الشركة دي اللي طلعالنا جديد

لم يتخل محدثه عن ثقته؛ أخفض قدمه و تقدم من حافة المكتب قليلًا يتكئ عليها بساعده الأيمن بينما تؤكد نظرته الجانبية على كلماته

. أنا ليا رجالتي في كل حتة يا باشا متقلقش

هز رأسه قليلًا ثم أطفأ سيجاره الكوبي و أشار بسبابته محذرًا:

. لو غلطت حسابك هيكون معايا عسير

و دون أن ينتظر إجابة نهض خالعًا مئزره الحريري واتجه لغرفة الساونا الملحقة بغرفته و أغلقها خلفه

***

وسط أمواج الحياة المتلاطمة نحتاج دومًا للمسة حانية ، لحظات دفء تربت على أكتافنا المرهقة

تتساقط على قلوبنا كقطرات ندى تروي تربة عطشى

و في واحة راحته كان موعده مع يوم دافئ اعتاده منذ سنوات

فبيته مزين بالبالونات مختلفة الألوان التي اشترك طفليه في تحضيرها و تفننا في توزيعها بأشكالٍ متناسقةٍ خاصة هذا القلب الذي احتضن صورة زفافه التي طالما زينت صالة بيته، و باقي البالونات التي انتشرت على سقف و حوائط المنزل فمنحته بهجة من نوع خاص،

و على طاولة الطعام كان قالب الحلوى الكبير المزين بالشيكولا التي يفضلها قد توسطها، حسنا، يبدو التزيين غير متقنٍ تمامًا و لكن زوجته قد طورته عامًا بعد آخر مع إصرارها كل عام على صناعته بنفسها لأنها كما أخبرته تسقي

الحلوى بحبها فيتجرعه مع كل قطعة يلتقمها، لا تعلم أنه قد تشرب حبها منذ أول لحظة وقعت عليها عينيه.

و على إضاءة الشموع بدأت نسمة و الطفلين في غناء أغنية عيد الميلاد الشهيرة و مع انتهائهم و إقبالهم عليه مهنئين، بدأ بتوزيع هدايا عيد ميلاده على عائلته كما اعتاد، نعم في عيد ميلاده هو من يمنح الهدايا لا من يتلقاها أخرج كيس بلاستيكي و بدأ بصغيره الذي التمعت عيناه بشغف:

. دي بدلة سبايدرمان اللي كنت عايزها لحفلة المدرسة

ابتهج الصغير وأسرع يبدل ملابسه لتجربة حلته الجديدة ، بعدها توجه نادر إلى صغيرته التي كانت تنتظر هديتها، أخرج لها علبة ما إن لاحظت محتواها حتى تعلقت بعنق أبيها و غمرته بقبلاتها:

. ده التابلت اللي كان نفسك فيه بس هنلتزم بالساعات اللي ماما تقول عليها و مفيش باسوورد

أومأت الصغيرة إيجابًا و هي تكاد تطير من الفرح

التفت بعدها نادر لمالكة قلبه ومنحها زجاجة من عطرها المفضل

. إيفوريا

نطقتها بعشق خالص وعيناها متعلقتان بمقلتي أسيرها وآسرها،

رفعت جسدها على أطراف أصابعها واحتضنت وجنتيه بكفيها تخفض رأسه وتقلص فارق الطول بينهما لتطبع قبلة على وجنته و تتبع بحنان :

. على طول تجيب لنا ومجبتش حاجة لنفسك

احتضن خصرها بيديه فارتاحت كفيها على صدره و انحنى تلفحها أنفاسه بينما يهمس بأذنها دون أن يلحظه الصغيرين المنشغلين بهداياهما:

. ما أنا جايب البرفيوم ده لنفسي

و غمزته الشقية منحته خجلها الذي لم تتخلص منه رغم امتداد سنوات زواجهما

رمق الصغيرين بطرف عينه فتأكد من عدم انتباههما، اعتقل خصرها بذراعه يسحبها برفق و سبابته أمام شفتيه في إشارة لها بالهدوء التام بينما عينيها تتساءل عن هدفه الذي علمته ما

إن دخلا لغرفتهما الخاصة وأحكم إغلاق بابها،

دفعها للحائط جوار الباب وذراعيه تحكمان

حصارها بين جسده والحائط، يميل ليدفن أنفه

بتجويف عنقها ويهمس برفق :

.كنا بنقول إيه برة ؟

بينما ذراعاها متعلقةً بعنقه وعيناها مغمضة

تسبح معه في فضاء العشق وتهمس:

.كنا بنتكلم في هديتك

مال بالقرب من شفتيها يهمس أمامهما فانفرج

جفناها لتتعلق عيناها بأمانها في مقلتيه :

. طيب مش هتديلي هديتي؟

ابتسمت بنعومة تذيبه وكفيها تدفع صدره برفق تقاوم الذوبان فيه بينما عيناها تحذره الاقتراب و نبرة صوتها تنفي بدلال:

. مش وقت شقاوة يا بابا

أهمل دلالها وشفتيه تكمل طريقها الذي تحفظه ينوي اقتناص اللحظة بينما ترتفع طرقات متسارعة على باب الغرفة مع نداء الصغير :

. ماما... بابا

زفر بغيظ عندما تراجع عن تقبيلها مع تعالي ضحكتها لغيظه ونظرتها المتسلية التي تقول

أخبرتك أن الوقت غير مناسب ليكمل بنفاد صبر قبل أن يفتح الباب:

. الواد ده فصيل

اندفع الصغير للغرفة بينما يتحدث ببراءة

. بتعملوا إيه هنا

. شفتوا سبايدرمان

وانطلق يقفز على الفراش بحركات طفولية ممتعة يستعرض أمام أبويه حركاته ويثني ذراعيه الصغيرين وكأنه يبرز عضلاته الغير مرئية، اندفع نادر لصغيره فأسقطه على الفراش بحركة خاطفة فتعالت ضحكات الصغير المستمتعة بينما والده

يدغدغه وأخته التي انضمت للحفل الصاخب على صوت ضحكات أخيها المتعالية فاختلطت الأيدي بين مدغدغة و مدافعة عن نفسها و تداخلت أصوات الضحكات وهي لازالت عند الباب تراقب تركتها التي أنفقت سنواتها حفاظًا عليها و منحتها السعادة المستحقة بأعين تفيض حبًا و حنانًا غافلةً عما يدخره القدر لها .

***

كالآلة تحيا

تطوي الأيام علها تنقضي

لقد استسلمت لقدرها منذ البداية ولا فرار

لا أب يحمي ...

لا أم تحنو...

و لا عمل يدعم...

إذًا فالتعايش فرض عين...

ولا سبيل للخلاص...

بدأت يومها بصلاة و دعاء أن يجعل الله جنينها ضياءًا في ظلمة حياتها استسلمت للأعمال المنزلية المعتادة و حمدت ربها أن زوجها لن يعود من عمله قبل المساء، إذًا لديها ساعات من الراحة مع طفلها سيتخللها زيارة والدتها التي ترغب في الاطمئنان على صحتها ، ابتسامة

ساخرة ارتسمت على شفتيها و كأن أمها لا تعلم حالها و لم تختبر مثل تعاستها من قبل ، تطلعت لوجهها الذابل في المرآة؛ لقد خفُت جمالها يومًا بعد يوم و لم يتبق منه إلا لمحات حزينة بعينيها العسليتين التي ارتسمت الهالات السمراء حولها، وخصلاتها الطويلة بلون حبات القهوة التي اعتادت جمعها دون عناية تذكر انتفخ أنفها قليلا بفعل الحمل..

شحوب وجهها صاحبه جرح لزاوية شفتيها الباهتة مع زرقة إثر صفعة الأمس ، لم تهتم بإخفاء أثرها أو محاولة علاجها...

و كأن أحدا سيهتم !

أو أن أمها ستبالي بما ترى!

استقبلت أمها التي حضرت بحذاء مرتق وعباءة مهترئة تمتلكها منذ عشر سنين أو ربما يزيد فهي لا تذكر أنها رأت أمها ترتدي غيرها إلا يوم زفافها المشئوم و قد استعارت أخرى من إحدى جاراتها لتحفظ ماء وجهها

لو كانت تعلم أن أبيها فقيرًا لما اهتمت لكنها تعلم أنه يكنز الكثير بينما هذا الكثير لنفسه فقط

حاولت استعادة تركيزها علي سؤال أمها

. عاملة إيه في حملك ؟

أجابتها هامسة بالحمد، كانت واثقة أن أمها لاحظت جرح وجهها وتعلم سببه لكنها لن تسأل حتى لا تستمع لشكواها، لا تعلم أنها لن تشكو لها ببساطة لأنها تشكوها لخالقها كل يوم ، ربما لو رفضت أمها الهوان يوما لما اضطرت هي لعيش مثيله.

تأملتها و هي تتنقل بين غرفات بيتها تنظف هذه و ترتب تلك

هل كانت أمها تستطيع الثورة حقًا و تخاذلت ؟

أم أنها استسلمت لقدرها مرغمة أيضا؟

هل تكرهها و تحملها مسئولية تعاستها؟

أم أنها تشفق عليها؟

لم تعد قادرة على تحديد مشاعرها تجاهها لكنها متأكدة أنها لا تكرهها

هي غاضبة،

غاضبة من ظروف أمها التي ألقت بها في طريق أبيها دون سند

غاضبة من أبيها الذي لا يحمل من معنى كلمة أب شيئًا،

غاضبة من زوجها الذي كانت تأمل به فلم يختلف كثيرًا،

و غاضبة من نفسها من خنوعها و ضعفها،

من كل شيء حولها يدفعها للاستسلام لوضع يستنزف روحها

. أنا خلصت لك معظم شغل البيت ألحق أروح بقى قبل أخوكِ ما يرجع من المدرسة

على ذكر شقيقها تذكرت أنه هو الآخر أحد ضحايا والدها الذي لا تعلم كيف سبيل نجاته،

ودعت أمها واستسلمت بعدها للنوم علها تخرس أفكارها التي لا تتوقف.

**

أن يتقدم بك العمر بينما لازلت تحملين لقب آنسة

فهذا يجعلك تعتادين بعض المشاهد

كأن تري والدتك تحضر صالون منزلك لاستقبال مرشح جديد طالبًا منحك اسمه

في البداية قد تتحمسين لتلك اللقاءات كأي فتاة غرة

ثم قد تبدأين بالتذمر لعدم جدواها

هذا من وجهة نظرك طبعًا

ففي عرف مجتمعاتنا هذه اللقاءات من المسلمات

ثم في النهاية تعتادينها حد الرتابة

و هذا ما واجهته فور عودتها إلى منزلها

لتتذكر لقاءها المرتقب مع عريس الغفلة كما أسمته في نفسها ثم أسقطت موعده من ذاكرتها سهوًا أو عمدًا لا فارق

لكنها استجابت لرغبة أمها، أبدلت ملابسها و توجهت للصالون كما المعتاد،

جلست أمام العريس المُنتَظر

وبنظرة بسيطة علمت أن ما قيل عن هيئته السابقة كان محض عبث،

متوسط القامة و امتلاء جسده الزائد يخدع الناظر ليعتبره من قصيري القامة وسط الرجال،

امتد الشيب لفوديه كزحف طبيعي لمن هو في أول عقده السادس و يبدو أن زحف الصلع قد أخذ طريقه هو الآخر لمقدمة رأسه:

. منور يا أستاذ حسان

عبارة ترحيبية اعتادتها في لقاءات مماثلة ليبادلها مثيلتها ، اعتدلت في جلستها تبدأ اللقاء كما خططت له ممسكة بزمام الحديث

. اسمحلي أسأل حضرتك شوية أسئلة

هز رأسه موافقا:

. اتفضلي

استندت إلى ظهر مقعدها ورفعت ساقًا فوق أخرى شامخة برأسها للأعلى بينما تسأل :

. معلوماتي إن حضرتك مُطلق ممكن أعرف سبب الطلاق؟

ارتبك قليلا ولكنه أجاب:

. الحقيقة متوفقناش مع بعض

غمغمت كمن توقع الإجابة فمعلوماتها التي استقتها من أمها تخبرها أن الزواج دام لخمسة عشر عامًا و هو ما يجعل إجابته محض روتينية للتملص من الحقيقة:

. يا تري حضرتك متكفل بمصاريف أولادك

تنحنح محاولًا كظم غيظه، أخرج محرمة ورقية و جفف بعض من قطرات عرقه المتساقط:

. أنا ببعتلهم نفقتهم طبعا

انفرجت شفتاها عن بسمة خفيفة لتخفض ساقها عن الأخرى و تتقدم قليلا بجلستها تمنحه بعض من أمل زائف:

. طبعًا حضرتك عارف إني دكتورة في الجامعة و لو حصل نصيب حكون مضطرة آخد إجازة

التمعت عيناه و ظهرت الحماسة واضحة عليه و كأنه ارتاح لتغير مجرى الحديث:

. فرص حضرتك للشغل في أي جامعة هناك موجودة و متقلقيش إن شاء الله هنلاقي عقد بمرتب كبير

ابتسمت بخبث فهو لم يخلف ظنها و إذا كانت مضطرة لمجالسته فما المانع من بعض التسلية

رفعت كفها تطالع طلاء أظافرها بمكر:

. بس أنا تعبت من الشغل و فرصة أرتاح بقى و أعمل شوبينج في دبي

حاول جاهدًا إخفاء خوفه، استقام بظهره و لين نبرته تشي بما يخفيه بينما يحاول استحضار بعض المنطق لإقناعها بعدم جدوى فكرتها:

. معقول دكتورة في مكانة حضرتك تقدر تتخلى عن شغلها

. اسمحيلي و إن كان الكلام سابق لأوانه بس واحدة بتشتغل من سنين صعب تبقى ست بيت و بس

طالعته بنظرة مبهمة تسبه بسرها بكافة السباب الذي تعرفه و بصوت هادنه أظهرت بعض الاقتناع:

. طيب لو اشتغلت نظام المصاريف بيننا حيكون إزاي بمعني مرتبي و مرتب حضرتك

حاول الحفاظ على هدوء أعصابه ليجيبها و عينيه تتفحصها:

. أحنا حنكون كيان واحد و المفروض نقف جنب بعض علشان نكبر و أنا كأي راجل مسئول عن بيته لازم أفكر في مستقبلنا و أقرر نعمل أيه بالفلوس

ضحكت رغما عنها فكما توقعت الإجابة

وجدتها لتقرر إنهاء عبثها سريعًا:

. هي طليقة حضرتك كانت بتشتغل لما كانت

معاك

أومأ برأسه إيجابا دون رد بينما عقدة حاجبيه

تشي بغضبه فأكملت:

. و طبعا فلوسها كانت معاك لحد ما طلقتها و يا

عالم عرفت تاخدها بعد ما أطلقت ولا....

صمتت و ثغرها لايزال محتفظًا بابتسامته

المتسلية، تميل برأسها جانبًا فتسمح لعقله

بإكمال الصورة التي وصلتها عنه

أجابها و قد شعر أن زمام الأمور قد يفلت منه و لم يستطع إخفاء غضبه الذي ظهر جليًا بصوته:

. ياريت نتكلم في مشروع الجواز بيننا بدل طلاقي

نهضت من جلستها بهدوء تجيبه بنبرة واثقة و تنهي اللقاء:

. مفيش مشاريع مشتركة بيننا نتكلم فيها، شرفت يا أستاذ حسان

نهض بعنف ولم يحاول حتى كبح غضبه، عيناه ترسلان لها شرارات حارقة يلوح بذراعه في الهواء بينما نبرته تعلو:

. أنا غلطان أني جيت أساسا أنتِ رافعة مناخيرك علي إيه أمال لو كنتي صغيره ولا جميلة شوية

و لم ينس حمل صينية الحلويات التي أحضرها معه و صفق الباب خلفه لتستقبل عاصفة أمها الغاضبة كما اعتادتها في كل مرة ترفض فيها أحدهم:

. تاني عملتي اللي في دماغك وطفشتيه

ارتمت على الأريكة مقابلها بينما تغرغرت عيناها بالدموع وهي تكمل:

. يا بنتي نفسي أطمن عليكِ قبل ما أموت

ابتلعت غصتها و اقتربت من أمها تربت على كتفها و تقبل رأسها و ككل مرة ترفض فيها خاطبًا تعيد عليها جملتها:

. ربنا يبارك في عمرك و يخليكِ ليَ

استقامت بظهرها و لم تتخل عن حنان نبرتها بينما تكمل بحسم:

. أنا مش حتجوز لمجرد الجواز يا ماما

حاولت كبح دموعها فهي وإن كانت ترفض رغبة أمها بتزويجها بأية طريقة ممكنة لكنها تتفهم عاطفتها و مخاوفها كأم لتتركها و تختلي بنفسها قليلا و أمام مرآتها تفحصت هيئتها ، الغليظ غرس نصله بجرحها دون رحمة حتى يسترد بعضًا من كرامته التي سكبتها، تعلم أنها تخطو نحو منتصف عقدها الرابع و في عرف الكثيرين عليها تقديم التنازلات لتلحق بركب المتزوجات و هو ما ترفضه،

تعلم أنها بمقاييس الجمال لا تُعتبر من الجميلات

بشرتها حنطية ، أنف متوسطة و شفاه مرتفعة قليلا عينان بنيتان واتساعهما يجعلهما أشد ما يميز وجهها المستدير بامتلاء يتبع امتلاء قوامها المتوسط الطول

شعر أسود حالك ينسدل حتى أسفل كتفيها بقليل

نعم تعلم أنها لا تمتلك ذاك الجمال المبهر للعيون و لكنها تثق أن شخصيتها قادرة على إبهار الجميع علّهم فقط ينظرون داخلها.

طرقات خافتة على باب غرفتها دلف بعدها والدها الذي جاورها على حافة فراشها يحيط كتفيها بذراعه بينما يغمرها بحنانه:

. عارفة لو مكنتيش طردتيه كنت طردته أنا

رفعت نظرها لوالدها بينما دمعة وحيدة فرت من عينيها لتمتد كفه تربت على وجنتها و إبهامه يجفف دمعتها مؤكدًا:

. أنتِ جوهرتي الغالية عمري ما أفرط فيها غير للي يستاهلها

ابتسمت ريم باطمئنان دائمًا ما يبثه فيها حنان والدها ودعمه بينما الأب يضيف:

. أوعي في يوم تبكي طالما مقتنعة بقرارك

أومأت برأسها إيجابا و قد زالت غصتها التي تركها لقاء ذلك المتعجرف

***

في مملكتها الصغيرة تتنقل بين أرجائها كملكة تتفقد حال رعاياها و مع ارتفاع رنين منبه الفرن ارتفع صوت جرس الباب بلحن متسارع مع طرقات منغمة منتظمة تعلن عن هوية صاحبها بقوة

انطلق الصغير فور سماعه للطرق المميز بينما يهتف باسم الطارق و نسمة تنهره ليتمهل حتى

يتسنى لها ارتداء مئزرها الذي التقطته سريعًا ترتديه فوق ملابسها البيتية المتحررة

اتجهت ناحية الباب الذي فتحه صغيرها بلهفة فوجدت نور محمولًا على كتف أخيها الذي رفعه بذراع واحدة على كتفه ليتدلى رأس الصغير خلف ظهره كما يحب دوما

تقدم رائد من أخته يصافحها و يطبع قبلة على وجنتها بينما يمد أنفه في الهواء يلتقط الرائحة المنتشرة بالمنزل:

. إيه الريحة الحلوة دي؟

انتبهت نسمة من غفلتها و أسرعت نحو المطبخ

بينما تهتف بحنق:

. البيتزا نسيتها

ارتاحت قسمات وجهها و وضعت كفها على صدرها تحمد الله أنها أنقذتها قبل أن تحترق لترفع صوتها:

. لو كانت اتحرقت كنتوا هتاكلوها غصب عنكم

أتاها صوت أخيها بمرح:

. طب الحقي أخوكِ اللي جاي من الشغل واقع من الجوع

حملت صينية الطعام إلى الخارج ووضعتها على الطاولة لتنضم نادين عقب سلامها على رائد الذي توقف قبل أن يبدأ بالأكل مفكرًا:

. أنا كده هاكل نصيب نادر

ابتسمت نسمة بحنان قبل أن تجيبه مطمئنة:

. نادر مش جاي على الغدا النهاردة

. و أنا عاملة بزيادة، نور بيحب يآخد بيتزا في اللانش بوكس

نظر رائد للصغير بمداعبة بينما يلتهم شريحة بتلذذ:

. لانش بوكس!

لوى شفتيه يدعي الامتعاض و أتبع:

. ماله بس الكيس البلاستيك

عبس الصغير و لم يستطع تبين دعابة خاله و همس بحنق:

. لازم لانش بوكس كل الولاد معاهم

ليضحك الجميع و رائد الذي عبث بخصلات الصغير:

. طيب يا سيدي ربنا يخلي لك بابا اللي بيجيب اللانش بوكس

عقب انتهائهم من الطعام التفت رائد للصغيرة و أمسك بكفها يربت عليه:

. نفسي في شاي من إيدك يا نودي

همت نسمة بالكلام فأمسك رائد بكفها هي الأخرى و بضغطة خفيفة أخبرها ألا تعترض، استجابت الصغيرة و توجهت لإعداد الشاي التفت رائد لنور يحادثه و يطلب منه صراحة اللعب بغرفته فتلقى رفض الصغير:

. أنا عايز أقعد معاكم

ضحكت نسمة من سذاجة أخيها عندما اعتقد أنه يستطيع التخلص من الماكر الصغير بسهولة فطلبت من ابنها بحزم:

. نور، أنا وخالو هنقول كلام كبار ممكن تلعب في أوضتك

عقد الصغير ذراعيه أمام صدره بينما يلوي شفتيه رافضا:

. أنا كبير يبقى أقعد معاكم

أكملت نسمة بتحذير:

. أنت كبير نص نص أحنا أكبر

. العب شوية في أوضتك و لما نخلص هنادي عليك

استجاب الصغير حانقًا وتركهما متجهًا لغرفته، التفتت نسمة إلى شقيقها مستفسرة عما يريد و هو لم يتأخر عندما بدأ الحديث:

. ماما زعلانة علشان بقالك كتير مجيتيش أنت و الولاد

تنفست نسمة فملأت صدرها بالهواء ثم زفرته ببطء قبل أن تجيب:

. ما أنا بكلمها كل يوم في التليفون، وأنت عارف أني ما بخرجش كتير

ربت رائد على كتف شقيقته وأودع نبرته كل لين ممكن:

. التليفون مش كفاية، حقها تشوفك أنتِ و الولاد بانتظام

أومأت نسمة برأسها إيجابًا وهو اكتفى بهذا القدر بعد أن فشل لسنوات في إذابة الجليد بين والدته وأخته، لا يعلم ما سبب تلك الحالة التي تعيشانها منذ سنوات، لا سلم لا حرب، كان يعتقد أن الزمن كفيل بإذابة الجليد بينهما لكنه أيقن خطأه عندما تزايدت الفجوة بمرور السنوات،

شيدت كل واحدة منهن جدارًا حول نفسها و تباعدت الطرقات كلما دفع واحدة خطوة للأمام عدَت الأخرى خطوات في الاتجاه الآخر و كأنهما اتفقتا على عدم اللقاء، حتى اللحظة لا يجد سببًا لتتحول علاقة أم بابنتها الوحيدة إلى مجرد واجبات تؤديها كل منهن تجاه الأخرى دون حرارة العائلة، وحده الله هو القادر على تبديل حالتهما تلك فقد اكتفى من المحاولات.

***

وسط معاملات شركته يفقد إحساسه بالزمن ، و رغم القلق الذي يقتاتُ على أعصابه لكن العمل يظل شغفه في الحياة.

لم يعد لمنزله منذ ثلاثة أيام يتخذ من الأريكة الوحيدة بمكتبه فراشًا يختطف عليها بضع ساعات قليلة من الراحة تعينه علي مواصلة عمله

التقط هاتفه و ضغط بعض الأرقام ليأتيه رد الطرف الآخر و هو المحامي المكلف بمتابعة عقود شركته:

. صباح الخير يا متر أخبارنا إيه؟

استمع قليلًا لمحدثه الذي بدا و كأنه يرفض طلبه و هو ما اعترض عليه نادر فأضاف بحسم:

. متأكد يا متر

. من فضلك مش عايز تأخير

صمت قليلًا ريثما ينهي الطرف الآخر حديثه و قد بدا أنه أصاب هدفه عندما أذعن الآخر لطلبه

. لما الأوراق تجهز كلمني علشان آجي أمضيها

أنهى محادثته وعاود الغوص بملفاته و ما هي إلا دقائق حتى ارتفع رنين هاتفه وما إن وقعت عيناه على اسم المتصل حتى ابتسم بسمة حنين

يعلم أنها هاتفته مرارًا طوال اليومين الماضيين لكن هاتفه إما كان على الوضع الصامت أو أنه كان بلقاء عمل و لم يستطع الإجابة بينما سحبته دوامة عمله فغفل عن معاودة الاتصال بها، التقط الهاتف و أجاب بلهفة:

. وحشيتني

استمع قليلا لصوت محدثته الغاضبة ثم أجابها بحنان

. يا حبيبتي عارف

. أنا آسف

صمت بينما تواصل تقريعها فأجابها في محاولة لاسترضائها

. طيب متعمليش غدا أنا هجيب أكل و آجي أتغدى معاكِ

استند بظهره لمقعده بينما يغمض عينيه يستمع لتأنيبها برحابة صدر، انتظر انتهائها من حديثها فأجابها و علامات اعترافه بذنبه جلية بصوته

. هجيبلك حاجة بتحبيها

. البيت ناقصه حاجة أجيبها معايا؟

صمت مرة أخرى و بدا مرتاحًا لتبديد غضبها و همس قبل أن يغلق الهاتف:

-مش هتأخر يا دودو أنا مقدرش على زعلك

الفصل الثالث

وسط دوامات الحياة المتعاقبة ترتفع بها الرياح تارة ثم لا تلبث أن تُخفضها قسرًا لهوة الخوف.

منذ عودتهما من رحلتهما الخاطفة وهي تشعر بزوجها متباعدًا وإن كان قريبًا

يغمرها بحبه كعادته لكن روحه تسبح بعيدًا في نقطة ما لا تستطيع بلوغها وإن حاولت

حتى يوم ميلاده كان يلاطفها و يداعب صغاره ووحدها كانت ترى روحه غير حاضرة،

كم تكره عادته تلك عندما يغلق قلبه على نفسه ولا يصارحها بما يعاني إلا عندما تنتهي معاناته حتى جلسة مصارحته معها عقب عودتهما لم تستطع كبح تساؤلاتها إنما زادت من قلقها،

و ها هو ينأى بنفسه بعيدًا لثلاث ليالٍ متصلة مكتفيًا بالرد على مكالماتها بكلمات مقتضبة يطمئن بها على حالها و صغارها ليتركها فريسة للقلق الذي يقتات على أعصابها و لا تملك حيلة سوى الانتظار عله يفتح قلبه لها عما قريب كما اعتادت منه .

التقطت هاتفها الجوال تضغط على زر الاتصال ليأتيها الرنين مصاحبًا لرسالة ظهرت على شاشة الهاتف تخبرها أنه في مهاتفة أخرى و عليها الانتظار،

تواصل رنين الهاتف حتى انقطع دون رد، عاودت الاتصال مرة أخرى وذات الرسالة لينقطع الرنين مرة ثانية،

فتحت أحد برامج المحادثات و بعثت برسالة مختصرة

. هاخد الولاد و أروح لماما شوية

همّت بالاستعداد للخروج دون انتظار رده

ليرتفع رنين هاتفها معلنًا عن اتصاله ردت بلهفة

لم تحاول إخفاءها:

. وحشتني و مش سائل فيَ

أجابها بتعب بدا جليًا بصوته:

. أبدًا والله، بس ضغط شغل

ثم أتبع بتقرير:

. بلاش مشوار ماما ده هحاول أفضي نفسي و

أوصلكم بكرة

حاولت مقاطعته و الاعتراض على رفضه لكنه قاطعها بحسم:

. نسمة الله يخليكِ مش عايز جدال

تراجعت عن اعتراضها وارتفعت صافرات الإنذار بعقلها تُضخم من قلقها وتتركها فريسة لهواجسها التي أبت أن تبديها له مكتفية بالسؤال:

. هتيجي البيت النهاردة؟

ارتاح حين انصاعت لرغبته وأجابها قبل أن ينهي المكالمة:

. هحاول

***

حين الحاجة عانق الشيطان وارقص على جثامين البشر،

انحر الأعناق وسِر بين ضفتيها بفخر،

اشرب نخب الدماء هنيئًا لمن غدر.

بغرفة مكتبه الفاخر يقطع المسافة الفاصلة بين النافذة و المكتب ذهابًا و إيابًا يعتصر أفكاره في انتظار مكالمة هامة توصله لمبتغاه دون عناء، قطع الصمت طرقات على باب المكتب دلف بعدها النادل، وضع قدح القهوة التركية التي

طلبها رئيسه قبلًا و تراجع بخطواته للخلف، حياه بانحناء طفيف وخرج بهدوء.

واصل الآخر انتظاره الذي ما طال أكثر حتى ارتفع رنين هاتفه الجوال، رد بجملة واحدة عقب فتحه للخط:

. هات اللي عندك

أتاه الرد فانتفخت أوداجه غضبًا، كز على أسنانه حتى قارب على طحن ضروسه غيظًا حين انفجر بمحدثه:

. يعني إيه مش عارف توصلها

. أمال أنا مشغلك ليه؟

ثم قطع الاتصال مع الآخر دون انتظار رده و هو يزداد اشتعالًا، حل رباط عنقه وجذب خصلاته السوداء يكاد يقتلعها، رفع كلتا كفيه يستند على حافة النافذة يطالع السيارات المارة بالطريق و يعيد ترتيب أوراقه، الجرذان التي تحاول البحث عن طعامها باتت تهدد سيطرته، وجب عليه تلقينها درسًا تعود بعده مذعورة لجحورها.

عاد تجاه مكتبه، رفع قدمه على المقعد و استند بمرفقه إلى ركبته و بكفه الأخرى التقط هاتفه

مجددًا، ضغط زر الاتصال و أعقب بكلمة واحدة عقب سماع صوت الآخر:

. نفذ.

***

أغلق الهاتف مع زوجته وقد عزم أمره على عدم العودة للعمل سوى بالغد، استقل سيارته قاصدًا بائع الفاكهة، ومنه إلى محل بيع المشويات الذي التقط منه وجبة عامرة كان قد أوصى بها قبيل خروجه من عمله و في طريقه لها لم ينسَ أن يحضر عُلب الزبادي و بعض الجبن الذي تفضله.

صعد درجات البيت العتيق قاصدًا هدفه، أدار مفتاحه الخاص بمغلاق الباب ودلف باحثًا عنها، بدأ بترتيب أكياس الطعام على المائدة مناديًا:

. يا دودو أنت فين

ظهرت المرأة عند باب غرفتها تشيح بوجهها عنه دون كلمة فاندفع إليها يغمرها بأحضانه يقبل جبينها تارة ووجنتها تارة أخرى بينما هي تدفعه برفق مظهرة غضبها وإن أبى قلبها السخط عليه:

. لسة فاكر تجيلي

دغدغها مداعبًا قبل أن يسحبها محتويًا كتفيها تحت ذراعه:

. جبتلك الجوافة و اليوسفي اللي بتحبيهم

اتبع كلماته بفتح أكياس الطعام فظهرت رائحة المشويات المسيلة للعاب:

. و كفتة و شيش طاووك علشان نتغدى مع بعض

علم أن غضبها مجرد ادعاء فناولها الكيس المتبقي ولم يتخلَ عن مرحه:

. الزبادي و الجبنة البراميلي حطيهم في التلاجة ويالا ناكل

وضعت الكيس جانبًا وحاولت كبح ضحكتها المتسلية بمرحه:

. أنت يا واد جاي تضحك عليا بالأكل

ضحك ملئ شدقيه وهو يلتقط كفها يقبل ظاهره:

.كل ده وواد يا حاجة ده أنا شعري قرب يشيب

امتدت كفها الأخرى لأذنه تجذبها برفق:

. هتفضل واد لحد ما أموت وكل ما تزعلني هشد ودنك

رفع كفيه بمحاذاة كتفيه مستسلمًا:

. حاضر حاضر أنا ما أقدرش على زعل الجميل

رفعت كفها تربت على لحيته النابتة بحنان

. مالك يا حبيبي فيك إيه؟

التقط كفها يحتضنها بين كفيه يربت على ظاهرها برفق:

. ضغط شغل، ادعي لي

غمرته بدعواتها المخلصة بينما تجلسه للطاولة و تجلس جواره ليتشاركا وجبتهما التي أتبعتها الأم بإعداد كوبين من الشاي المطعم بحبات القرنفل،

ارتشف قليلًا بتلذذ وارتكن برأسه إلى ظهر الأريكة مغمضًا عينيه بإرهاق بينما يهمس

. تسلم إيدك يا ست الكل، كوباية الشاي بتاعتك كانت وحشاني

ربتت على كتفه برفق مشفقة عليه من إرهاقه الظاهر للعيان بينما تحاول مداعبته:

. ما مراتك بتعمل لك كل حاجة وما بقيتش محتاج لي

ابتسم ولازال محتفظًا بإغماض عينيه بينما يؤكد لها:

. هي شاطرة في القهوة والنسكافيه

التقط كفها يقربها من فمه مقبلًا ظاهرها:

. بس كوباية الشاي بتاعتك دي مفيش منها

اعتدل في جلسته ووضع الكوب الفارغ على المنضدة أمامه وهم بالنهوض بينما درية تجذبه لتستزيد من جلسته المحببة إلى نفسها:

. على فين يا ابني ملحقتش أشبع منك

ربت على كتفها بينما يطالع ساعة يده:

. بقالي 3 أيام مشفتش الولاد وكدة مش هلحقهم قبل ما يناموا

احتضنته مودعة بينما تبدي دهشتها فالوقت مازال باكرًا لنوم الصغار حين أوضح .أنتِ عارفة قوانين نسمة في المدارس

أومأت برأسها متفهمة واصطحبته حتى باب الشقة مودعة إياه بدعواتها التي تغمره دوما، قبيل خروجه التفت متذكرًا فسألها:

.أخبار مدحت إيه؟

ظهرت علامات الحنق على درية رغم محاولتها إخفاءه وهي تجيبه:

.كان عندي الأسبوع اللي فات

أمعن النظر لأمه مكملًا ما أخفته بتقرير:

.كان عاوز فلوس ومن ساعتها ما شفتيهوش

ربتت على كتفه متصنعة عدم الاهتمام

. الله يصلح حاله وحالك يا حبيبي

لم يزد أكثر من ذلك لكنه ودع أمه و قد زاد إصراره على تنفيذ ما عزم عليه دون تأجيل .

دلف لمنزله و كما توقع قابل السكون التام ، تحرك برفق في الظلام الدامس مستعينًا بضوء هاتفه المحمول،

وضع كيس الحلوى الخاص بصغيره بسيارة الصغير الكهربائية ليفاجئه بها عند استيقاظه كما اعتاد ثم حمل باقي الأكياس للمطبخ فوجد زوجته مقبلة عليه تتلقفه بين أحضانها بلهفة، شدد من احتضانها بشوق و أطلق زفرة راحة بعد عناء يلازمه ولا يستطيع الخلاص منه

ابتعد عنها قليلا:

. بسبوسة لنادين و الوايت شوكليت بتاعتك ربتت على لحيته لا تبخل بالتعبير عن عشقها

هامسة:

. ربنا يخليك لينا

تركها و تسلل إلى غرفة صغاره ، سحب الغطاء على الصغير الذي اعتاد ركله فدثره جيدًا و قبل جبينه ثم التفت لفراش صغيرته فمسح على شعرها برفق و طبع قبلة على خصلاتها قبل أن يلجأ لحمامه الدافئ عل رذاذ الماء يخمد أفكاره الثائرة ، خرج من دورة المياه يلف خصره بمنشفة بينما يجفف شعره بأخرى عندما أقبلت زوجته بنعومتها المحببة تحمل بين كفيها كوبًا تصله رائحته عن بعد، وضعت الكوب جانبًا بينما تخبره برقة:

. عملت لك كاموميل

ارتدى سرواله و قميص قطني وجلس على حافة الفراش ، حمل الكوب بين كفيه يرتشف بعضًا منه حين صعدت زوجته فجلست خلفه طاوية ساقيها أسفلها و شرعت بتمسيد عضلات رقبته و ظهره، أنهى مشروبه و أغمض عينيه مستسلمًا لكفيها و حينها لم تستطع منع نفسها عن السؤال:

. مالك يا نادر؟

رفع ساقيه و استلقى على الفراش وزفر بكلمة واحدة لم يستطع أن يزيد عليها:

. تعبان

استلقت على جانبها جواره تواصل تمسيد مواضع النبض بجبهته وهو لايزال على استسلامه حتى سحبها فسكنت أحضانه وغط في نوم إجباري جافاه لأيامٍ طوال .

في الصباح استيقظ على قبلة صغيرته التي ابتسمت فور أن فتح عينيه لها قائلة بمرح:

. عرفت أن حضرتك جيت من باليل

نهض يجلس على حافة الفراش و سحبها جواره يحتوي كتفيها تحت ذراعه ويشد جسدها إليه:

. وعرفتي منين بقى يا شقية وأنا جيت وأنت نايمة؟

. من ريحة البرفيوم

ضيق حاجبيه باستغراب فأجابته الصغيرة ببراءة ترفع حاجبيها و تؤكد على منطقية إجابتها:

. لما بتدخل تبوسني و أنا نايمة بشم ريحة البرفيوم في الأوضة

طالع صغيرته بدهشة:

. أنت بنت نسمة فعلا مبتفوتيش حاجة

و على سيرة زوجته أتاه صوتها المرتفع و هي تحث صغيرها على ارتداء ملابسه فضحكت الصغيرة:

.كالعادة ماما بتجري ورا نور علشان يلبس

اصطحب صغيرته لمشاهدة المباراة الدائرة بصالة

بيته بين زوجته و صغيرها المتكاسل يرتدي

بنطاله فقط بينما نسمة كانت تساعده على

ارتداء سترته، فر الصغير لوالده الذي حمله

مقبلًا وجنته ثم حثه على الإسراع:

. يالا يا بطل الباص زمانه جاي

و ما إن أنهى ارتداء ملابسه حتى ارتفع رنين

هاتف نسمة معلنا عن اقتراب حافلة المدرسة ،

التقط الصغير بعض الحلوى التي وجدها

بسيارته الصغيرة فدسها بحقيبته ثم قبل والده

الذي تلقى قبلة مماثلة من صغيرته قبل أن يودعهما لدى الباب.

عقب انصراف الصغيرين لاحظت نسمة استعداد نادر للخروج مبكرا هرعت لإعداد مشروبه المفضل في الصباح و منحته إياه ببسمة هادئة:

. الفرنش كوفي ، مش هتفطر؟

ارتشف قليلًا من مشروبه ووضعه جانبًا يكمل إغلاق أزرار قميصه بينما يجيبها:

. مش هلحق عندي حاجات كتير النهاردة

تناولت سترة حلته تعاونه على ارتدائها بينما تطالع عينيه في المرآه تستجديه البوح بما يؤرقه:

. مش هتقول مخبي عني إيه

التفت يواجهها و كفيه تمسك بكتفيها و بنبرة جاهد حتى تبدو مطمئنة لها:

. أنتِ عارفة أن لما أحب أتكلم بتكوني أول واحدة أتكلم معاها

تعلقت بحافة حلته وعينيها تتوسله البوح:

. أنا قلقانة عليك

طبع قبلة على جبينها زفر خلالها أنفاسه القلقة

و نبرته منافية لما يضمر:

. اطمني أنا كويس

ربت على كتفيها بكلتا يديه قبل أن يتخذ

طريقه لخارج المنزل.

و قبيل خروجه أسرعت نسمة خطاها تلتقط

كفه، التفت مستفسرًا فتعلقت برقبته في

احتضان أودعته خوفها، قلقها، تملكها و

تمسكها وهو ضمها بعشق خالص يمسد ظهرها

بحنان يبعث الطمأنينة لنفسها بينما عقله يضج

بأفكاره:

. خلي بالك من نفسك

همستها بأذنه أرسلت رعشة لامست قلبه قبل أن تمتد يديه تفكك حصار ذراعيها لعنقه ، انحنى يطبع قبلتين على ظاهر كفيها و هو يهز رأسه إيجابا قبل أن يغادر و يتركها فريسة للقلق و الحيرة.

***

هو رجل الضعف عدوه

السطوة سلاحه

القوة طريقه و مبتغاه

اقتربت بغنج تجيده تحيي الجالس أمامها بكأس مشروبها الكحولي:

. منور يا حسام بيه

بادلها تحيتها بأخرى مماثلة بينما تجلس جواره لا تترك مسافة فاصلة بينهما، رفعت ساقًا فوق أخرى فانحسرت تنورتها القصيرة عن فخذيها، أنهى كأس مشروبه ووضعه على الطاولة بإهمال فمالت بجذعها للأمام و نبرتها المغناج تدعوه للمزيد:

. أصب للباشا كاس كمان

أشار برأسه نفيًا و صوته الحاسم يؤكد:

. اكتفيت النهاردة

صدحت ضحكتها الخليعة في المكان تحاول كسر بروده، أمسكت ذقنه بسبابتها وإبهامها و أكملت:

. الباشا خايف يسكر ولا إيه

. شوشو

زعقته و انعقاد حاجبيه أربكاها فتراجعت فورًا عن سخريتها بينما يكمل غاضبًا:

. مش حسام الشوباشي اللي يخاف

عادت لغنجها المعتاد و اقتربت منه تمسك بطرف حلته معتذرة:

. أنت زعلت يا باشا؟

تطلع للملهى حوله يسلي نفسه بمتابعة تمايل هذه و تلك، امتدت كفها تدير وجهه ناحيتها و بدلال تعرف تأثيره على الرجال و نظرة تدعوه لأبعد من الكلمات التي نطقت بها:

. أنا عايزاك تفرفش يا باشا

فهم مغزى كلماتها فمرت عيناه تتفحص جسدها المكشوف بوقاحة، تنورة فضية لامعه بالكاد تصل لأسفل مؤخرتها كاشفة عن ساقيها

بالكامل صعودًا لكنزتها العلوية الملتصقة بجسدها دون أكمام و فتحتها تبدي نهديها بسخاء يدعوه لاكتشاف المتبقي وصولًا لشفتيها المصبوغة بحمرة قانية، غمزة وقحة أتبعها بنبرة رفض فهمتها لتميل عليه أكثر مستفهمة:

. مش عاجباك؟

طالعها ببرود قبل أن يخرج حافظة نقوده و يلقي ببعض منها على الطاولة، نهض و قبل انصرافه مال يستند بكفيه على مقعدها يحاصر جسدها بالكامل:

. أنت حلوة، بس أنا بستنضف

ترك المصدومة خلفه و استقل سيارته قاصدًا منزله، خلع ملابسه و الأخرى تواصل ادعاء النوم هروبًا كعادتها، جاورها في الفراش فشعرت به يدير جسدها ناحيته، اعتلاها بسطوة ذكورية منقوصة و رائحة التبغ التي اختلطت برائحة مشروبه الكحولي تخنق أنفاسها دون قدرة على رده، و خيطين الدموع المنسابين من عينيها في صمت يشقان طريقهما لا إراديًا حتى يحتضران عند منابت شعرها كروحها المحتضرة، دقيقتان احتملتهما كدهر حتى انتهى و دفع بها جانبًا، ثم غط في نوم عميق.

كتمت أنينها حتى اطمأنت لنومه ومن ثم نهضت تدثر جسدها بمئزرها و دلفت إلى دورة المياه، أفرغت عصارة معدتها اشمئزازًا و رفضًا لواقعها ثم تركت الماء البارد ينساب غامرًا جسدها في محاولة للتخلص من آثار لمساته الكريهة على جسدها، لقد كان مراعيًا فقط في أيام زواجهما الأولى ثم تحول لذلك الذي أصبح قربه فرضًا يثقل كاهلها، أنهت حمامها و جاورته في الفراش بهدوء تكمل دور الزوجة المطيعة الممتد لسنوات.

***

بين جذب و شد تشق طريقها بثبات تُحسد عليه، تتفهم خوف أمها دون خضوع لرغبتها، يشد أزرها فخر أبيها فتخطو متجاهلة محيطها المُثبِط لكل عزيمة، تغرق ببحثها الجديد الذي يؤهلها لترقية هي جديرة بها دون منازع.

أنهت محاضرتها للفرقة الرابعة وسط راحة طلابها لأسلوبها السلس، تحيطها نظراتهم المتباينة بين مقدرة، ممتنة و أخرى معجبة من أحدهم لا تخفى عليها فقد اعتادت مثلها من طلابها ربما هي فورة الشباب التي تركت مراهقتها توًا و تخطو أولى خطواتها نحو الرجولة فترى فيها

القدوة و نموذج الأنثى المطلوبة، نظرات اعتادتها و تمرست على احتوائها بحنان أخت كبرى تارة و حزم أستاذة تارة أخرى فما تلبث أن تصوب طريقها فتضحى نظرات اعتزاز و تقدير.

تركت المدرج باتجاه مكتبها حين سمعت نداءًا باسمها:

. دكتورة ريم

التفتت بمواجهته تطالع هيئته بطوله الذي يزيد عنها بعشرين سنتيمتر على أقل تقدير، بشرة قمحية أكسبتها أشعة الشمس لونًا برونزيًا جذابًا، شعر بني فاحم استطالت خصلات

مقدمته لتداعب جبهته و عينين محيرتان بين خط بلون القهوة مُزج بآخر أسود، واجهته بنظرة مستفهمة:

. أهلا دكتور ماهر

اقترب بخطواته الواثقة يبتسم بعذوبة قبل أن يبادر بتقديم بعض الأوراق:

.كنت محتاج أعرض على حضرتك الجزء اللي خلصته من الرسالة

أومأت برأسها بتفهم بينما تتناول الملف و تضيف بحسم:

. هقراه، بس خد بالك أنت متأخر جدًا في العملي و تقرير المتابعة قرب

هز رأسه و لم يتخل عن ثقته:

. ما تقلقيش يا دكتور كله هيخلص في الميعاد إن شاء الله

. بالتوفيق يا دكتور

نطقت جملتها بينما توليه ظهرها و تكمل طريقها نحو مكتبها و الآخر يتابع ابتعادها تتقاذفه رغباته.

***

اليوم كان فارقًا في عمر شركته شعر أنه قد حقق انتصارًا كبيرًا عندما بشره محمود بفوزهم بالمناقصة التي كان يطمح إليها لكن سعادته الغامرة يشوبها القلق فقد كان يشك أن رسائل التهديد التي تأتيه بسببها ...

بسبب دخوله إلى عالم الكبار

لكنه بالأمس تلقى التهديد بالانسحاب صراحة و الابتعاد عن منطقة الحيتان و إلا فعلى السمكة الصغيرة ألا تحزن إذا ما أُكلت. فبات واثقًا أنه سيواجه المشاكل بسبب تلك الصفقة

لكن طموحه اللامحدود و عقله الذي أخبره أنه يعمل بشرف و لم يخطئ و عليه المواجهة و انتزاع حقه و إلا سيظل في مكانه

مُخطئ ففي هذه الدنيا لا يكفي أن تلعب بشرف لتفوز و لكن يجب على خصمك أن يواجهك بذات الشرف فيكون الفوز لمن استحق..

كل هذا القلق منعه من ترك شركته طوال اليوم ، يعكف على تجهيز جميع أوراق الصفقة و القيام بجميع المراسلات الضرورية ، ترتيب المهام و توزيعها على أفراد شركته

فبرغم إتاحة وقتٍ كافٍ للتنفيذ إلا أن حجم الصفقة كبير مقارنة بأعمال شركته السابقة ولا يجب منح المنافسين أية فرصة إذا ما أخطأ فالخطأ أيضا كفيل بإنهائه تمامًا وعودته لنقطة الصفر..

شعر بتيبس ظهره بعد أن أنهى كل ما يمكنه عمله اليوم، لم يشعر بالوقت حقًا ليناظر الساعة التي قاربت على الثانية صباحًا فالتقط مفاتيحه و هاتفه، فتح أحد برامج التواصل الاجتماعي و أرسل كلمة واحدة لزوجته

. وحشتيني

ثوانٍ ظهرت بها علامات رؤيتها لرسالته قبل أن يصله ردها بملصق قلب كبير و كلمة واحدة جوار وجه ضاحك يطبع قبلة على الوجنة: مستنياك .

ارتدى معطفه و أحكم سحّابه جيدًا فالشتاء يبدو أنه اشتد برودة قبل أوانه، استقل سيارته متجهًا إلى منزله لا يكاد يرى من فرط تعبه، ارتفع صوت الرعد بالسماء وما هي إلا ثوانٍ و كانت تجود بمائها، الطريق كان شبه خالٍ إلا من بعض السيارات القليلة وعند أحد المفارق فوجئ بأضواء ساطعة لسيارة نقل محملة

بالحجارة تظهر فجأة في الاتجاه المعاكس، ضغط المكابح بقوة حتى توقفت سيارته تمامًا فهو لم يكن يومًا بالسائق المتهور، لكن الآخر لم يتوقف بل زاد من سرعة السيارة و مع اقتراب المقطورة تتابعت أمام عينيه صور طفليه اللاهيان، وجه زوجته ودفء قلبه بين ذراعيها نهاية بوجه أمه الحنون وصوتها اللاهث بدعواتها له بالحماية التي لاتزال تطرق مسامعه وسط عدم استيعاب عقله للاقتراب الخطر الذي اصطدم على أثره جانب مقدمة سيارة النقل بباب السائق لسيارة نادر قبل أن يستطيع سائقها تغيير اتجاهه و الابتعاد

فرارًا وقبيل تمام الابتعاد ونتيجة للانحراف المفاجئ كان جزءً من حمولته الثقيلة يسقط ليدك سقف السيارة الصغيرة مخلفًا خلفه خطًا من الدماء المختلطة بماء المطر .....

الفصل الرابع

في قانون الدنيا لن تحوز كل ما تريد

و هي من كانت تعتقد بامتلاكها لاستثناء

ببساطة غاياتها التي حققتها

لكن رياح القسوة أبت

إلا أن تخضعها للقانون الأزلي

تخبرها و بكل صلف

ألا استثناءات

و على الجميع الرضوخ

تركض بهلع في طرقات المشفى تشعر أن

جسدها مسير دون إرادة منها

و الدقائق الماضية تمر أمام عينيها كمشاهد

سينمائية خاطفة

اتصال.. حادث... مشفى... نادر

استنجادها بأخيها..

حضوره وأمها هلعًا، اصطحابها إلى المشفى

و ها هو يقف محيطًا كتفيها أمام مكتب

الاستعلامات يسأل عن زوجها

يا إلهي! زوجها، ما بها لا تقوى على الشعور بشيء فقط تعيش كمتفرج منذ تلقت ذلك الاتصال والإجابة التي خيل لها للوهلة الأولى أنها لم تسمعها:

. الأستاذ اللي جه في حادثة العربية كان جاي متوفي البقاء لله..

ماذا؟!

لا

بالتأكيد هي مخطئة..

هي تتحدث عن شخص آخر..

نادر لن يتركها..

ليس هو ...

.ليس الآن في منتصف الطريق..

لم يكبر طفلاهما بعد

لم يحضرا معًا زفاف ابنتهما

لم يستشيط غيرةً و غضبًا عندما يرى زوج ابنتها يدللها..

لم يريا أحفادهما..

لم .. ولم....ولم

الكثير مما خططا له لم يفعلاه سويًا بعد

صمتها أقلق شقيقها الذي لايزال يحاول

استيعاب صدمته هو أيضًا بوفاة زوج شقيقته و

أخيه الذي لم تنجبه أمه

احتضنها برفق هامسًا باسمها..

. نسمة أنتِ كويسة؟

يا الله ما هذا السؤال يسألها إن كانت بخير و

هل تستطيع الشعور بشيء حتى تخبره إن كانت

بخير أم لا

حقيقة شعورها لا يمكن وصفه شعور بالخواء

باللاشيء يحيط بها

شعر أخيها بصدمتها و أنها لازالت غير قادرة على استيعاب الخبر فأسرع يطلب من الموظفة طبيبًا لمناظرتها لكنها انتبهت فجأة لحديثه مع الموظفة ونطقت دون وعي:

. مش هو أنتِ أكيد غلطانة، نادر مش هيسيبني لوحدي

أشفقت الموظفة عليها، قامت من مجلسها بهدوء متناولة هاتفه المحطم،

حافظة نقوده،

و بطاقته الشخصية التي علموا منها بياناته ووضعتهم أمامها..

. دي متعلقاته أحنا عرفنا رقم البيت لما خرجنا الشريحة من الموبايل شدي حيلك

دارت الأرض تحت قدميها، ترنحت فدعم شقيقها جسدها بجسده يحيطها بأحد ذراعيه من الخلف بينما تستند بكفيها لذراعه الأخرى وهو يهدر في الموظفة:

. قلتلك شوفيلها دكتور

انتبهت على صوته الغاضب واستعادت وقفتها، نفضت ذراعيه عنها قائلةً بحسم:

. عايزة أشوفه

هم أخيها باحتضانها مرة أخرى وظهر على

وجهه علامات الرفض لطلبها مشفقًا عليها

يعلم كم هي رقيقة، صمتها يرعبه

قوتها الزائفة هذه تنبئه بانهيارٍ مفاجئ

ربما أقوى مما يتخيل لكنها ابتعدت عنه بحسم

مكررة طلبها

تضرب بكلتا يديها على الحاجز الرخامي أمامها

. قلتلكم عايزة أشوفه و حالًا

. إيه كتير عليا أقعد معاه شوية؟

لم تستطع نطقها هي تريد أن تملي عينيها بتفاصيله لآخر مرة لكنها لا تقوى على التصريح بها فكيف تتخيل أنها تودع زوجها للمرة الأخيرة، رضخ أخيها لطلبها سائلًا الموظفة عن مكانه فأشارت للغرفة المجاورة لغرفة الطوارئ

اتجها إليها حتى أوقفته عند الباب تقول بنفس الحسم:

. عايزه أبقى معاه لوحدي

و أمام نبرتها المصرة لم يستطع إلا الانصياع لطلبها و القلق عليها يكاد يفتك به ليظل على

وقفته أمام الباب الذى أغلقته خلفها مستعدًا للتدخل في أية لحظة

***

تتقدم ببطء نحو السرير الوحيد بالغرفة و ذلك الجسد المُسجى عليه مُغطى بغطاء أبيض لكن كم هو مقبض و قد تلوث ببقع الدماء

آهٍ يا دماء حبيبي

كم أتمنى تجفيفك عنه علني أشفي جراحه

تقدمت أكثر وامتدت يدها المرتعشة نحو الغطاء تكشف ببطء وجهه ونصف جسده العلوي

شهقت وامتدت كفيها لفمها تكتم أنفاسها،

كم هالها منظره وقد تمزقت ثيابه تمامًا

جسده مغطى بالكثير من الجروح و الكدمات

والدماء التي خضبت وجهه أخفت ملامحه

لكنها تحفظ تفاصيله لا تستطيع إلا أن ترى

عشقها... زوجها.... رفيق دربها

جلست جواره ممسكة بكفه البارد، ضمت رأسه

إلى صدرها تتحدث إليه و كأنه يسمعها

. ليه؟

ليه سبتني دلوقت إحنا لسه في حاجات كتير

معملنهاش مع بعض ؟؟؟

رفعت رأسها قليلًا تتطلع إليه، تمسح بكفها بقع

الدماء المتخثرة عن وجنته دون طائل:

طيب قولي هعملها إزاي لوحدي ؟؟

إزاي و أنت اللي كنت بتخطط لكل حاجة؟

ألصقت جبهتها بخاصته و قطرات الدموع

تنساب من عينيها تسقي مقلتيه:

. سبتني قبل ما تعلمني أعيش من غيرك

طيب قولي أعيش إزاى ؟؟

أكمل لوحدى إزاى ؟؟

تعلقت كفيها بما تبقى من ملابسه ترجوه الرد

ولا طائل:

. هأرجع البيت لوحدي ؟

أدخل أوضتنا إزاي ؟

تحولت نبرتها لسخرية مريرة ترفض تصديق ما

تتفوه به:

. و أنام على سريرنا لوحدي!

ولادك !!!

مفكرتش فيهم!

اشتدت قبضتيها على ملابسه تجذبها للأمام و الخلف بغضب، تأنيب وزعقة قهر من كابوس تحياه:

. طيب هقولهم ايه لما يسألوني عنك ؟

نور مين هيجيبله لعبه ؟؟

و نادين مين هيسلمها لعريسها ؟

ارتخت قبضتيها تكمل أسئلتها العالقة في الفضاء دون مجيب:

. أنت فاكر إني قوية علشان أتحمل كل ده؟

أسندت رأسها إلى صدره تشبع خلاياها برائحته التي اختلطت برائحة الدماء مكملة حديثها

. أنا من غيرك ضعيفة قوي..

قوتي بستمدها منك...

أنت مشيت وخدت قوتي معاك...

سحبت روحي و سبتني جثة عايشة من غير روح

ثم انخرطت في البكاء و أغمضت عينيها علها تذهب معه، ترغب أن تتوحد روحها مع روحه فتصحبه في رحلته الأخيرة كما كانا دومًا.

بينما أخيها بالخارج ينتظرها و القلق ينهشه

يجري اتصالاته بأهل زوجها و أهله يخبرهم بالفاجعة التي حلت عليهم

يهتم بالإجراءات التي لن يقوى غيره على الاهتمام بها

وإذا بشخص يربت على كتفه :

. رائد أنت بتعمل إيه هنا ؟

التفت رائد لمحدثه فوجد فارس الذي لم يره منذ سنوات فصلة قرابتهم البعيدة و طبيعة عمل فارس كضابط شرطة لا تتيح لهما فرصة اللقاء، صافحه بدهشة:

. فارس إزيك أنت اللي بتعمل إيه هنا ؟

أجاب فارس بعملية :

. أنا هنا في شغل، جاي أحقق في حادثة

أخفض رائد نظره بحزن و أضاف بصوت أقرب للهمس :

. يبقى أكيد حادثة نادر

سأله فارس مشفقًا:

. أنت تعرفه ؟

هز رائد رأسه مغمضًا عينيه بألم :

. ده يبقى جوز نسمة

قبضة اعتصرت قلبه عند سماع اسمها و لم يستطع منع نفسه من السؤال :

. هي عرفت ؟

أتته إجابة رائد:

. هي معاه جوه بقالها نص ساعه رافضة حد يكون معاها و أنا هموت من القلق عليها

ملأ صدره بالهواء و إحساس العجز أمام القدر يكبله:

. أنتَ مش متخيل هي بتحبه قد إيه

ما هذا الاحتراق الداخلي الذي يشعر به؟

كان قد دفن قلبه منذ زمن و ها هي كل المشاعر الدفينة تصحو مرة أخرى هل يغضب أو يغار من حب يعلم أنها تغمر زوجها به!

مهلًا هو زوجها الراحل الآن

أم قلق يحرق قلبه من أجلها وشفقة عليها من هول الموقف

شعر بحقارة ما آل إليه تفكيره فدماء الرجل لم تجف بعد كيف بالله يفكر بزوجته المكلومة و على أي حال لا يحق له التدخل

ربت على كتف رائد وقال بهدوء:

. طيب أدخل شوفها وخليك جنبها و سيب كل الإجراءات أنا هخلصها

أومأ رائد برأسه موافقًا وتقدم يفتح الباب بيدٍ مرتعشة

تقدم برفق يرى نسمة و قد جلست بجوار زوجها

تحتضن كفه مستندة برأسها إلى صدره

وعيناها المغمضتان تقص أسطورة من ألم بينما أنهار دموعها لا تتوقف.

ارتسمت على وجهها كل معالم الحزن والقهر

من يراها يخيل له أنها عجوز في آخر عمرها

ليست شابة رقيقة لم تكمل الرابعة والثلاثون

بعد، تقدم منها ببطء يربت على كتفها وهمس

باسمها، فتحت عينيها تنظر للفراغ:

. نسمة قومي معايا

و كأنها لا تسمعه لماذا لازالت بالدنيا، ألم تضع

رأسها على صدره راغبة بتوحد روحيهما؟

أمسك رائد بكتفيها وجذبها من مجلسها:

. نسمة تعالي معايا

. مش هسيبه ...

همستها بضياع فاحتضنها بقوة لا يدري ما يقول

كم يود لو يسحب ألمها لكن لا يستطيع

حسم الأمر دخول ممرضة تخبرهم بوجوب إخلاء الغرفة فرجال النيابة و الطب الشرعي قد حضروا

سارت مع شقيقها مجبرة يحتوي كتفيها بذراع والأخرى ممسكة بكفها

تستند برأسها إلى صدره لا تعلم كم عدد المرات التي تعثرت بها أثناء السير فهي كانت كطفلة

ضائعة فقدت كل أهلها للتو ولا تدري كيفية التصرف.

***

تقترب منه ببطء

ترتبك تحدث نفسها بوجوب ذهابها إلى صديقتها لتعزيتها

ثم تتراجع عن محادثته هي تعلمت تجنبه قدر الإمكان

لم تعد تطلب شيئًا و تنتظر ما يمنحه هو، عزمت أمرها على محادثته

لن تخبره أن ريم من أخبرتها و إن سألها ستكتفي بقول أنها قرأت خبر الحادث على صفحة صديقتها الشخصية بأحد مواقع التواصل الاجتماعي و هي تبتهل إلى الله ألا يمنعها عنها أيضًا فقد أصبح وسيلة هروبها الوحيدة،

حاولت السيطرة على ارتباكها لتبدأ الحديث:

. جوز واحدة صاحبتي اتوفى في حادثة كنت عايزة أعزيها

هل تخيلت أنها حصلت على انتباهه للحظة أم أنها واهمة

. أسمه إيه؟

كان آخر سؤال تتوقع أن يسأله لكنها أجابت بتلعثم:

. نادر أعتقد يعني اسمه نادر

هنا تيقنت أنه انتبه حقًا حين سألها بدهشة:

. نادر الكيال؟

. أنت تعرفه؟

انطلق سؤالها لا إراديًا على لسانها ثم أجبرت نفسها على ابتلاع باقي كلماتها عندما سمعت إجابته وهو يهز رأسه حزنًا:

. أيوه كان صاحبي جهزي نفسك علشان نروح العزا

و لم يكن هذا يجول في أكثر أحلامها جموحًا لكنها اكتفت بإيماءة موافقة.

***

الغاية تبرر الوسيلة

دائمًا كان مبدأ من لا مبدأ له

من لا يرى في الكون إلا نفسه

مصلحته و ما يريده و فقط

لا يهم من يسحق في الطريق

فكل شيء مباح نظير الوصول للهدف

أنا و من بعدي الطوفان

رفع سماعة هاتفه و هو يستشيط غضبًا منذ تلقى نبأ وفاة نادر الكيال، هدر في محدثه المذعور:

. أنا مشغل شوية أغبيا قلتلكم قرصة ودن بس علشان يكش

رد محدثه بذعر بينما يوضح

. الخبطة مكانتش جامدة يا باشا بس العربية كانت محملة حجارة وقعت عليه، قضاه بقى

أزاح كل ما على مكتبه من أغراض بثورة بينما يكمل زئيره بمحدثه المذعور:

. مين الحيوان اللي نفذ ؟

أجاب محدثه بصوت مهزوز:

. سلطان يا باشا

. أنفيه في آخر الدنيا مش عايز أشوف وشه تاني

. حاضر أوامر معاليك يا باشا

واصل استجوابه بانفعال لا يستطيع كبحه:

. في حد شافه ؟

. لأ يا باشا الدنيا كانت ليل و الشارع فاضي

زفر بعض أنفاسه المحبوسة:

.كويس، العربية اللي نفذ بيها تتقطع و تتباع خردة فاهم و النهاردة متباتش لبكره

. أوامر معاليك يا باشا

أغلق الهاتف و استند بظهره للمقعد يحاول ترتيب أفكاره بما استجد من أحداث يحدث نفسه أن الآخر هو من أوصلهم جميعًا لتلك النتيجة،

أنت من لم تستجب لكل تهديداتنا لك، أخبرناك أن تبتعد لكنك كنت مُصر فلا تلومن إلا نفسك.

قطع استرسال أفكاره صوت جهاز الاستدعاء المباشر بينه و بين رئيسه، أمسك رأسه بكلتا كفيه غيظًا من انفلات الأمور من بين يديه، نهض يغلق أزرار حلته و ملأ صدره بالهواء استعدادًا لما يتوقعه من ثورة، فتح الباب الفاصل بين مكتبيهما و دلف يحاول استعادة ثقته:

. أوامر الامبراطور

نهض الآخر و دار حول مكتبه بينما شرارات الغضب تنطلق من عينيه تكاد تحرق من أمامه، عقد كفيه خلف ظهره و بكلمات متقطعة سأل:

. ممكن أعرف نادر الكيال مات إزاي؟

تمالك الآخر زمام نفسه و أجاب بهدوء:

. قضاء و قدر

واجهه الامبراطور بغضب منهيًا محاولته للالتفاف حول الحقيقة

. و القضاء و القدر ده ميحصلش غير في نفس يوم ما يآخد مننا المناقصة!

. ولا حضرتك بتتصرف من دماغك و فاكر إني مش هعرف

تراجع الآخر بارتباك حاول إخفاءه بينما يوضح:

.كنت بقرص ودنه بس لكن اللي نفذ غلط اقترب الإمبراطور منه يكز على أسنانه و يشهر سبابته بوجه محدثه:

. وغلطة الراجل بتاعك خسرتنا المناقصة

بسط كفه يلوح في الهواء و صوته الزاعق يوضح:

. أنا قضيت عمري أبني في الامبراطورية دي،

عملت كل حاجة تتخيلها

عاد إليه بنظرته الحادة يضم قبضته و يؤكد:

. لكن اسم شركتي فضل نضيف

أخفض قبضته قبل أن يضيف:

. و حضرتك جاي دلوقت ببساطة تخلينا متهمين

قدام السوق كله

أولاه ظهره واتجه للنافذة يطالع السيارات المارة

خلال الزجاج طال الصمت قبل أن يقر بحسم:

. أنسى المناقصة دي، شركة الكيال هي اللي هتنفذها

التفت برأسه يخبره من فوق كتفه:

. وما تتنفسش قبل ما تبلغني، واضح أني إديتك صلاحيات أكبر منك

وصرفه بإشارة من يده دون أن ينبس بكلمة.

***

صوت القرآن الكريم يصدح في المنزل و صمت مهيب حف النسوة المتشحات بالسواد، صغيرة أدركت معنى الفراق باكرًا تبكي أب بين أحضان جدتها و صغير رغم الحزن البادي عليه

رحِمته قلة إدراكه من الانهيار يجاور أمه التي تحيط كتفيه بذراع و تجلس بثبات تُحسد عليه تجاورها من الجهة الأخرى صديقتها ريم التي تضغط كفها من حين لآخر تشد من أزرها،

دلفت امرأة تخطو بتمهل، نهضت نسمة لتلقي العزاء فاحتوتها هند بضمة شوق، اعتذار و مؤازرة:

. البقاء لله، أنا يمكن مبتصلش بيكِ من زمان يا نسمة بس أنتِ عارفة معزتك في قلبي

هزت نسمة رأسها بشرود دون قدرة على الرد و اشارت لهند بالجلوس فاتخذت مقعدها جوار

ريم، استمر صوت المذياع بآيات الذكر الحكيم و الجميع على رؤوسهم الطير حتى قطعه رنين هاتف هند التي نهضت عقب إغلاقها للخط و انحنت على نسمة تهمس لها:

. حسام جوزي عايز يعزيكِ هو طالع دلوقت

التقطت ريم الحديث بدهشة لم تخفها، نهضت نسمة بصحبة هند حتى باب المنزل، مد حسام يده مصافحًا نسمة وهي نقلت نظرها بين كفه ووجهه بدهشة دون مصافحته بينما تجيب:

. شكر الله سعيكم

سحب حسام كفه ببساطة يحسد عليها:

. أنا كنت صديق للمرحوم نادر

وقعت كلمته كخنجر بقلبها لكنها لم تستطع

منع نفسها من السؤال:

. غريبة، نادر عمره ما جاب لي سيرة عن

حضرتك

دس كفه بجيب بنطاله و تعاطفه مع حزنها بدا

جليًا:

. يمكن لأن مكانش فيه شغل مشترك بينا لحد

دلوقت

أخفضت نسمة نظرها وغلالة الدموع تتلألأ

بعينيها قبل أن يضيف:

. أنا تحت أمرِك لو احتجتي أي حاجة تخص الشغل

. في حاجة يا مرات أخويا

قطع حديثهم بصوته وحضوره الذي يفرض نفسه، تولت نسمة مهمة التعريف:

. مدحت أخو نادر

التقط حسام منها الخيط، مد يده يصافح مدحت و يعرف نفسه

. حسام الشوباشي، صديق نادر والمدام صديقة مدام نسمة وكنت حابب أعزي المدام بنفسي

. البقاء لله

صافحه مدحت بجديه:

. شكر الله سعيكم

لاحظ حسام عدم ارتياح ملامح الآخر لوجوده فحيّا نسمة بإيماءة قبل أن يصطحب زوجته و يرحل والأخرى تركت مكانها عند الباب و عادت لمقعدها.

دلف مدحت للمنزل متوجهًا لوالدته مد كفه لها تستند عليه بكفها وبالأخرى تتكئ على عصاها حتى تتمكن من النهوض:

. يالا يا أمي أوصلك

رفعت نظرها له وخيوط دموعها لا تتوقف تنطق بصعوبة وقد أثقلت المصيبة كاهلها ترجوه بصوت متقطع من بين نهنهاتها:

. سيبني مع ولاده يا ابني

دار مدحت بنظره في البيت ثم عاد إليها مجددًا

. أعتقد والدة نسمة هتبات معاها تعالي معايا و هرجعك الصبح

هزت رأسها استجابةً له بيأس ثم توجهت لنسمة التي ارتمت بحضنها والأخرى احتوتها بقهر، كل منهما تبحث عن آثاره بالأخرى تتلمسها علّها تُشبع جزءً من فقدها دون جدوى.

***

كابوس مزعج تعيشه منذ فجر هذا اليوم

يوم كانت تعتقده ككثير من أيامها الروتينية التي طالما نعتتها بالمملة

تصحو من نومها تودع زوجها إلى عمله و ينصرف صغارها إلى مدرستهم

تقضي وقتها في انتظارهم بين إعداد الطعام و شئون مملكتها الصغيرة، يجتمعوا على الغداء الذي يعقبه استذكار لدروس اليوم وتحضير غيرها

و يمر الوقت بين لعب، استحمام و شجار بين الطفلين

فهذا قد أخفى دمية أخته المفضلة إنتقامًا منها لاستئثارها بكل الحلوى

و تتولى هي مهمة فض النزاع حتى يعتذر الصغير من أخته وتحتضن الشقيقة أخيها الأصغر

و ينتهي اليوم بقبلتين على وجنتيها و يخلد الصغيران للنوم.

لكن اليوم لم يمر كسابقيه فمنذ أن تلقت تلك المكالمة المشئومة فجرًا و هي تحيا كابوسًا كم تود لو ينتهي و تصحو على يوم رتيب كما اعتادت

لكنه للأسف ليس بكابوس بل واقع يُعلن أنه ابتداءً من اليوم حياتها قد تبدلت للأبد،

فاليوم قد وارت نصفها الآخر الثرى،

دفنت روحها معه،

انفضت جموع المعزين، و كم ودت لو لم تجلس بينهم

بعدها ربما حدثها شقيقها عن شيء أخبره به محامي زوجها،

لا تذكر التفاصيل لكنها إجراءات لعينة كإعلام وراثة ووصية لا تدري تحديدًا،

فهي كانت تهز رأسها فقط علَّ هذا اليوم ينتهي ما استخلصته أن المحامي سيزورها غدًا وعلى والدة زوجها أن تكون حاضرة،

تركت الجميع و توجهت لغرفتها،

استلقت على الجانب الأيمن من الفراش،

أمسكت بمنامته التي تركها قبل توجهه لعمله تحتضنها بشده تستنشق عطره الذي يغمرها

وأطلقت لدموعها العنان، قد تبدو متماسكة طوال اليوم؛

يظن البعض أن هذه قوة،

و البعض الآخر ممن يسيئون الظن يحسبونها لا تبالي،

أخيها يعتقد أنها لازالت تحت تأثير الصدمة و ستنهار قريبًا،

و الجميع لا يعلم ببساطة أن هذا ما طلبه نادر، أن تقوى و هي ببساطة ستجاهد لتحقيق طلبه فبعد عودتهما من رحلتهما الخاطفة كان لها معه جلسة مصارحة لم تدرك مغزاها إلا الآن،

اصطحبها إلى غرفتهما بعد أن خلد الصغيرين للنوم، سحب رأسها إلى صدره وبدأ بحديث طالما أجله لكنه شعر الآن أنه لابد من البوح به فربما لن تسنح له فرصة أخرى،

. نسمة أنا عايزك دايمًا تبقي قوية زي ما عرفتك أنا من يوم ما قابلتك و أنا شايفك البنوتة الرقيقة الناعمة لكن كمان كنت متأكد أن وقت الجد هتبقي في ضهري

ورغم دهشتها من حديثه و نبرة القلق التي أحستها بصوته و أوغرت قلبها بدورها لكنها أكدت على عباراته:

. أنا طول عمري هفضل معاك وفى ضهرك

مسد ذراعها بكفه قبل أن يقاطعها:

. أنا عارف أنك كنتِ دايما واقفة جانبي و

سندي في أصعب الأوقات و عايزك تفضلي

كده

أبعد رأسها قليلًا عن صدره و سبى عينيها

بنظرته:

. أنا عايزك الفترة الجاية تنزلي معايا الشركة

رفعت حاجبيها دهشة من طلبه فمنذ تركها

لعملها بمحض إرادتها لم ترغب يومًا في العودة

له من :جديد

. أنت بتقول إيه يا نادر، أيه الطلب الغريب ده!

وضع أصابعه على شفتيها وأكمل:

. نسمه لازم أقولك الكلام ده الشركة يا نسمة دي فلوسك و فلوس ولادك

ملأ صدره بالهواء قبل أن يكمل:

. باشمهندس محمود أنا بثق فيه هو أقدم واحد في الشركة و تقريبا عارف فيها كل حاجه و أنا بعتمد عليه

شرد في الفراغ والقلق من القادم ينهشه دون أن يستطيع إدراك مصدره بالتحديد:

. بس لازم تعرفي أن مينفعش تثقي في حد 100% أنتِ على قد ما أنتِ جدعة و طيبة على قد ما طيبتك دي ممكن تكون عيب فاهماني يا نسمة في عالم البيزنس مينفعش تثقي في حد 100% غير نفسك

و هنا لم تستطع إلا أن تلقي برأسها على صدره و تضمه إليها بشده و هي لا تفهم ما يريد البوح به ولم تنطق بكلمة ليكمل هو:

. أنا محتاجلك تسنديني و تقفي جانبي ومش هلاقي حد أثق فيه زيك

. كفاية

وضعت كفها على فمه تمنعه الاسترسال

وأخذت تتحسس جسده في كل موضع بجنون

مرتعب:

. قولي يا نادر أنت تعبان ؟

اكتشفت إنك تعبان ومش راضي تخوفني قولي

أكيد في علاج صارحني بالحقيقة علشان

خاطري

ضمها إلى صدره بشده يربت على ظهرها بحنان

و يهدئ من روعها:

. لأ يا نسمة و الله أنا كويس بس داخل مناقصة كبيره زي ما قلتلك قبل كده و قلقان فحسيت إني محتاج أقولك الكلام ده،

و عايزك قوية

لم يستطع أن يزد فيزيد من رعبها بالحديث عن رسائل لا يفهم مغزى مرسلها حتي الآن ليسمع همسها بعد أن هدأت قليلا:

. حرام يا نادر أنت بترعبني عليك كده

طبع قبلة على جبينها مع قوله آسف تبعها بقبلات رقيقة على وجنتيها و عنقها يهمس

أسفه بين قبلاته لتهدأ بين ذراعيه يضمها إليه بشده

لكن بغرفة نومهما وعلى فراشهما لا مجال لادعاء القوة،

هي لحظة الانهيار لحظة البكاء وكم تود الصراخ من أعماقها

ظلت تبكي لا تعلم كم مر عليها من الوقت فدموعها قد اتخذت طريقها ولا سبيل لإيقافها،

شعرت بأنامل رقيقة تمسح دموعها ففتحت عينيها لترى صغيرها نور أمامها، كم يشبه ذلك

الشبل أبيه طالما مازحته أنه لم يرث منها شيئًا و استأثر بكل شيء منه بخلاف أخته،

قمحيته، عسل عينيه ودكنة خصلاته والأهم حنان ينبع ببراءة من آن لآخر ليس بعيدًا عن حنان أبيه،

جلست على الفراش و سحبته لأحضانها:

. ماما .. أنتي بتعيطي علشان بابا راح عند ربنا

شددت من ذراعيها حول الصغير بينما هو يضيف ببراءة تمزقها:

. تيتة قالت لي أن بابا عند ربنا

هو أنا كده مش هشوفه تاني؟

ردت بصعوبة فهي ليست مستعدة بعد لأسئلة الصغير:

. أيوه يا حبيبي مش هينفع نشوفه تاني

بكى الصغير وهو يؤكد:

. هو كده هيوحشني

مسحت دموع الصغير بكفيها تربت على وجنتيه بحنان:

. وهيوحشني أنا كمان

بس كل ما يوحشنا ممكن نعمل حاجه هو بيحبها وممكن نقراله الفاتحة

رفع الصغير عينيه لها يسألها ببراءة:

. طيب أنا هاروح عند ربنا إمتى؟

احتضنته بشدة فهو وأخته ما بقيَ لها تستعيذ بالله في نفسها من هول الفكرة وتجيبه بمنطقه الطفولي:

. محدش يعرف هيروح إمتى ربنا بس اللى يعرف

نهضت من جلستها رغبة في تغيير مجرى الحديث،

فتحت خزانة الثياب الخاصة بزوجها وأخرجت علبة كرتونية وقدمتها لطفلها:

. دي العربية اللي بالريموت اللي كنت طالبها من بابا

هو كان جايبهالك

تقدم الصغير وأخذ العلبة ببسمة حزينة:

هم بالانصراف لكنه توقف عند الباب والتفت لوالدته:

. أنا مش هلعب بيها هخليها عندي في الدولاب علشان لما أروح عند ربنا وأشوف بابا نلعب بيها مع بعض

و انصرف إلى غرفته تاركًا نسمة وقد مزقتها كلماته وتركتها حطامًا، فكيف لها أن تعوض صغيريها حنان أب كوالدهم.

الفصل الخامس

لو أننا لم نفترق

لبقيتُ نجمًا في سمائك ساريًا

و تركتُ عمري في لهيبك يحترق

لو أنني سافرتُ في قمم السحاب

و عدتُ نهرًا في ربوعك ينطلق

لكنها الأحلام تنثرنا سرابًا في المدى

و تظل سرًا في الجوانح يختنق

لو أننا لم نفترق

فاروق جويدة

هل يجدي الندم بعد فوات الأوان؟

حتما لا جدوى فعقارب الزمن لن تعود يوما للخلف و إن تمنى، كيف للحظات عابرة أن تحيي فيه كل ذاك الشوق للماضي البعيد، تذكره برعونته تهوره و تسرعه بزيجة حُكم عليها بالفشل منذ أول لحظاتها وإن حاول إنجاحها طويلا حتى أيقن بعدم جدوى المحاولة

كيف أخل بوعده معها فقدمها بعد سنوات على طبق من ذهب زوجة محبة لغيره، وكيف تحيي رؤيتها الآن كل ما دأب على دفنه بين طيات قلبه

كانت آخر مرة سمح لنفسه فيها التشبع بهيئتها ،يوم عقد قرانها بعد سنوات من زواجه الفاشل

طبع صورتها البهية بقلبه وهي تتأبط زوجها و تطالعه بنظرات عاشقة فيبادلها عشقًا فوق عشق

يمسك برأسها بين كفيه ويطبع قبلة على جبينها

فيلحظ رعشة جسدها وتفتُح عينيها بوله

أصاب قلبه فأعلن الحداد على عشق ضائع

حمل ذنبه، ألمه وعزم على عدم اللقاء مرة أخرى مطمئنًا نفسه أنها وجدت من رأب صدع قلبها ولا عزاء لنابضه المتصدع

و اليوم أيقن أن كل ما أعلن موته طوال تلك السنوات لم يكن بميت، رؤيتها كانت كفيلة ببعث الحياة بخافقه مرة أخرى و كأنه يُعلن أنه لم ولن ينبض لغيرها وإن امتدت السنون

تغيرت هيئتها قليلًا بفعل الزمن ازدادت بضعة كيلو جرامات ولا زال وجهها على براءته وإن انطفأ بريق عينيها بمصابها، ودون أن تلحظ وجوده راقب انصرافها مع أخيها الذي دعم جسدها بكامل جسده عن بعد فهو المطرود بفعل يديه من جنتها

تستند برأسها لكتف شقيقها بتيه كطفلة فقدت مرشدها في الحياه تتعثر بخطواتها مرة تلو أخرى فيسقط قلبه تحت قدميها يؤدي فروض الولاء و الطاعة

فهل يجوز للمذنب التكفير عن ذنبه؟

و هل يشفع الندم ليطرق العاصي باب جنته مرة أخرى ؟

طالع أوراق المحضر أمامه المرفَق به تقرير الطب الشرعي الذي أوضح سبب الوفاة؛

كسر بالفقرات العنقية وقطع كامل بالحبل الشوكي (كسور متعددة بالجمجمة، كسور

بالضلوع و تضرر حاد للقلب و الرئتين نتج عن الاصطدام بجسم صلب؛ مجموع إصابات أدى إلى الوفاة الفورية)

تماشى تقرير الطب الشرعي مع تصور رجال البحث الجنائي للحادث بوجود آثار لإطارات سيارة نقل و آثار لطلاء السيارة بسيارة نادر

لا يوجد شهود،

ولا شبهة جنائية،

قُيد كحادث سير و المُتسبب مجهول،

و أُقفل المحضر في ساعته و تاريخه.

***

نفَس الصباح أنفاسه الحزينة على أهل البيت الذين استقبلوا السيدة درية بقلوب يشطرها الشوق للغائب الحاضر بالقلوب،

اندفع الصغير لأحضان جدته بحب:

. دودو...دودو

احتوته الجدة بين ذراعيها تروي به ظمأها، لولدها

مسحت على شعره و تعلقت عيناها بملامحه الحبيبة:

. دودو أنا بحبك

أعادته إلى حضنها مرة أخرى تربت على ظهره بعطف و تغمره بقبلات بللتها قطرات دموعها التي لن تجف بعد اليوم:

. و أنت نور عيني يا ابن الغالي

ربتت نسمة على كتف السيدة درية و هي تخفي القطرات الهاربة عنوة من عينيها عندما سألتها درية عن طفلتها:

. من امبارح وهي حابسة نفسها في أوضتها مخرجتش

أزاحت السيدة درية الصغير الجالس فوق ساقيها و اتكأت على عصاها بينما أمسكت نسمة بكفها الأخرى تعينها على النهوض:

. هدخُلها

دلفت السيدة درية غرفة الصغار فوجدت نادين قد انطوت على نفسها فوق الفراش بوضع الجنين تتدثر جيدًا بالغطاء مغمضةً عينيها بألم جلي ودموعها المنسابة تروي ما عجزت عن البوح به، جلست جوارها على طرف الفراش تمسح على خصلاتها بحنان و الصغيرة

حين شعرت بها ضغطت عينيها بعجز وانخرطت في نشيجها

جذبتها السيدة درية فأجبرتها على الجلوس واحتوتها بذراعيها تمسح على شعرها برفق و بصوتها الحنون تخبرها:

. حقك، أبكي، أصرخي

. ماتكتميش ألمك، خرجيه

أبعدت رأس الصغيرة عن صدرها و احتوتها بين كفيها تمسح دموعها بإبهاميها:

. أفتحي عنيكي

استجابت الصغيرة ففرجت جفنيها ببطء،

نظرت السيدة درية بعيني نادين تبث بها بعضًا

من قوة تفتقدها هي لكنها تدرك حاجة

الصغيرة :لها

. حقك تبكي فاهمة

رمشت الصغيرة جفنيها بضعف فأكملت درية:

. بس بعد ما تبكي أفتكري أنك بنته

. فكري هو عايزك إزاي علشان تحققي حلمه

بيكِ

. فاهمة؟

هزت الصغيرة رأسها ايجابًا فأعادتها درية لحضنها مرة أخرى حينها دلفت نسمة:

. ماما، مدحت بره

هزت درية رأسها و اتكأت على عصاها و هي تجيبها:

. أيوة، كان قايل لي هييجي على معاد أستاذ فتحي المحامي

خرجت السيدة درية بينما نسمة توجهت لابنتها وغمرتها بين ذراعيها، مسحت على وجهها بحنان وهي تسألها:

. هتخرجي تسلمي على عمك؟

هزت الصغيرة رأسها نفيا دون كلمة فربتت

نسمة على رأسها بقلة حيلة:

. على راحتك

***

تشرق الشمس فتعلن ميلاد يوم

يظنه البعض النهاية

بينما يستقبله الآخر كفرصة أخرى.

بمدرجات ملعب التنس الأرضي بنادي ضباط

الشرطة جلس وقد أيقن أن الحياة قد تسلب

أحدهم فرصته وتمنحها لآخر، تابعها بعينين حانيتين وهي تتنقل كغزالة برية بين أطراف الملعب تضرب الكرة بمهارة تُحسد عليها وهو ممتن أن أمهله القدر مزيدًا من الوقت لتعويض ما فاته وطيف صغيرين سمع عنهما دون رؤيتهما يراوده وقد قست الحياة عليهما باكرًا فسلبتهما الأمان.

أنهت تدريبها وحيّت مدربها قبل أن تنتبه للمراقب بالمدرجات الخاوية جففت وجهها و رفعت ذراعها تلوح له بسعادة وهرولت ناحيته بجسدها الممشوق وخصلاتها الأقرب للذهبي

الموروثة عن والدتها التي رفعتها فوق رأسها في ذيل حصان، وأحاطت جبهتها بمانعة التعرق بشرتها بيضاء لفحتها الشمس فأكسبتها حمرة محببة مع تناثر حبات النمش على وجنتيها و أنفها، عيناها بلون الزيتون كصفة وحيدة ورثتها عنه، تحرك من مكانه فلقيها عند مدخل المدرجات:

. بابي

أحاط كتفيها بذراعه وطبع قبلة على وجنتها:

. حبيبة بابي

. غيري هدومك وأنا مستنيكِ في الكافيتريا

استبشرت الصغيرة ورفعت حاجبيها بسعادة:

. هنتغدى مع بعض

ربت بكلتا يديه على كتفيها وهو يؤكد:

. اليوم كله بتاعك النهاردة

صفقت الصغيرة بكفيها وأسرعت تبدل ملابسها، لمى ابنته التي ما باتت صغيرة بعد أن تخطت عامها الرابع عشر، جاهد كي يحافظ على بيئة صحية تحياها بعد إعلان فشل زيجته من والدتها السيدة أحلام، يعترف في قرارة نفسه أنه ابتعد دون إرادته عن تفاصيلها بفعل عمله الذي أجبره لسنوات على الابتعاد خارج

حدود القاهرة وفي أفضل الأحيان غيابه لأيام خارج المنزل وهو ما لم تتحمله زوجته السابقة التي حرص على إنهاء زواجه منها بهدوء و صغيرته بعمر السادسة ثم ما لبثت أن كونت الأخرى أسرة جديدة لتظل صغيرته حائرة بين أسرة تحيا بكنفها وإخوة لا يشتركون معها بالاسم وأب يحرص على اتصالات دائمة و تتباعد لقاءاتها به ولا تدوم إلا بضع ساعات.

بدلت ملابسها وفي طريقها لأبيها جذبتها يد بقوة فدفعت جسدها للحائط مع شهقتها

المتفاجئة، حاصر جسدها بذراعيه وهي تتأفف وتنهره:

. لؤي أنت اتجننت؟

نفس دخان تبغه بوجهها وهو يقترب بأنفاسه منها:

. اتجننت علشان وحشتيني؟

دفعت صدره بكفيها فتراجع وهي تخبره بنزق:

. قلتلك ما بحبش الطريقة دي

حملت حقيبتها التي سقطت حين جذبها و ابتعدت وهي تحذره بصوتها:

. ماتكلمنيش النهاردة بابي في النادي

. سلام

و أشارت بكفها وهي تتجه للقاء والدها الذي استقبل طلتها ببشاشة فور أن انضمت له على الطاولة، ارتشف قليلًا من قهوته التركية:

. ماطلبتش غدا قلت تغدينا على ذوقك

أمسكت الصغيرة بقائمة الطعام وطالعتها قبل أن تقرر:

. أنا هاخد لازانيا أطلب لحضرتك زيها

امتعض فارس للفكرة لكنه رفع كفيه بمحازاة كتفيه باستسلام:

. أمري لله هاكل على زوقك النهاردة

ضحكت الصغيرة ثم أشارت لعامل الطلبات و أملته طلبها قبل أن يُذكرها فارس:

. اتصلي بماما قوليلها أنك هتتأخري

طالعته الصغيرة بشرود قبل أن تجيب بلامبالاة وضحكة جانبية ساخرة:

. ما تقلقش مش هتاخد بالها أني اتأخرت دلوقت

تعجب لجواب الصغيرة ولم يزد، طالع هيئتها مجددًا، هل كان غائبًا لهذا الحد عن صغيرته ولا يعلم شيئًا عن حياتها، يعلم أن زوجته السابقة لديها عائلة الآن وثلاثة أطفال بخلاف ابنته توأم بعمر السادسة و صغيرة بعمر الثالثة، هل يلوم انشغالها بعائلتها أم يلوم ظروف عمله القاسية التي لم تتح له يومًا فرصة القرب من صغيرته، ملأ صدره بالهواء وهو يأمل أن يمهله القدر .فرصة لتعويض ما فاته

أنهى وجبة الغداء مع ابنته ثم اصطحبها للسينما بناءً على طلب الصغيرة، ساعات

اقتطعها من عمر الزمن أكدت له على تقصيره طويلًا في حق طفلة على أعتاب الشباب لا ذنب لها سوى سوء اختياره وفي نهاية اليوم أقلها حيث تسكن رفقة والدتها وودعها بقبلة على جبينها ووعد بتكرار اليوم عن قريب، و مع غلقها لباب السيارة وانصرافها عنه علم أن الصغيرة كانت محقة فعلى مدى خمس ساعات قضاهم بصحبتها لم تحادث لمى والداتها و الأخرى يبدو أنها لم تنتبه لغياب ابنتها، تساءل إن لم تكن صغيرته معه طوال ذلك الوقت فأين ستكون ومتى تنتبه أمها لغيابها!

دلفت لمى المنزل بمفتاحها الخاص فوصل إليها صوت أخويها التوأم يلهوان بينما والدتها تُطعم أختها الصغرى، انتبهت أحلام لها:

. كنتِ فين لحد دلوقت

توقفت لمى في طريقها إلى غرفتها و بهدوء: أجابت

. كنت مع بابي

ضيقت أحلام حاجبيها دون فهم:

. بباكِ هنا من ساعتين

اقتربت لمى خطوتين بتحدٍ:

. كنت مع بابي فارس مش أنكل حسن

نهضت أحلام بغضب و صوتها يعنف ابنتها:

. اسمه بابا حسن

اقتربت خطوتين من ابنتها تحاول جاهدة ألا يصل صوتها لزوجها:

. بابا هو اللي أنتِ عايشة في بيته مش اللي ميعرفش حاجة عنك

امتعضت لمى وأولتها ظهرها فأمها كعادتها تذكرها أنها تسكن ببيت رجلٍ يجب عليها أن تعترف بجميله أن آواها بمنزله وهي ليست بابنته، رغم أن الرجل لم يسئ التصرف معها

يومًا لكنها في ذات الوقت لا تستطيع تحديد مشاعرها تجاهه فضلًا عن اعتباره أبًا ومناداته بكلمة ثقيلة على نفسها، تعلم أن والدها يتكفل بمصروفات دراستها كاملة، ملابسها و حتى هاتفها هو من اشتراه وكان شرطه على والدتها حتى يسمح لها بالإقامة ببيت رجلٍ آخر لكنها بالنهاية لا تعتبر نفسها صاحبة المنزل كأخوتها من أمها فباتت تهرب معظم ساعات النهار بحجة تدريباتها وتناول الغداء بالنادي بعد التدريب وكأن أمها كانت تنتظر منها

إعفاءها من حرج إطعامها من مال زوجها فلم تلحظ غيابها مهما أطالت الوقت خارج المنزل.

بدلت لمى ثيابها وهي تلعن حظها الذي حرمها الحياة بكنف أسرة طبيعية كأخوتها، هل كانت ابنه سيئة لدرجة أن ابتعد عنها الجميع أم أنها لم تكن تستحق أن يبذل أبواها جهدًا لأجلها حتى تحيا ببيت تشعر أنها تمتلكه حقًا، مسحت دمعة فارة من عينها وهي تتذكر سنواتها الأولى التي عاشتها ببيت والدها كطفلة تمتلك الدنيا بأسرها، حين كانت الوحيدة بحياة أمها وإن افتقدت حضور والدها لكنها كانت واثقة من

عودته، استلقت على فراشها وبيدها هاتفها المحمول تكمل هروبها لمواقع التواصل الاجتماعي ومراسلة أصدقاءها خاصة هذا الذي تعتبره الوحيد المهتم لأمرها.

***

بعض الأيام ثقال وهو عليها كذلك، أول أيامها الثقال التي لا تعلم كيف السبيل إلى تحملها، بل كيف السبيل لتحمل، جلسة كتلك التي تجلسها

فحسب الموعد المتفق عليه حضر أخيها برفقة المحامي وفي حضور السيدة درية التي جاورتها على الأريكة متكئة بكفيها إلى عصاها تستند بذقنها إلى ظاهر كفها وتتطلع للحضور جاورها من الجهة الأخرى مدحت بينما جلس المحامي في الأريكة المقابلة لهم جوار رائد.

فتح الأستاذ فتحي حقيبته، أخرج أوراقه وبدأ بفضها ووضع أولها على المنضدة الصغيرة أمام الجميع وهو يوضح محتواها:

. ده تنازل رسمي موثق في الشهر العقاري بموجبه تنازل السيد ....نادر سيف الدين الكيال عن

شقة الزوجية الكائنة في(...) لصالح زوجته

السيدة نسمة حسين عبد الرحمن

رفعت نسمة نظرها للمحامي دهشة مما قال دون أن تنبس بكلمة ولم تقِل دهشة رائد عنها بينما عقد مدحت حاجبيه بضيق دون إبداء رأي ودرية تتطلع بوجوه الجميع تتفرسها دون اهتمام حقيقي بفحوى العقد، أكمل المحامي بفض مظروف مغلق كبير وبدأ بقراءة بنود الوصية

بسم الله و الصلاة و السلام على رسول الله

أوصي أنا المهندس نادر سيف الدين الكيال

بعد وفاتي بما يلي

. تؤول ملكية شقة الزوجية بالكامل إلى زوجتي

السيدة نسمة حسين عبد الرحمن

. في حال وفاتي وأبنائي نادين نادر سيف الدين

ونور نادر سيف الدين لا يزالا تحت السن

القانونية تنتقل الوصاية القانونية على أموالهما

إلى زوجتي السيدة نسمة حسين عبد الرحمن

. إيه الكلام الفارغ ده

نهض مدحت منفعلًا بجملته وهو ينكر ما سمعه

من بنود قبل أن يكمل:

. ولاد أخويا مسئولين مني وأنا أولى برعاية مصالحهم

رفع المحامي نظره إليه بهدوء وأجابه:

. دي وصية باشمهندس نادر ورغبته

لكزت السيدة درية ولدها بعصاها وأشارت له بالجلوس مرة أخرى فأطاعها ثم عادت للمحامي

. كمل يا أستاذ فتحي

وهو ما فعله المحامي وأكمل قراءة بنود الوصية:

. توزع تركتي على الورثة الشرعيين حسب شرع الله

. في حال كون أمي الحبيبة ضمن ورثتي شرعًا فرجائي لها وأعلم أنها لن ترده أن تمنح زوجتي توكيلًا لإدارة نصيبها وأنا أثق أنها خير من يصونه

. كده كتير

. إيه اللي يثبت أن دي رغبة نادر

كان صوت مدحت مرة أخرى دون مراعاة لدموع أمه التي بدأت في الانهمار ليرد الأستاذ فتحي:

. باشمهندس نادر طلب أني أجهزله الوصية و العقد قبل وفاته بأسبوع وقبل وفاته بيوم كان مسجلهم في الشهر العقاري

رفعت نسمة عينيها التي غشيتهم غلالة الدموع وهمست للمرة الأولى:

. يعني إية الكلام ده؟

. إيه اللي خلى نادر يعمل كده!

التفت لها المحامي ولانت نبرته وهو يخرج آخر مظروف مغلق بجعبته:

. الحقيقة معنديش إجابة بس يمكن تلاقي الإجابة في الجواب ده

مد يده بالمظروف:

. أنا استلمته من باشمهندس نادر مقفول و بسلمهولك حسب رغبته

التقطت الخطاب بيدٍ مرتعشة وتعلقت عيناها باسمها الذي خطه نادر بقلمه على المظروف المغلق، نهض المحامي يطلب الإذن بالانصراف:

. أنا كده خلصت مهمتي

وجه الحديث لنسمة التي انفصلت عن الحضور متعلقةً بخطابها:

. هبقى أحتاج من حضرتك مشوار للشهر العقاري تعمليلي توكيل علشان الإجراءات

نهض رائد يصافح المحامي ويصحبه حتى الباب

حين أوقفهما صوت السيدة درية:

. بعد إذنك يا استاذ فتحي

عاد المحامي حيث تجلس السيدة درية ونظرته

تتساءل عن سبب نداءها الذي أوضحته:

. ليَ طلب عندك

انحنى احترامًا مصغيًا السمع:

. تحت أمرك يا حاجة

دكت بعصاها الأرض تزفر أنفاسها بضيق و الأعين المحيطة تعلقت بما ستتفوه به وهي لم تتأخر:

. أنا هكتب نصيبي في شركة نادر وفلوسه باسم نور و نادين بالنص

فتحت كفها وعادت تقبض على عصاها وهي تبتلع غصتها وتكمل:

. جهز أوراقك وأنا همضيلك عليها

أومأ المحامي برأسه في طاعة:

. هحتاج من حضرتك مشوار للشهر العقاري مع مدام نسمة

. هجهز الأوراق وأبلغكم

التفت المحامي مغادرًا مرة أخرى يصحبه رائد

بينما مدحت يموج غضبًا ويتطلع لأمه بعدم رضا

. إيه اللي هتعمليه ده يا أمي

رفعت نظرها لولدها بتحذير أن يزيد كلمة:

. هعمل اللي المفروض يتعمل

دكت عصاها بالأرض مرة أخرى غضبًا وقهرًا

ودموعها التي حفظت طريقها لا تجف:

. كنت مستنياه هو اللي يورثني مش أنا اللي

أورثه

غصت بدموعها تكمل من بين شهقاتها:

. فلوس نادر لولاده وأنا ربنا يصبرني لحد ما

أقابله تاني

ارتمت نسمه على كتف السيدة درية تقبله

وتحتضنها بتقدير:

. ربنا يبارك في عمرك يا ماما

و الآخر قد كُبلت يداه وعاد خالي الوفاض

***

البعض يدعي القرب وهو البعيد والآخر وإن

تفرقت به الطرقات ظل من القلب داني

كذلك كانت صديقتها ريم التي باعدت بينهما الحياة وفرقتهما مشاغلها لكن عند الحاجة كانت الأخت التي لم تنجبها أمها؛ حضرت ريم منذ الصباح الباكر وساعدت السيدة زينب والدة نسمة في إعداد طعام للصغار، لاعبت الصغير تصرف انتباهه عن جلسة المحامي المحتدمة بصالة البيت وحاولت مداعبة نادين التي ما استجابت لها، فور انصراف الجميع كانت تجاور نسمة التي لازالت تتطلع للمظروف المغلق بتيه، قبضت على كفها بدعم فانتبهت لها:

. أنا مش فاهمة حاجة!

ربتت على كفها بحنو:

. مش مهم تفهمي، المهم تعرفي هتعملي إيه دلوقت

شردت نسمة في الفراغ تتذكر كلماته تحاول البحث عما أخفاه خلفها دون جدوى، طلبه الذي يلقي على عاتقها حملًا لا قِبل لها به:

. هعمل اللي كان عايزة

وجهت نظرها لصديقتها تتأرجح بين خوف ورجاء وأكملت

. هنزل الشركة زي ما طلب

تفتكري هقدر!

شددت ريم من قبضتها على كف نسمة:

. أكيد تقدري، ونادر كان متأكد أنك تقدري

على ذكر اسمه عادت عيناها للتعلق باسمها

على المظروف المغلق تناشده البوح بسره الذي

ترغبه وتخشاه في آن واحد قطع أفكارها صوت

جرس الباب الذي فتحته السيدة زينب و

صوتها الذي وصلهما وهي ترحب بالطارق و

تدعوه للدخول، تطلعت ريم للمقبل عليهما

بوقار، رجل في منتصف عقده الخامس شعر

قصير باللون الأسود الداكن زحف الشيب لفوديه بخجل ولحية مشذبة اختلط بها الأبيض و الأسود في تناغم مع قمحية بشرته وسواد عينيه، أتاه صوت نسمة مرحبًا:

. اتفضل يا باشمهندس محمود

جلس محمود بالأريكة المقابلة لهما بوقار وبعد بضع كلمات مواساة لنسمة وجد من واجبه إطلاعها على الأمر:

. أنا عارف أن الوقت مش مناسب لكن واجبي أني أقول الكلام ده

شهق فملأ صدره بالهواء ثم زفره ببطء قبل أن يكمل:

. شركتنا الحمد لله فازت بمناقصة كبيرة و عامل الوقت مهم

تطلع لنسمة بجدية يؤكد على أهمية كلماته:

. باشمهندس نادر الله يرحمه كان مجهز كل أوراقها لكن الموردين محتاجين تحويل قيمة المقدم علشان يشحنوا البضاعة

تطلعت نسمة له بعدم فهم قبل أن يكمل:

. باشمهندس نادر بس اللي كان يعرف رصيد الشركة في البنك بس أنا تحسبًا أن إجراءات

البنك تتأخر كلفت المحاسب يكلم عملاءنا وبنحاول نجمع أي مبالغ لينا من السوق مباشرة

شردت نسمة في الفراغ قليلًا قبل أن تعود بنظرها لمحمود تسأله مقصده:

. أنا أقدر أعمل إيه

أخفض محمود نظره للأرض يعلم أنه لا يمنحها الوقت الكافي للملمة شتات نفسها لكنه مضطر:

. مطلوب من حضرتك تتواجدي في الشركة و تظهري في الصورة

. ده هيدي الموردين ثقة أن الكيان مستمر زي الأول

ضم قبضتيه بضيق وأكمل إيضاح مخاوفه المشروعة:

. حجم الصفقة كبير ولو الموردين قلقوا هيطالبوا بكامل حقهم قبل الشحن وده أحنا مش هنقدر عليه، ده غير أنهم لو حسوا بعجزنا عن الوفاء بثمن الصفقة مش بعيد يسحبوا مننا الوكالة

تنهدت نسمة وأغمضت عينيها تستجمع أفكارها قبل أن تجيبه:

. حاضر يا باشمهندس، هتلاقيني في الشركة في أقرب وقت

أومأ محمود برأسه مشجعًا:

. وأنا هكون مع حضرتك في كل خطوة ماتقلقيش

أنهى حديثه واستأذن مغادرًا، دخول منزل الصديق الراحل لأول مرة لم يكن بالهين عليه ،لكنه كان واجبه تجاه من اعتبره أخًا لسنوات يعلم كم بذل من جهد لبناء شركته التي شهد معه أولى خطواتها وقد كانا بمفردهما تمامًا يقومان بكافة الأعمال توفيرًا لرواتب موظفين

لا يستطيع نادر الوفاء بها في بداية طريقه، و كما كان نادر سندًا له في أشد أوقاته فقد عاهد نفسه أن يكون السند لأسرته ليحفظ له جميله الذي طالما طوّق عنقه به ويحفظ لأبنائه ما بقي من والدهم.

***

أسيرة هي ولا سبيل للفِرار لذا أعلنت استسلامها باكرًا وقررت التكيف مع أسر تراه ،بأسوأ حالاته أفضل من كنف أبٍ عاق فزوجها على غلاظة طبعه يكفل لها حياة كريمة طالما افتقدتها ببيت أسرتها وإن أتبع هذا بالمن

والأذى لكنه يظل أفضل من أذى والدها من وجهة نظرها خاصة وأن عمله يتطلب غيابه شبه الدائم عن المنزل مما يكفل لها التمتع ببعض الحرية بعيدًا عن ناظريه وهو ما تحياه الآن بعد أن تأكدت من سفر حسام لعدة أيام فدبت الحياة بروحها استيقظت ففتحت النوافذ تسمح لأشعة الشمس بالتسلل ومنح بعض الدفء لأيامها، نثرت ذرات معطر برائحة اللافندر المحببة لنفسها بالجو وعلى المفروشات ،و دلفت مطبخها تعد ما تشتهيه من طعام بدأت بقطع من صدور الدجاج المتبلة بعناية

فصدمتها بمقلاة شديدة السخونة لتتسلل إلى أنفها رائحة الشواء الشهية، اطمأنت لنضج الدجاج فرفعته من المقلاة وأضافت مكعب من الزبد أتبعتها بشرائح من فطر عش الغراب الذي تحبه ثم أعادت صدور الدجاج مرة أخرى للمقلاة وصبت كوبًا من الكريمة وطعمتها ببعض الملح و قليل من الزنجبيل الطازج، انتقلت بعدها لصنع الحلو الذي تشتهيه، فضت الكيس المُعبأ قبلًا فأفرغت محتوياته بطاجن من الفخار أضافت بعض من المكسرات ثم اتبعتها باللبن الساخن المُحلى بالسكر

وأضافت بعض من الكريمة المخفوقة مسبقًا قبل أن تتركها تُكمل نضجها بالفرن

تركت مطبخها وتوجهت إلى غرفة نومها صففت شعرها الذي أهملته طويلًا ثم زينت وجهها بمستحضرات التجميل التي ودعتها منذ زمن فاستعادت بعض من جمالها السابق بدلت ملابسها بأخرى عصرية ناسبت انتفاخ بطنها و نثرت عليها عطرها تبعث بعض من بهجة بنفسها.

سمعت صوت جرس الباب فتوجهت إليه اطمأنت على هيئتها بالمرآة المجاورة للباب ثم

فتحته ليقابلها بابتسامته الرائقة التي افتقدتها جذبت كفه فدلف يضاحكها ويطبع قبلة على وجنتها وهي تبادله ضحكاته ثم تجذبه فتتعلق برقبته هامسة:

. وحشتني

الفصل السادس

إن الإنسان لا يموت دفعة واحدة

و إنما يموت بطريقة الأجزاء

كلما رحل صديق مات جزء

و كلما غادرنا حبيب مات جزء

و كلما قُتل حلم من أحلامنا مات جزء

فيأتي الموت الأكبر ليجد كل الأجزاء ميتة

فيحملها و يرحل

جبران خليل جبران

فور انصراف صديقتها تركت طفليها بصحبة والدتها وأخيها ودلفت غرفتها في خلوة مع كلماته الأخيرة التي بعث بها إليها، جلست على الفراش وقربت الخطاب من أنفها تتنسم بقايا عطره الذي لايزال عالقًا به، فضت المظروف بيد مرتعشة وقرع خافقها خلف ضلوعها يتسارع لهفة وخوفًا وبشفتين مرتعشتين التهمت الأحرف أمامها

حبيبتي و نصف روحي

لا أدري إن كان هذا الخطاب سيصلك يومًا ما أم لا

ربما عدتُ بعد ساعات، أيام أو ربما سنوات للمحامي ،فاستعدته ومزقته فلن يصلك قط لكن إن قُدّر له الوصول ليديكِ و في حال كنتِ تقرأينه الآن فهذا يعني أنني قد غادرت إلى دار الحق.

عند هذه اللحظة توقفت عيناها على الكلمات ومنعتها غلالة الدموع رؤية ما بعدها، تساقطت القطرات تُبلل أحرفه التي خطها بغفلة عما تفعله بروحها، أجبرت جفنيها على الانفراج توقًا لكلماته القادمة

حبيبتي، كنتِ لي نعم الزوجة، نعم الصديقة و دائمًا وأبدًا نعم السند والآن قد حاولت بوصيتي أن أُبلغك شكري، الذي لن تفي به كلمات

عُشّنا الذي طالما كان دافئًا بروحك، وملأت السعادة ربوع قلبي بين ذراعيك فيه هو حق خالص لكِ ودين كان بعنقي قد تأخرتُ بسداده فعذرًا مالكة قلبي.

أعلم أيضًا أنني بوصيتي قد وضعت على كتفيك حِملًا أنت له أهل، أثق تمام الثقة أنك ستؤدين الأمانة كما أردتها وزيادة وغفرانًا أعلم

أني سأحصل عليه إن أثقلتُ كاهلك فلا ثقة لي بغيرك حبيبتي.

وختامًا رفقًا بقلبك الغض فلا يليق به سوى سعادة يستحقها.

المحب لآخر أنفاسه: نادر

أنهت خطابه وضمته لصدرها علّه يطفئ نار شوقها لصاحبه استلقت على فراشها والبرودة تزحف من أطرافها فتتملك سائر جسدها قلبها يقرع بهلع علّه يعيد ضخ الدماء الهاربة بعروقها مرة أخرى دون جدوى، دار بها الفراش و ضاقت أنفاسها مع ارتعاش جسدها، جذبت

سترة منامته المجاورة لها وارتدتها فوق منامتها تعيد بث الدفء بنفسها وعبقه يتسلل لها فيمنح روحها السكينة، غطّت في نوم عميق جافاها وهو يحتويها بأحلامها فيعيد الهدوء لنابضها المُتعب.

في الصباح نهضت باكرًا عازمة على تلبية رغبته، استقبلتها السيدة زينب ببسمة حنون و قد أعدت طعام الإفطار للصغار، جلس نور يتناول إفطاره أمام قنوات الكرتون بينما نادين صامتة تلوك ببطء ما تقيم به جسدها بالكاد تطلعت إليها والدتها بدهشة فملابسها الرسمية

السوداء بالكامل تنم عن عزمها الخروج فلم تخفي دهشتها:

. على فين بدري كده؟

ملأت نسمة صدرها بالهواء:

. رايحة الشركة

تطلعت إلى صغيرتها الشاردة تعيدها لعالمهم الذي انفصلت عنه بإرادتها تدرك عمق ألمها فقد خبرته سابقًا عند فقد والدها وإن كانت أكبر عمرًا لكنه يبقى ندبة بالروح تشفق على صغيرتها من أثرها، عزمت على إخراجها من عزلتها فلا سبيل لعناد القدر:

. كلمي زمايلك شوفي اللي فاتك

ثم أشارت لها وشقيقها مكملة:

. من يوم الحد هترجعوا المدرسة

والتفتت تلتقط سلسلة مفاتيحها وتغادر باترة

اعتراض الصغيرة الذي لاحظته،

استقلت سيارتها والذكرى حاضرة بقوة يوم

منحها مفاتيحها مفصحًا عنها كإحدى هداياه:

. بس أنا من يوم ما سبت الشغل ما بخرجش

غير معاك تقريبًا

احتوى كتفيها بذراعه كعادته:

. أفرضي ما كنتش موجود واحتاجتي حاجة أنت أو الولاد

و أشار لنفسه بغرور هو أبعد ما يكون عنه مكملًا

. و بعدين مدام نادر الكيال ما ينفعش تركب تاكسي

فرّت دمعة وحيدة من عينها مسحتها فورًا و هي تنطلق بسيارتها حيث تبدأ أولى خطواتها بحياتها الجديدة.

دلفت مكتبه بعد طريق قطعته بخطوات واثقة و قلب يرتجف خوفًا من القادم وسط ترحاب

الموظفين وعزاءهم، طالعت المقعد الجلدي خلف المكتب وطيفه الجالس هناك يراودها تقدمت بوجل تتحسس المقعد قبل أن تجلس فخطف نظرها صورة عائلتها التي وضعها لتواجهه حيث كانت تجلس عن يساره يحيط كتفيها بذراع ويحتضن نور المستريح على ساقه بذراعه الأخرى ونادين خلفه تحيط عنقه بذراعيها في احتضان وتلصق وجنتها بوجنته ببسمة رائقة سعيدة لا تعلم أتستطيع إعادتها لابنتها مرة أخرى أم لا؟ وكيف السبيل بعد فقدانها لفارسها الأول والأوحد.

طرق خافت على باب المكتب دلف بعده محمود ليخرجها من شرودها، تقدم برزانته المعهودة وجلس على المقعد أمام المكتب و بيده عدة ملفات وضعها أمامها وهو يوضح:

. دي آخر عمليات للشركة عايزك تدرسي الملفات دي كويس

اختار أحدهم ووضعه جانبًا قبل أن يكمل:

. ده ملف آخر و أهم مناقصة

أشار لباقي الملفات وهو يدرك ارتباكها وحيرتها:

. لو ما فهمتيش حاجة أنا موجود ما تقلقيش

أومأت برأسها إيجابًا براحة لوجوده فهي على مدار سنوات زواجها لم تكن سوى زوجة وأم رغم أن نادر كان كثيرًا ما يحدثها عن عمله تفاصيله، صفقاته، علاقاته، وحتى خسائره التي تكبدها ببداية حياته إلا أن ذلك لا يصنع منها سيدة أعمال بديلًا عن سيدة منزل بين ليلة وضحاها، تعلم ثقة نادر بمحمود لكن كلماته أنها لا يجب أن تثق بأحد سوى نفسها لا زالت تؤرقها، تنحنحت قبل أن تقول:

. شكرًا يا باشمهندس

ابتسم محمود بحبور ونظرته تمنحها مزيدًا من اطمئنان قبل أن يضيف:

. أنا بعتت إيميلات لكل الموردين بتوعنا أبلغهم أن النظام هيستمر زي الأول وبعد إذنك مضيت باسمك كمدير وصاحب للشركة

رفعت حاجبيها دهشة مما فعل وهو يضيف بابتسامة

. والموردين الرئيسيين بتوع آخر مناقصة بالذات بلغتهم أن أول دفعة ممكن تتأخر بسبب إجراءات بنكية مش أكتر

أخفضت رأسها تريد أن تثق بحديثه وأفعاله و تخشى القادم في الوقت ذاته:

. أنا سألت أستاذ فتحي وقال إن الإجراءات ممكن تاخد أسبوع أو عشر أيام

منحها نظرة موافقة وهو يتفهم ما تقول ويؤكد:

. وأنا طمنتهم أن الدفعة موجودة والتحويل مسألة وقت

ضرب بكفه على المكتب وهو ينهض يمنحها بعض الحرية:

. أسيبك مع الشغل وأنا في مكتبي

أغلق الباب خلفه وتركها تطالع ما منحها إياه

***

عالم الأحلام ممتع خاصةً حين ترى حلمك يقترب رويدًا وإن كان لايزال صعبًا لكنه ليس بمستحيل، هو رجل الحلم والسعي حتى الوصول مهما طال طريقه.

طرق باب مكتبها برفق قبل أن يدلف عقب سماع إذنها بالدخول، وجدها خلف مكتبها تجمع خصلاتها خلف رأسها ملابسها الرسمية وعويناتها الطبية أضفتا عليها مزيدًا من الوقار تقدم برشاقة وجلس أمام مكتبها يقدم ما بيده

. تاسك العملي اللي طلبتيه يا دكتور

تناولت ريم الملف من يده وفتحته تطالع ما به قبل أن تقول بجدية تواجه بها نظراته المربكة:

. أنا شايفة نشاط كويس

مدت يدها بمظروف أعدته مسبقًا:

. ده التاسك الجديد

تناول المظروف وتلامست الأنامل بعفوية أرسلت رعشة بجسدها أجادت إخفاءها خلف صرامة نبرتها:

. شد حيلك يا دكتور دي آخر فرصك للدكتوراة

دس المظروف بجيب حلته وامتدت يده ترفع إحدى خصلاته عن جبهته وعيناه المحيرتان مركزة بعمق خاصتها

. أنا مطمن لأن المرة دي حضرتك المشرفة

أخفضت نظراتها تستعيد رباطة جأشها، لأول مرة و على امتداد سنوات عملها يربكها ،أحدهم و يشتت تركيزها بعيدًا عن عملها نهض يطلب الإذن بالانصراف و هو ما منحته له محاولة تملك زمام أمرها مرة أخرى، تنهر

نفسها تارة على ارتباكها و تذكرها تارة أخرى أنه يصغرها سنًا و دماثته ما .هي إلا احترام من طالب تجاه المشرف

تركها خلفه وعاد للغرفة الخاصة به وزميله عصام، قابله الآخر ببسمة مستفهمة:

. إيه الأخبار

جلس ماهر خلف مكتبه ورفع نظره إليه يرد سؤاله بآخر

. أخبار إيه؟

. الدكتوراة

أخرج ماهر المظروف من جيب حلته وفضّه استعدادًا لتنفيذ المطلوب وهو يجيب الآخر بعملية:

. آديني شغال بكل جهدي

حك الآخر ذقنه بسبابته وإبهامه ونبرته الخبيثة تشي بنيته:

. طب والدكتورة؟

عاد ماهر إليه بنظرة محذرة وشرارات الغضب تنتشر بالغرفة:

. قصدك إيه؟

دار عصام حول مكتبه برويه وهو يفصل كلماته ببطء مغيظ:

. أنا ...ملاحظ ....نظرات...ابتسامات نهض ماهر بعنف عن كرسيه يشهر سبابته بوجه الآخر يمنعه الاسترسال:

. إيه اللي بتقوله ده، دكتورة ريم فوق مستوى الشبهات

ضم قبضته بغضب يكظم غيظه محاولًا عدم رفع صوته حتى لا يصل لمن بالخارج

. دكتورة ريم المشرفة بتاعتي أي كلمة زيادة عن كده هعرف أرد عليك بس برة المكان ده

اتجه للخارج وسط نظرات الآخر المستخفة به وقبل أن يفتح الباب التفت يطالعه بنظرة مُحتقرة

. مش علشان خايف منك لأ

. علشان هي متستاهلش سمعتها تتلوث بلسان واحد زيك

و صفع الباب خلفه و رأسه يغلي غضبًا

***

طفلة هي حائرة بين الجميع تندفع برعونة نحو أنوثتها، تبحث بتخبط عمن يشبع حاجاتها المفقودة، بعد مدرستها توجهت للنادي الذي بات بديلها الدائم، ارتدت زي التدريب و

نزلت أرض الملعب تضرب الكرة مرة فتُخرج غضبها المكبوت وأخرى تبحث عن مرشد و ثالثة تسب واقعها الذي فُرض عليها، أنهت مباراتها وانتبهت على تصفيقه وصافرته المنطلقة من المدرجات، لؤي بات رفيقها الدائم رغم فارق السن بينهما فقد أتم عامه العشرين منذ أيام، يدرس بالسنة الثانية بأحد المعاهد الخاصة، يعلم دائمًا أين يجدها وكيف يُسرّي عنها وقت حزنها ويمنح شفتيها البسمة التي تفتقدها، التقطت بعض أنفاسها وتناولت منشفتها تجفف عرقها المتساقط، جلست

جواره بمنتصف المدرجات الفارغة تستند بمرفقيها لمقعدها وتمد ساقيها على ظهر المقعد الآخر أمامها، مر بصره على ساقيها المشدودتين بعضلات ظاهرة ومفاتنها التي بدأت في الظهور على استحياء رغم نحافة جسدها، مد ذراعه يستند لظهر مقعدها فتلامست مع مرفقيها، اعتدلت في جلستها و نظرتها تؤنبه، عكست أشعة الشمس عسل عينيه الفاتح مع دكنة بؤبؤه فمنحته نظرة ثعلب صحراء، امتدت كفه الأخرى تعدل من وضع خصلاته السوداء التي استطالت فجمعها

خلف رأسه في ذيل حصان ثم أخرج علبة سجائره وأشعل تبغه ينفسه في الهواء ببطء، مد كفه لها بالعلبة:

. سيجارة؟

طالعت العلبة بيده وأشارت برأسها نفيا:

. عندي بطولة قريب

أغلق العلبة ودسها بجيب قميصه:

. و إيه يعني دي واحدة

وجهت بصرها تجاه الملعب بشرود وهي تهمس لنفسها وكأنه غير موجود:

. ولا واحدة، أنا معنديش غير التنس

قطع شرودها صوت هاتفها فالتقطته تتلقى مكالمة والدها:

. ألو بابي

أتاها صوت فارس بحنو يسألها عن مكانها فأجابت:

. في النادي

وبعد حديث قصير أجابت بتردد وعيناها تتلفت حولها بحثًا عنه:

. خلصت وقاعدة مع أصحابي

اطمأنت عندما أتاها صوته يؤكد أنه لايزال في طريقه إليها دقائق وكان ينتظرها بسيارته أمام بوابة النادي، ودعت صديقها والتقت بفارس الذي انطلق بالسيارة دون أن تعلم وجهته لكنها لاحظت اتخاذه الطريق تجاه منزل والدتها فسألت:

. أحنا رايحين فين؟

التفت لها بطرف عينه بنظرة خاطفة وهو يجيب:

. هروحك

انتفضت بملل تسأله باستنكار:

. دلوقتِ؟!

رفع كفه عن المقود يلوح به ونظراته تتنقل بينها وبين الطريق أمامه:

. أيوة دلوقت أمال أنتِ بتروحي أمتى؟

عقدت ذراعيها أمام صدرها بنزق والتفتت للجهة الأخرى تطالع الطريق دون إجابة،

راقب فارس سكناتها فصف السيارة على جانب الطريق واعتدل بجسده يواجهها

. مش عايزة تروحي دلوقت ليه؟

التفتت تواجهه لا تجد إجابة سوى الصمت الذي زاد من قلقه:

. في حد بيضايقك هناك؟

أخفضت نظراتها للأرض فلم يجد سوى الإفصاح صراحة عن خوفه لعلها تؤكده:

. حسن عملك حاجه؟

اتسعت عيناها هلعًا وقد فهمت ما وصل إليه تفكيره، هزت رأسها نفيًا وهي تؤكد:

. أنكل حسن عمره ما عملي حاجة

كانت تنفي عنه تهمة الإيذاء الجسدي و كلماتها تؤكد بنفسها على تجاهله لوجودها بالبيت طيلة الوقت وما تلاقيه من أذى التهميش لكن ما وصل لفارس هو راحة من

أفكار أرقته طويلًا رغم أنه لازال لا يستطيع الوصول لسبب هروب ابنته الدائم:

. طيب قوليلي إيه اللي مضايقك

لانت نبرته وهو يحاول حثها على البوح:

. أتكلمي يا لمى لو في مشكلة ندور على الحل

ترددت الصغيرة فعلى مدار أعوامها القليلة لم تجرب البوح لأحد والديها، تعلم وضعها جيدًا وما قرراه عنها ولا تجد بدًا من تمرير الأيام كيفما كان فما جدوى الحديث عن بيت لا تملكه، أسرة تفتقدها وكل منهما بات بواديه

المستقل اختلقت أسبابًا تعلم كم هي واهية في محاولةٍ لمواراة أسبابها الحقيقية:

. محمد و مصطفى و سها على طول عاملين دوشة وخناقات وأنا بزهق من البيت

مال برأسه للجانب قليلًا لا يقتنع بسببها قيد أنملة لكنه جاراها:

. دول اخواتك يعني المفروض تلعبي معاهم و تاخدي بالك منهم

تذمرت لمى تلوح بكفها وهي تجيب باستنكار:

. ألعب معاهم إيه يا بابي دول أطفال

ضحك فارس في محاولة لتلطيف الحوار:

. يا ستي تلاعبيهم أنت أختهم الكبيرة يعني مثلهم الأعلى

عبث بخصلاتها في مرح محاولًا رسم بسمة على وجهها وهو يخبرها بلا مجال للنقاش:

. هروحك دلوقت ووعد كل يوم فاضي عندي بعد الشغل نقضيه مع بعض

ابتسمت الصغيرة بخفوت تستجيب لوالدها الذي أدار محرك السيارة مرة أخرى وودعها حيث تسكن والدتها

***

قاسية تلك الأيام تسلب الأم ابنها البار، تُفقد المرأة زوجها وتُيتم صغارها في ساعة خاطفة من عمر الزمان، ومعهم فقد أخٍ أكبر طالما اعتز به كرجل وصديق دون اعتبار كونه زوج شقيقته أغلق الهاتف مع فارس الذي أبلغه على مضض بغلق محضر الحادث دون عقاب للمُتسبب المجهول، ظالمة تلك الدنيا التي تسمح للجاني بالفِرار ولا عزاء للمُتضرر، أنهى عمله واستقل سيارته قاصدًا بيت أخته الذي بات وجهته اليومية، منذ الحادث، والدته تقيم بصحبتها وهو يقضي معهم نصف يومه، يبيت

ليلته ببيت أسرته وصباحًا يتجه لعمله ومنه لبيت أخته واليوم عزم على الترويح عن الصغيرة الفاقدة للروح وهي على قيد الحياة بناءً على طلب نسمة التي تعلم قرب شقيقها الوحيد من طفليها وحبهما اللامحدود له، يعلم أن طريقه شاق فالصغيرة منفصلة تمامًا عن عالمهم منذ الحادث، نظراتها زائغة وكأنها تبحث عن رجلها الأول بينهم دون جدوى، تجيبهم بالكاد وبكلمات مقتضبة تكاد لا تُسمع،

بالأمس لاحظ خروجها من غرفة والديها تحمل معطفًا يخص نادر ودسته بخزانة ملابسها

مسكينة تلك الصغيرة التي تلقت أقسى صفعات الحياة باكرًا، وصل وجهته وصف سيارته أسفل البناية، صعد سريعًا يعود لسابق عهده في طرق الباب بطرقات سريعة مُنغمة يحفظها الصغار وإن آلمه قلبه وامتنع عن فعلته في الأيام السابقة مكتفيًا بجرس الباب المعتاد من خلف الباب سمع نداء نور باسمه قبل أن يفتحه، رفع رائد الصغير على كتفه ورأسه تتدلى خلف ظهره كعادته مع تعالي ضحكات نور، طبع قبلة على وجنة الصغير وهو يُنزله أرضًا ووجه حديثه :لوالدته

. فين نسمة و نادين؟

وجهت السيدة زينب بصرها تجاه غرفة الصغار وردت بأسى:

. نسمة لسة ما رجعتش ونادين ما خرجتش من أوضتها من الصبح

ضاق صدر رائد حزنًا وهو يخفض رأسه ويتجه للصغيرة المنعزلة، طرق على الباب المفتوح فلم تجبه، دلف والغرفة تغرق بالظلام رغم انتصاف النهار، امتدت يده تفتح الستائر فسمح لضوء الشمس بالدخول، انقبضت جفني نادين بفعل الضوء المباغت، وضعت كفها أمام عينيها

فرأت رائد الذى استند بظهره إلى مكتبها وعقد ذراعيه أمام صدره يناظرها بتحدٍ، تجاهلته نادين والتفتت بجسدها للجهة الأخرى تسحب الغطاء على وجهها، قطع المسافة بخطوة و بحركة واحدة رفع الغطاء عن كامل جسدها متزامنًا :مع زعقتها

. سيبني يا رائد عايزة أنام

لاحظ معطف نادر جوارها ومسبحته الخاصة براحة يدها فكتم ألمه وهو يجيبها:

. قومي عايزك في مشوار

طالعته بدهشة لا تقوى على تفريج جفنيها المنتفين

. مشوار إيه أنا مش هخرج

تجاهل اعتراضها وفتح خزانة ملابسها فأخرج بنطال من الجينز وبلوزة بلون القهوة مع معطفها الصوفي ووضعهم جوارها وهو يجذب :كفها يجبرها على الوقوف ويشير للملابس

. مفيش اعتراض

دبت بقدمها الأرض غضبًا ودموعها التي لم تتوقف عادت تعلن بقوة عن وجودها:

. قلت مش عايزة

وكأنها لم تعترض توجه نحو باب الغرفة وقبل أن يخرج ويغلقه:

. خمس دقايق وهدخل تاني لو ملبستيش أنت حرة

رفع كفيه بمحاذاة كتفيه:

. أنا مش مسئول عن اللي هيحصل ساعتها ولا عن محاضرات نسمة عن الخصوصية ومكافحة التحرش

حصل على بسمة باهتة لم تتعد شفتيها ومع غلقه للباب استسلمت على مضض وبدلت ملابسها، جمعت شعرها دون ترتيب وخرجت

ليستقبلها رائد الواقف جوار باب غرفتها بحركة مسرحية ينحني بجذعه وأحد ذراعيه خلف ظهره والأخرى تمتد تلتقط كفها:

. my princess

منحته كفها فعلقها بذراعه متجهًا للخارج حيث أوقفهما نور:

. أنتو خارجين؟ خدوني معاكم

جلس رائد على ركبتيه بمحاذاة الصغير يخبره بجدية:

. دي خروجة بنات

ضم كفه ورفعها للصغير الذي قابلها بكفه المضمومة:

. ليك عندي خروجة رجالة

رمقه نور وأضاف ببديهية:

. هي خروجة بنات أنت خارج ليه؟

كتم رائد ضحكته المتسلية وحافظ على جديته:

. أنا هوصلها بس علشان ما تركبش تاكس

ضيق نور عينيه وربت بسبابته على ذقنه بتفكير

. و أحنا هنخرج أمتى؟

. بكرة

سارع رائد بالإجابة وأضاف:

. فكر عايز تروح فين وأنا موافق

رفع الصغير سبابته بسعادة:

. نروح نلعب كورة

منحه رائد موافقته ورفع كفه في الهواء تلاقي كف الصغير علامة على الاتفاق، عاد رائد يلتقط كف نادين ويصحبها خارج المنزل وهو يهمس:

. خلصنا من اللمض

ضحكت نادين بخفوت، فتح رائد باب السيارة فركبت وهو ينحني مجددًا ناعتها بأميرتي، انطلق بالسيارة لأحد مطاعم العاصمة فتناول بصحبتها وجبة الغداء التي تناولتها نادين بشهية متوسطة، بعدها اصطحبها لأحد :المجمعات التجارية الكُبرى بالعاصمة

.my princess

تسمحلي أعزمها على السينما

ابتسمت نادين بصدق لمحاولاته التسرية عنها و أومأت برأسها إيجابًا، اختارت فيلم عن عصر الديناصورات بقاعة السينما ذات الأبعاد

التسعة، ابتاع رائد علبتين من حبات الفُشار الساخنة وأخذ كل منهما مقعده ومع بداية العرض كانت الحبات تتطاير على ملابسهما مع تحرك المقاعد وتطاير رذاذ الماء المصاحب للفيلم، صدحت ضحكة نادين وهي تحاول السيطرة على علبة الفُشار دون جدوى ورائد كذلك، انتهى العرض الممتع ولاتزال ضحكاتها مرتسمة على وجهها، احتوى رائد كتفيها بحنان وتعلقت عيناه ببسمتها:

. ربنا يخلي لنا ضحكتك يا نودي

بعدها أصر رائد على شراء ملابس تنكرية لها كانت تود اختيار شخصية (سندريلا)لكن رائد رفض بشكل قاطع:

. الأميرة لازم تلبس أميرة

التمعت عينا نادين وهو يختار الزي الخاص بشخصية (رابنزل) الذي أحبته خاصة ذلك الشعر المستعار المجدول في ضفيرة تكاد تلامس الأرض.

في نهاية اليوم أقلّها للبيت في ساعة متأخرة من الليل وهو يمازحها:

. نسمة كده هتطردنا من على السلم

تركها بعد أن احتواها بين ذراعيه في ضمة حنون وطبعت هي قبلة على وجنته مع همستها بأذنه:

. شكرًا

***

حين تختبر الحرمان لسنوات ثم تجد الفرصة لتعويض بعضٌ مما فاتك فهل تتردد؟

الإجابة حتمًا بالنفي خاصة وإن كان التعويض مُقدم على طبق من فضة وهو ما تلاقى به مع هند التي أعدت مائدة عامرة بالطعام والفاكهة جلس يلتهم قطع الدجاج بنهم وهي تشاركه

بسعادة افتقدتها لشهور منذ آخر لقاء به لاحظت إنهاءه لصحنه فسألت:

. أجيبلك بيكاتا تاني؟

جلجلت ضحكته بالمنزل وهو يصفق بكفيه المفرودين مصدرًا ضجيج:

. بقيتي تطبخي زي الباشوات وتتكلمي زيهم

ضحكت بينما تلملم الصحون وتنقلها للمطبخ ونبرتها تؤكد:

. ما أنا بقيت منهم

استلقى على الأريكة باسترخاء يمسك بجهاز التحكم عن بعد ويقلب بقنوات التلفاز:

. والله وعيشتك ارتاحت يا هند

جلست جواره فاعتدل يحيط كتفيها بذراعه يمسك بإحدى خصلاتها يلفها على سبابته تطلعت إليه بشرود تتذكر معاناتها وما تكبدته لسنوات:

. العيشة دي أنا دافعة تمنها غالي قوي

نظر إليها بلامبالاة وهو يؤكد بسبابته:

. مهما كان التمن بس نفدتي من الفقر

ابتسمت بحنان تربت على كفه الحرة:

. تعرف، أنت اللي مصبرني على العيشة دي

ارتفع رنين هاتفها الجوال معلنًا عن اتصال من زوجها، أمسكت بالهاتف تشير للآخر بالصمت

. مش عايزة نفس

استجاب واضعًا كفه على فمه يكتم ضحكته الساخرة بينما هند تنهي مكالمة زوجها سريعًا وألقت بالهاتف بملل:

. هقوم أجيبلك أم علي تحلي

دلفت للمطبخ بينما هيثم يتجول بالبيت، وقع نظره على حافظة النقود بحقيبتها المفتوحة

امتدت يده تحصي ما وجد من نقود ودس بعضها بجيبه، في طريقها إليه تحمل طاجن الحلو الذي أعدته قبلًا لاحظت ما فعل فأخفضت نظرها سريعًا تخفي ملاحظتها، قدمت له الحلو الذي التهمه عن آخره بتلذذ قبل أن يهم بالانصراف وعند الباب انحنى يطبع قبلة على وجنتها:

. طالما جوزك مسافر هجيلك بكرة تاني

ربتت على كتفه بسعادة وهي تحذره:

. بس خد بالك لا البواب يشوفك

الفصل السابع

حين تتلقى من الدنيا ضربة قاسمة

فإما الانكسار أو النجاة.

وهي تلقت أقوى الضربات على حين غرة، انقلب عالمها رأسًا على عقب بين ليلة وضحاها ولا سبيل أمامها سوى النجاة بنفسها وأولادها، استلمت دفة القيادة بأسرتها قسرًا واتشحت بقوة وإن ادعتها، تبدأ يومها في السادسة صباحًا، تودع صغارها إلى مدرستهم ثم تستعد لعملها، لأيام قضتها خلف مكتبه الذي بات

يخصها تراقب الجميع، تدرس ما سبق من أعمال وتفهم كل ما يدور حولها بصمت، الحق يقال فمحمود هو من يدير الشركة فعليًا بحضورها، أيام قلائل وأدركت أنه كان أهلًا لثقة نادر وإن حذرها من الجميع، ارتفع رنين هاتف مكتبها الداخلي لتجيب فيأتيها صوت سكرتيرتها أروى:

. أستاذ حسام الشوباشي طالب يقابل حضرتِك

رغم دهشتها من الزيارة منحته الإذن بالدخول، دلف بعد طرقات خافتة، لأول مرة تلحظ هيئته فالمرة الأولى التي قام بتعزيتها فيها لم تكن بحال يسمح لها بالتحقق منه، أربعيني بخصلات قصيرة

سوداء ناسبت دكنة عينيه، بشرة حنطية مائلة للبياض، حلة سوداء ورباط للعنق ناسب هيئة رجل أعمال شاب، جلس أمام مكتبها واضعًا حقيبته على المنضدة الصغيرة أمامه:

. أنا آسف إني جاي من غير معاد

ابتسمت بخفوت مرحبة رغم توجسها من الزيارة:

. تشرب إيه يا باشمهندس

ابتسم بعملية يحل زر حلته:

. قهوة مظبوط

ضغطت زر الهاتف الداخلي تلبي طلبه ثم عادت إليه بنظرة مستفهمة فهمها فأوضح:

. عارف أنك مستغربة الزيارة

اعتدل في جلسته وأكمل:

. لكن لما عرفت أنك نزلتي الشركة كان لازم آجي يمكن تحتاجي مساعدة

إجابته لم تبدد دهشتها وإنما زادت منها فعبرت عنها:

. وحضرتك عرفت منين إني نزلت الشركة؟

جلجلت ضحكته رغمًا عنه، وضع كفه على فمه يكتمها معتذرًا:

. آسف، بس مفيش حاجة بتستخبى في السوق

تقدم من حافة مكتبها يتكئ بمرفقه:

. أنا عارف أن معندكيش خبرة علشان كده حقيقي نفسي أساعدك

أدركت سذاجة سؤالها من الوهلة الأولى وعمدت إلى مواراة ذلك، يبدو أنها بحاجة لتعلم اللعب بالكلمات:

. شكرًا لعرضك يا باشمهندس

أخرج بطاقة هواتفه ووضعها أمامها على المكتب و هو يوضح:

. دي كل تليفوناتي

. صحيح شركتي شغالة في الأثاث لكن أقدر أخدمك

نهض يحكم زر حلته وهو يكمل:

. لو احتاجتي أي مساعدة متترددیش في طلبها

لوح بكفه والتفت مودعا:

. القهوة هشربها المرة الجاية

وأنصرف بثقة من عودته مرة أخرى، تلك الهرة التي جلست بمكان يكبرها بكثير ولم تتعلم الخمش بعد حتمًا بحاجة لحماية من نوع خاص لا يدركها إلا من كان مثله، براءة ملامحها وارتباكها الواضح بموقعها لمسا جزءً خفيًا بنفسه.

على الجانب الآخر كانت تمسك ببطاقته تقلبها بين كفيها وتستدعي محمود الذي بات مرشدها وما إن دلف حتى بادرت:

. تعرف حد اسمه حسام الشوباشي؟

عصف محمود ذهنه قبل أن ينفي بهزة رأس،

صمتت برهة قلبت خلالها البطاقة مرة أخرى:

. شركة الأثاث الحديث

أومأ محمود برأسه يجيبها:

. أسمع عنها بس مفيش تعامل بيننا

هزت نسمة برأسها وأكملت:

. بيقول أنه كان يعرف نادر من السوق

دهش محمود وأضاف:

. يجوز يعرفه بس أنا معرفوش

لم يستطع إخفاء دهشته وهو يستوضح:

. مين ده و كان عايز إيه؟

أكملت نسمة تفحص البطاقة علّها تفصح عن هوية صاحبها:

.كل اللي أعرفه اسمه

. واللي متأكدة منه أنه جوز صاحبتي

أكملت بشرود:

. بيقول أنه صاحب نادر وجاي يعرض مساعدته

التقط محمود البطاقة من يدها يناظرها بتوجس:

. جوز صاحبتك ماشي، صاحب نادر جايز

مال برأسه يقرأ معلوماته المدونة ببطاقته:

. جاي يساعد! المية تكدب الغطاس

رفعت حاجبها دهشة من منطقه فأكمل وهو يشير بسبابته كأحد دروسه لها:

. اتعلمي تشتري من الناس و ماتبيعيش

اتشحت ملامحة بالجدية كمعلم يسقي تلميذته النجيبة خلاصة علمه:

. خدي من اللي قدامك اللي تقدري عليه و متديش غير اللي عايزة تديه

وضع البطاقة جانبًا بحافظة البطاقات وهو يكمل:

. عمومًا مش محتاجين مساعدة بس السوق يجبرنا نشتري منه

فهمت نسمة منطقه بإعجاب، فإن كان حسام صادقًا بالمساعدة استفادت منه وإن كان لديه غرضًا آخر فمراقبة أفعاله ستمكنها من اكتشافه.

***

عندما يغادرك شطر من روحك تفقد حساب الزمن وتتحول الأيام لساعات من حزن تقضيها في انتظار اللقاء مجهول الموعد، تساوت لديها الأيام بالكاد تقتات ما تقيم به جسدها

فصغيرها الأثير الذي رعته طفلًا فمراهقًا لا يخلو من بعض التهور ثم شابًا مندفعًا للحياة حتى صار رجلًا ملئ الأبصار فإذا بالدنيا تضن عليها به، أخرجها من شرودها صوت باب شقتها الذي فُتح لحظات وكان بكرها يقترب بخطواته من غرفتها التي تلازم فراشها منذ الحادث ولا تتركه إلا للصلاة، اقترب مدحت وانحنى يقبلها بود ثم جلس على مقعد مجاور للفراش، بعد السلام المعتاد لم يستطع كبح لومه لأمه:

. أنا مش موافق على اللي عملتيه يا أمي

حدجته درية بنظرة خبيرة بنفسه، تحفظ ولديها عن ظهر قلب ويكاد قلبها يجزم أن وصية صغيرها بسبب خوفه على صغاره من نفس أخيه ومن خلفه زوجته الأمارة بالسوء، فبعد جلسة المحامي واسترجاعها للحديث أدركت أن وصية نادر كانت في اليوم التالي لزيارته لها، ملأت صدرها بالهواء تجيبه:

. أنا مش هاخد من الدنيا قد اللي خدته

حولت نظرها عنه تشرد بأسى:

. بس ولاد أخوك لسه العمر قدامهم

مال بجسده ناحيتها وهو يؤكد:

. ما هو علشان ولاد أخويا مكانش ينفع تعملي كده

التفتت إليه مستفهمة تحاول استنباط صدق نيته:

. قصدك إيه؟

كز على أسنانه يؤكد على كلماته برفق:

. قصدي أن نسمة بكرة تنسى ومش بعيد تتجوز

استند بظهره للمقعد يكمل بث سمومه:

. ساعتها يبقى بيت نادر وولاده وفلوسه راحوا لواحد غريب

انقبض قلبها لفكرة أن يحل آخر محل ولدها ببيته وبين زوجته وأولاده، تهدج صوتها بحزن تحاول نفي تخوفه:

. نسمة عاقلة وأخوك كان واثق فيها

مط شفتيه امتعاضًا يجادلها بالمنطق:

.كان واثق فيها لما كانت مراته لكن دلوقت....

نهض يتجول بالغرفة وهو يكمل:

. هتصبر قد إيه سنة، اتنين، تلاتة

التفت لأمه يلوح بذراعه في الهواء بنفاد صبر:

. لو قالت هتجوز ما حدش هيقدر يعارضها

طرحت درية ظهرها للخلف تستند لفراشها و أغمضت عينيها ألمًا:

. ما تسبقش الأحداث

فتحت عينيها والكلمات تكاد تخنق روحها:

. حتى لو اتجوزت في يوم، فدي فلوس ولادها ما حدش هيخاف عليهم زيها

جلس مرة أخرى جوار الفراش ونبرته تستعطف أمه في محاولة لأقناعها:

. بس لو كان ليكِ نصيب في الفلوس دي ساعتها نقدر نحمي فلوس الولاد

التفتت إليه بملل من حديثه فقد وصل لبيت القصيد، المال:

. فات أوان الكلام ده أنا خلاص اتنازلت للولاد

أمسك مدحت بكف أمه برفق يربت عليه و يمنحها الأمل الذي جاء من أجله:

. اتنازلتي عن نصيبك كهبة للولاد ومن حقك ترجعي فيها

سحبت كفها من يده بعنف حانقة على تفكير ولدها، كيف تحول لذلك الخبيث وكيف أنجب رحمها مثله فولديها أبلغ تعبير عن المثل الشائع "البطن قلابة"، أشاحت بنظرها عنه تجيبه بحسم:

. أنا مش هرجع في حاجة وآخر مرة تتكلم في الموضوع ده

ود بجدالها مرة أخرى فأشارت له بسبابتها محذرة:

. لو هتتكلم في نفس الموضوع هعتبر ولادي الأتنين ماتوا

وانخرطت في البكاء فما يتحمله قلبها العليل يفوق طاقته بمراحل.

لان قلبه لبكائها وانتقل لجوارها يحتضنها مربتًا برفق ويهمس بأسفه:

. خلاص طالما دي رغبتك

***

هو رجل ابنته الأول، حبها وأول فارس لأحلامها وفارسها كان دومًا الغائب الحاضر و إن اقترب أكثر في عامها الأخير بفعل انتقال عمله للقاهرة بعد سنوات اغتراب قضاها بعيدًا عنها، قرب عدّته متأخرًا فقد كيفت حياتها

وحيدة ووجدت بدائلها وإن لم تضاهيه قربًا وحبًا، كانت كعادتها بعد تدريبها تجلس مع صديقها المُقرب الذي بات الأوحد، وفي نفس موعده تماما بعد نهاية عمله هاتفها:

. ألو بابي خارجة أهو

أتاها صوت فارس الحنون يطلب منها عدم الخروج

. أنا في النادي قلت نتغدى مع بعض

سمعت كلمته فحملت حقيبتها مهرولة خارج المدرجات الفارغة، قابلها فارس عند بوابة الملعب فاحتواها مقبلًا وجنتيها بلطف، دار

بنظره في الملعب فلم يجد سوى أحدهم جالسًا بالمدرجات، أمعن النظر فأدرك أنه ليس المدرب فسألها:

. خلصتي من أمتى؟

لاحظ ارتباك صغيرته، تركها تجيب ولم يعلق:

. من شوية

عاد بنظره للشاب بالمدرجات وسألها صراحة:

. مين ده؟

نظرت صوب لؤي ومن ثم عادت بنظرها لوالدها بارتباك:

. لؤي زميلي

لم تقنعه إجابتها لكنه آثر الصمت والتحقق فيما بعد بطريقته الخاصة:

. طب يالا نتغدى

دلفا مطعم النادي وبعد طلب الطعام تطلع فارس لصغيرته، حالها لا يرضيه، حياتها مرتبكة، ساعاتها الطويلة التي تقضيها خارج المنزل تؤرقه دون قدرة على معرفة السبب:

. لمى ممكن تعتبريني صاحبك مش بابا

رفعت لمى نظرها لفارس، لأول مرة تشعر بقربه لهذه الدرجة:

. أكيد يا بابي

مد كفيه يحتوي كفيها يربت عليهما بحنان:

. يبقى تفتحيلي قلبك

ضم كفيها أكثر يشدد عليهما بدعم حقيقي:

. ما بتحبيش تروَحي ليه؟

أخفضت نظرها دون إجابة بينما هو يكمل:

. قوليلي السبب الحقيقي اللي يخلي بنت زيك تهرب من بيتها بالساعات

انفجرت الصغيرة بالبكاء فجأة فانخلع قلب فارس، انتقل للمقعد المجاور لها وسحب رأسها لصدره، وهي نطقت من بين شهقاتها:

. مش بيتي يا بابي

أبعد رأسها قليلًا ينظر بعمق عينيها:

. ده بيت مامتك يعني بيتك

هزت لمى رأسها نفيًا وأكملت بصوت متقطع:

. ده بيت أنكل حسن وولاده

زاد بكاؤها وهي تتذكر البيت الوحيد الذي اعتبرته ملكًا لها:

. بيتي هو اللي كنت عايشة فيه وأنا صغيرة

شردت قليلًا تسترجع تلك التفاصيل التي افتقدتها:

. سريري ولعبي وحياتي مع مامي، أجازتك اللي كنت بعرف أحسبها قبل ما أتعلم الأيام

أعاد الصغيرة لحضنه مرة أخرى، يؤنب نفسه على غفلته عن معاناتها كل تلك السنوات:

. ليه مقلتيش الكلام ده قبل كده؟

مسحت لمى الدموع عن إحدى وجنتيها وهي تجيب بحسم:

. حضرتك كنت مسافر

صغيرته محقة، أين كان طوال تلك السنوات، بعمله وما النفع إن أضاع أجمل سنوات عمرها وهو غائب:

. البيت ده لسة موجود وهيفضل بيتك طول عمرك

أعادها لمقعدها واحتوى رأسها بين كفيه يمسح دموعها بأنامله مطمئنًا:

. اللي يريحك هو اللي هيحصل

أنهيا وجبة الغداء ثم استقلا السيارة في طريق عودتهم، انحرف فارس في اتجاه منزله بينما يخبر لمى بهدوء:

.كلمي ماما قوليلها أنك هتباتي عندي النهاردة

أطاعته الصغيرة وهاتفت أمها التي ارتفع صوتها على الطرف الآخر ليصل فارس الذي جذب الهاتف من يد لمى وأخبرها بحسم:

. لمى هتبات معايا النهاردة

اعترضت أحلام بانزعاج فعاجلها فارس:

. بنتي وليَ حق فيها زيك وأكتر

ثم أغلق الخط بوجهها دون أن يترك فرصة لردها، التفتت لمى لفارس تناديه برفق:

. بابي

منحها نظرة مستفهمة ثم عاد إلى الطريق أمامه لتوضح:

. أنا مش معايا هدوم أبات فيها

ابتسم فارس بحنان ومد يده يعبث بخصلاتها:

. ولا يهمك نعدي نشتري أحلى بيجامة

نفذ فارس ما عزم عليه وما إن دلفا للمنزل حتى تدفقت ذكريات الصغيرة مرة أخرى، دلفت

غرفتها السابقة وجلست على الفراش الصغير الذي ضاق على جسدها تتحسسه بشوق لأيام عاشتها سابقًا، لاحظها فارس فمازحها:

.كبرتي على السرير يا لومي

. محتاجين نشتري غرفة أميرات بدل الأطفال دي

ضحكت لمى بسعادة حقيقية:

. بس دي أنا بحبها

تقدم فارس منها يطبع قبلة على جبينها بحب:

. وأنا معنديش أغلى منك

تركها تبدل ملابسها ودلف يعد بعض الشطائر للعشاء، طرق باب الغرفة بخفوت فلم ترد، دلف فوجدها قد انكمشت بالفراش الصغير تغط في نوم عميق، وضع ما بيده جانبًا ودثرها جيدًا ومن ثم حمل صينية العشاء وخرج مغلقًا الباب وهو ينوي ألا تعود صغيرته لبيت تكرهه مرة أخرى.

***

هي مزيج من قوة وضعف

عبق الماضي وسحر الحاضر

انثى حظيت من كل فضيلة بنصيب

وضعت هدفها صوب عينيها وخطت نحوه بثبات، أنهت محاضرتها للفرقة الثانية وتركت المدرج في طريقها لمكتبها، وجدته بانتظارها خارج المكتب بهيئته التي باتت تداعب خيالها فتنهره على فعلته، ابتسم بوقار يحييها فردت تحيته بمثلها:

. دكتور ماهر في ملاحظات كتير على جزء الرسالة اللي حضرتك سلمته

انحنى قليلًا وهو يجيبها:

. طيب اسمحيلي أعزمك على فنجان قهوة و نتكلم في الملاحظات

فتحت باب مكتبها هروبًا من نظراته المربكة لكيانها:

. هطلب القهوة في مكتبي

دلف خلفها غرفة المكتب وهو يكمل عرضه:

. هنشربها على حسابي

جلست خلف مكتبها تذكر نفسها بموقعها و بالمسافات الآمنة التي أحاطت بها قلبها طوال سنوات عملها ولم تعقب على عرضه، بعثت بطلب القهوة ثم فتحت أحد الأدراج تخرج

رسالة الدكتوراة الخاصة به، جلس ماهر أمام المكتب باحترام حقيقي يستمع لملاحظاتها، تارة ينظر حيث تشير في الأوراق ثم تخونه عيناه فتغرق بخصلاتها التي جمعتها خلف رأسها برسمية بحته تارة أخرى، أكملت ما تقول ورفعت عيناها فاصطدمت بخاصته المتفحصة تأسرهما في نظرة خاصة لم تواجهها قبلًا، أخفضت نظراتها تفر من أسر عينيه وأكملت بعملية تجيد التمسك بها:

. دي كل الملاحظات، اشتغل عليهم

التقط الملف من يدها وأكمل ارتشاف قهوته ثم انصرف بهدوء، تنفست الصعداء وكأنه

بانصرافه قد أطلق سراح روحها، فلملمت حاجياتها وانصرفت تنهي يومها.

بموقف السيارات الخاص بأعضاء هيئة التدريس لمحته مرة أخرى يهم بركوب سيارته، تجاهلت وجوده واستقلت سيارتها التي ارتفع صوت محركها بعد أن فشلت في إدارته، اقترب ماهر يستوضح ما يحدث، أشار لها بفتح زجاج السيارة فاستجابت وحين علم بتعطلها قدم عرضه:

. اتفضلي يا دكتورة أوصلك

نفت بهزة رأس معتذرة بلباقة:

. شكرًا يا دكتور هطلب أوبر

و أخرجت هاتفها تطلب عربة تُقلها، دقائق و كان السائق بانتظارها، قبل انصرافها طلب منها بلباقة:

. دكتورة ممكن مفتاح العربية؟

التفتت مستفهمة عن السبب فأوضح:

. هروح أجيب ميكانيكي يشوفها

استجابت بخجل لعرضه وضعت المفتاح بيده وهي تؤكد:

. شكرًا يا دكتور، بعد إذنك التكاليف عليا

التقط المفتاح ودسه بجيب بنطاله وهو يمنحها إحدى ابتساماته الساحرة:

. مش هنختلف يا دكتورة

ثم انصرفت وتركته قد عقد العزم على خطوته القادمة.

***

العائلة بحياة البعض نعمة لا تُقدر بثمن وبحياة آخر قد تكون أعظم نكباته، وهو طالما كره بيت عائلته ولولا حاجته لإمضاء والده على أوراق هامة لانتظر حتى يلقاه باليوم التالي.

دلف للفيلا التي تسكنها عائلته فقابلته شقيقته نيروز أو ناني كما تفضل أن يناديها الجميع

صافح شقيقته الجالسة بصالون الفيلا باسترخاء تعبث بهاتفها بلامبالاة للأصوات المرتفعة بمكتب والدها، أتاهما صوت والدتهما واضحًا:

. مش كل مرة هسكت على نزواتك

تعالى صوت والدهم بوضوح:

. أنت شاغلة دماغك بيَ ليه

أشار لغرفة المكتب بنفاد صبر وسأل شقيقته:

. بيتخانقوا من أمتى؟

عادت لاسترخائها على الأريكة تعبث بخصلات شعرها المصبوغة بالأشقر:

. شهيرة هانم اكتشفت صديقة جديدة للوالد امبارح

حدجت باب المكتب المفتوح بلا اهتمام:

. بس المواجهة سخنت الصبح

وصلهما صوت ضحكة شهيرة هانم تصدح بالفيلا بينما توبخ والدهما:

. أنا شاغلة نفسي ببريستيجي

جلست على أحد الأرائك ترفع ساقًا فوق أخرى و تكمل:

. شكلي يبقى إيه لما يعرفوا أن مهران بيه جوز شهيرة هانم مصاحب بنت local

هدأ صوت مهران مهادنًا:

. ما تقلقيش ياهانم ما حدش هيعرف

رفعت أنفها عاليًا وهي تحذره بسبابتها:

. لو زودتها أنا أقدر أنهيك وأرجعك شحات زي ما عملتك بفلوسي

لم يتحمل حسام الاستماع لباقي الشريط الذي حفظه عن ظهر قلب فشجاراتهما لازالت على حالها لسنوات، دلف لحجرة المكتب يقطع حديثهما:

. آسف أني هعطلكم

مد يده بالأوراق التي يرغب بإمضاء والده عليها، فوصلته سخرية شهيرة:

. طبعا جاي تنقذه ما أنت كمان بتحب ال

local

أكملت سخريتها وهي تناظره من أعلى لأسفل:

. بدل ما تروح تناسب الباشوات رحت جبتلنا بنت فقيرة معرفش جبتها منين.

أنهى مهران إمضاء الأوراق فلملمها حسام بعجالة في حقيبته بينما مهران يسأله:

. أنت رجعت من السفر أمتى كان قدامك يومين

أجابه حسام بهدوء وهو يستعد للرحيل:

. خلصت شغلي ورجعت من 3 ساعات

حمل حقيبة أوراقه وعند باب المكتب التفت لوالدته:

. آسف يا شهيره هانم ما عنديش وقت أسمع محاضراتك

وانصرف بعجالة كارهًا المكان بمن فيه، هو يكره تسلط والدته على والده وضعف والده الدائم أمامها، يتعجب إن كانت والدته لا تستطيع تجاوز حقيقة أن والده كان موظف لدى والدها قبل أن يتقدم لخطبتها، إن كانت تعمد لتذكيره دائمًا بفضلها وأنه لولا مال عائلتها لما استطاع الحياة بين رجال الأعمال، لمَ وافقت من الأساس على الزواج منه طالما تعمد لإهانته، لقد عاهد نفسه منذ الصغر ألا يسمح لها بالوقوف موقف

ضعف مهما كانت الأسباب، تسلح بالقوة، المال الذي أنماه والده لسنوات ووطد علاقاته بأصحاب النفوذ، حتى حينما رغب بالزواج اختار من تقل عنه بكل شيء حتى تظل له الأفضلية دائمًا.

أنهى عمله وعاد لمنزله، فتح باب البيت بهدوء و دلف ببطء ليصله صوت ضحكات رجولية بصالة البيت، وقف قليلًا يستمع للحديث فأتاه الصوت بوضوح:

. أنت هتولدي أمتى؟

ثم صوت زوجته يرد بارتياح:

. قدامي شهرين و نص تقريبًا

تقدم بخطوات متمهلة يطرق السمع لصخبهما والغضب يعصف بكيانه، وقف خلفهما وهما متجاوران على الأريكة، يتناولان حبات الفُشار أمام أحد الأفلام الكوميدية غافلان عن البركان المتفجر برأسه، استند بكفيه لظهر الأريكة و بهدوء ما قبل العاصفة نطق:

. مساء الخير

الفصل الثامن

ونسير في طريقنا دون هدى

نسعى آملين ألا يضيع سعينا سدى

غافلين عما يخبئه القدر لنا

***

. مساء الخير....

انتفض كلاهما عند سماع الصوت، وقفا يواجهانه، مد هيثم يده مصافحًا بارتباك واضح وهو ينطق بتردد:

. حمد لله على السلامة

عقد حسام كفيه خلف ظهره ورفع رأسه يناظره بشموخ صامت زاد من ارتباكه، سحب هيثم كفه خائبة ثم استأذن بالانصراف ودون رد من كليهما خرج وهو يلقي بنظراته المشفقة تجاه هند التي وقفت محتضنة جنينها بذراعيها وكأنها تحميه مما تتوقعه من ثورة، التفت حسام بنظره

لهند التي وقفت مطأطئة رأسها دون قدرة على مواجهته، نطق بعد ثوانٍ صامتة هوى بها قلبها بين قدميها:

. أنا مش قلت الواد الصايع ده ميدخلش البيت تاني؟

رفعت نظراتها الخائفة فقابلتها شراراته الغاضبة، عادت بنظرها مرة أخرى للأرض دون رد فعاجلها بزعقته:

. ما تردي يا هانم

انتفضت إثر زعقته وأغمضت عينيها تتلقى باقي ثورته بجلد تسلحت به طوال سنوات عشرتها معه وهو يكمل:

. ولا علشان مسافر فكلامي يتكسر

لوح بذراعيه يدور بصالة البيت وشبح ضعف أبيه يطارده:

. يا ترى إيه تاني بيحصل من وريا وأنا مش عارف

عاد إليها يمسك بذراعيها بكفيه يهز جسدها ليجبرها على مواجهته:

. انطقي

رفعت عينيها الزائغتين مجبرة تواجهه بضعف و انفرجت شفتاها ببطء:

. ده أخويا

دفع كتفيها فأجبرها على الجلوس مرة أخرى يكمل تقريعه:

. صايع وتربية شوارع

بصوت مهزوز سبقته دموعها دافعت عما تجده حقها:

. مش من حقك تمنعني عن أهلي

انحنى بجذعه يستند بكفيه إلى ظهر الأريكة

يحاصرها بجسده:

. أهلك ما يشرفوش حد يا مدام

انكمشت على نفسها تلتصق بظهر الأريكة

فِرارًا من فحيحه الذي أكمله دون رحمة:

. طول ما أنتِ في بيتي تلتزمي بقوانيني

استقام بظهره يمنحها آخر نظراته المحذرة ويشير

بسبابته:

. ده آخر إنذار ليكِ

و تركها خلفه وقد دفنت وجهها بين كفيها تذرف دموع ضعفها وحيدة، خرج مرة أخرى صافعًا باب المنزل وقد تأججت بداخله كل المشاعر التي يكرهها، هو رجل خط لنفسه طريقًا لن يحيد عنه مهما كان الثمن.

استقل سيارته بالطرقات دون وجهة حقيقية يقصدها، لحظات ووجد نفسه أسفل منزل الأخرى، تلك التي لا يعلم كيف ومتى تقاطعت طرقهما، ولمَ الآن تقوده الصدفة مجددًا لطريقها، صف سيارته يسار الطريق وعيناه لا تحيد عن بوابة المنزل الذي حضر له للمرة الأولى معزيًا

وها هو ذا للمرة الثانية قد آتى ولا يعلم السبب، لحظات وكانت تصف سيارتها أمام بوابة المنزل وتترجل في ثوبها الأسود بنعومة وقوة لا يعلم كيف لأنثى الجمع بينهما، دلفت لبوابة المنزل فكاد أن يتبعها قبل أن تخرج مرة أخرى بصحبة حارس العقار، فتحت حقيبة سيارتها وبدأت مع الحارس في إخراج أكياس البقالة، حملت بعض الأكياس وأغلقت سيارتها ودلفت للعقار مرة أخرى والإرهاق قد بدى جليًا على محياها، تعلقت عيناه بأثرها في الفراغ وتلك البؤرة السحيقة التي لمستها بكيانه تتعاظم، أدار

محرك سيارته مرة أخرى وانطلق بها يعيد نفسه لطريقه ويستعيد السيطرة على زمام أموره كما اعتاد دومًا.

***

قالوا يومًا أن تنجب طفلًا يعني أن تسمح لقلبك بالسير على قدمين، تراقبه في كل حركاته وسكناته، ترتفع روحك لعنان السماء مع ضحكاته وتسقط لقاع الجحيم إن مسه سوء، وطفلته أنارت بيته مرة أخرى بضحكاتها منذ الصباح لم تكن وحدها بحاجة لبيتها ولكنه كان أشد حاجة لبراءتها تنير وحشة وحدته، صوتها

الذي يصدح بين جنبات البيت بأغانٍ لا يعلم متى ظهرت ومن مطربها وإن ساءه اللحن والكلمات معًا لكنه بدد صمت البيت الذي اكتشف أنه كان يهرب منه أيضًا للعمل وليست طفلته فقط من كانت تفر من وحدتها، واليوم تتنقل بحرية بين غرفات البيت، تدخل المطبخ تعد لنفسها شطيرة من الجبن المذاب وكوب من القهوة سريعة الذوبان وصوتها يدندن بذات الأغاني العجيبة:

. سكر محلي محطوط عليه كريمة

كعبك محني والعود عليه القيمة

وتجيني تلاقيني لسة بخيري

مش هتبقى لغيري

أيوة أنا غيري مفيش

. إيه الكلام ده، وإية اللحن اللي ملوش ملامح ده

كانت كلمات فارس الممتعضة التي قطعت استرسالها بأغنيتها، نظرت لمى لوالدها بينما تضع طبق الشطائر والكوب بصينية وهو يسأل بدهشة:

. مين اللي بيغني الكلام الفارغ ده؟

حملت صينية إفطارها وهي تجيبه ببساطه:

. حسن شاكوش

انتفض فارس الذي كان يتكئ على حافة باب المطبخ يلحق بلمى التي مرت جواره وهو يعيد كلمتها بسخرية:

. حسن إيه!

التفتت لوالدها تميل برأسها قليلًا للجانب تمعن النظر إليه:

. بابي أنت آخر معلوماتك في المطربين مين

تقدم منها خطوتين بتمهل وقال بفخر:

. كاظم الساهر

فغرت الصغيرة فاهها مندهشة:

. حضرتك مسمعتش عن عمرو دياب

فتدارك الفجوة سريعًا وهو يؤكد:

. سمعت طبعًا، عمرو مطرب شاب لكن كاظم طربي

ضيقت لمى عينيها يأسًا وهي تجيب:

. شاب مين يا بابي ده عدى الستين

وضعت صينية الطعام على المنضدة وجلست تلتهم أحد الشطائر، لاكت أولى قطعها و رفعت نظرها لوالدها و كأنها تختبر معلوماته:

. متعرفش تامر حسني وحماقي بقى

جلس على المقعد المقابل لها وقد اعتلى وجهه علامات الاستهزاء ونطق بسخرية:

. تامر حسني! كده دخلنا في العيال السيس

غصت لمى بمشروبها وهي تضحك لامتعاض والدها، التقطت أنفاسها وقالت من بين ضحكتها:

. أنت قديم قوي يا بابي

سرح فارس في ضحكات ابنته وراحة ملامحها منذ دخولها للبيت:

. نورتي بيتك يا حبيبتي

قطع حديثهم صوت هاتف لمى الجوال، انتبه للصوت قائلًا:

. لو مامي هاتيها

طالعت لمى الهاتف بارتباك حاولت تداركه وهي تضغط زر رفض المكالمة و تجيبه:

. لأ مش مامي

لاحظ ارتباك ابنته ووضعها لهاتفها على الوضع الصامت ولم يعقب وسأل:

. مين؟

عادت لمى لشطائرها تلتهمها تفر بعينيها من والدها وهي تجيب:

. واحدة صاحبتي مش بكلمها

ابتلع إجابتها على مضض وهو يراقب هروبها، يعلم أن طريقه لايزال طويلًا وهو بالكاد خطى أولى خطواته نحو ابنته التي رفعت نظرها لوالدها تسأله:

. هو حضرتك مش رايح الشغل النهاردة

استند بظهره إلى مقعده وعقد كفيه خلف رأسه مجيبًا:

. خدت النهاردة اجازة علشان خاطرك

ثم واصل الغوص في تفاصيل ابنته التي فاتته لسنوات؛ نظراتها، حركاتها، مزاحها وحتى عبثها الذي لا يعلم لأي مدى وصل وأين توقف، تقدم مرة أخرى من حافة المنضدة يستند بمرفقه لها ويريح وجنته على قبضة يده وهو يعيدها للحديث:

. أخبار الدراسة إيه

كانت لمى قد انتهت من شطائرها، تمسك بكوب قهوتها بيد ترتشف منه ببطء، لوحت بيدها الحرة بلامبالاة ونفخت بالأبخرة المتصاعدة من كوبها تعبث بها وهي تجيب:

. مفيش عمار بينا

رفع حاجبيه دهشة من تصريح صغيرته التي أضافت دون حاجة للسؤال:

. الدراسة أصلا مش طموحي

ضم شفتيه تعجبًا فها هو يتعرف على وجه جديد من وجوه ابنته التي لا يعلمها وهو يسألها بمنطقية:

. ويا ترى إيه طموح آنسة لمى

رفعت لمى رأسها شموخًا وهي تجيب بفخر و

عيناها تلتمع بالحلم:

. ويمبلدون

نالت نظرة إعجاب من فارس، لا يستطيع إنكار أنه سعد بوضعها هدف لنفسها تسعى له بكد وإن كانت تحتاج لمن يضبط مسار طريقها نحو الهدف وقد عزم على ضبط هذا المسار.

***

أنت لا تعرف مدى قوتك حتى تجد نفسك في موقف ليس أمامك فيه سوى أن تكون قويًا

أرنستو جيفارا

اقترب رحيله على الشهر، لا تعلم كيف استطاعت تخطيه رغم الجرح النازف بقلبها، كيف استطاعت أن تستدعي أنثى أخرى لم تعلم بوجودها داخلها يومًا لكن هكذا الحياة تُلقينا بموقدها فتصهر أرواحنا وتصنع منا آخرون أكثر جلدًا لنليق بتقلباتها.

أنهت عملها ككل يوم و عادت لبيتها الذي بات خاويًا بغيابه وإن كثر ساكنيه، دلفت فاستقبلتها أمها السيدة زينب بحنو طالما افتقدته من أمها لكنها ومنذ الحادث تغمرها وطفليها برعايتها وهي حقًا ممتنة لوجودها ورائد فلا تعلم كيف كان السبيل لتخطي ما حدث دونهما، ارتمى الصغير بين ذراعيها بشوق لها فساعات غيابها خارج المنزل تزداد يوميًا رغمًا عنها، احتوت الصغير مقبلة إياه وسألت عن ابنتها لتعلم أنها كالعادة بغرفتها، اقتربت والدتها مربتة على كتفها تحثها على الاقتراب من ابنتها:

. أدخليلها هي محتاجالك أكتر دلوقت

استجابت لأمها ودلفت لغرفة ابنتها المفتوحة، وجدت الصغيرة تمسك بجهازها اللوحي على غير المُتفق عليه قبلًا، جلست جوارها متجاهلة التعليق واحتوت كتفيها في ضمة حنون تعتذر عن تقصيرها غير المُتعمد:

. أنا عارفة إني غبت عنكم كتير الفترة اللي فاتت بس غصب عني

أخفضت نادين رأسها حزنًا وهي تجيب:

. عارفة إن حضرتك لازم تنزلي الشغل مكان بابا

شدت ذراعها حول كتف ابنتها تضم جسدها إليها وبكفها الأخرى ضمت كفيها الصغيرة:

. بابا كان عامل زي باب الشقة بالنسبة لينا

شردت بنظرها ترتكز على نقطة وهمية بالفراغ وأكملت:

. طول ما هو موجود أحنا مطمنين أننا مش مكشوفين لأغراب

عادت بنظرها تحتوي نظرات ابنتها الحزينة:

. لكن لما مشي كان لازم حد يقف مكانه ويبقى باب يحميكِ أنت ونور من الدنيا

أغمضت نادين عينيها بألم وهزت رأسها تتفهم منطق أمها التي أخفضت نظراتها للأرض هي الأخرى:

. عارفه أن ده ممكن يكون بعدني عنكم، ما بقيتش أشوفكم زي الأول

عادت بنظرها لطفلتها مرة أخرى:

. علشان كده عايزاكي تساعديني

لاحظت السؤال بنظرات ابنتها دون بوحها فأكملت:

. أنا وأنت ونور لازم نفضل ماسكين في بعض زي بابا ما علمنا

نقلت ذراعها التي تحيط كتفي ابنتها فاحتوت كفيها بكلتا يديها تدعمها وتطالبها بمثيله:

. أي واحد فينا يبعد لازم الباقيين يشدوه ناحيتهم

أومأت نادين برأسها إيجابًا دون رد فأكملت نسمة:

. أوعديني أني لو بعدت تقربي

نطقت نادين أخيرًا بصوت أقرب للهمس:

. وعد

سحبتها نسمة لأحضانها بحنان تربت على ظهرها بدعم تحتاجه الصغيرة:

. أنا واثقة فيكِ وعارفة أنك هتحققي حلم بابا بيكِ

مسحت نادين دمعة فارة من عينها وهي تهز رأسها إيجابًا تؤكد على كلمات أمها.

***

تمر أيام طوال تسعى خلالها لحلمك وما إن تقترب حتى يتلاشى الأمل فتعاود السعي مرة أخرى من نقطة البداية علّك تصل لمبتغاك، و

اليوم يشعر أنه بات قاب قوسين أو أدنى من حلمه، استيقظ في الساعات الأولى من الصباح متجهًا لنقطة التجمع المُتفق عليها بين أعضاء هيئة التدريس، استقل الحافلة التي سوف تقلهم جميعًا إلى مدينة شرم الشيخ لحضور مؤتمر هام، دقائق و كانت ريم تصعد للحافلة بصحبة صديقة أخرى من الجامعة، بعد إلقاء السلام على الجميع جلستا في المقعدين المجاورين لمقعده و زميله عصام، بدأت الحافلة بالتحرك فور اكتمال العدد في طريقها لوجهتها، اختلس بضع نظرات لها فلاحظ هيئتها بزي عملي لأول مرة

يراها به خلاف ملابسها الرسمية دومًا، بنطال من الجينز الأزرق، تعلوه كنزة صوفية باللون الرمادي مع سترة جلدية باللون الأسود معلقة بحقيبتها الرياضية احتياطًا من جو نوفمبر الغير مأمون، دقائق أخرى وكان يغط في نوم عميق استغلته هي في التمعن بملامحه الآسرة، خصلاته التي سقطت على جبينه تداعب جبهته، عطره الأخآذ برائحة أعشاب البحر المنعشة للحواس والتي اختلطت بعبقه الرجولي الذي يدغدغ أنوثتها بلطف تفتقده، ساعات قضتها الحافلة في الطريق حتى الوصول للفندق وقد انتصف

النهار، ترجل الجميع من الحافلة كلٌ يلتقط حقيبته، التفت ريم حول الحافلة لالتقاط حقيبة ملابسها من الجهة المقابلة لباب الحافلة، تبعها ماهر دون طلب منها، التقطت الحقيبة وحادت للخلف تستقيم بظهرها استعدادًا للسير بينما دراجة نارية قادمة بأقصى سرعتها كادت تصطدم بها لولا أن أسرع ماهر الخطوات ناحية ريم و التقط خصرها بذراعه يدفعها ناحية الحافلة مرة أخرى فتمر الدراجة على بعد سنتيميترات منها، شهقت بفعل المفاجأة و تراجعت تبتعد عن ذراعه التي سحبها فور مرور

الدراجة بسلام، التقطت أنفاسها تستوعب ما حدث توًا حتى أدركت أنه أنقذها بالفعل من حادث محقق:

. شكرًا

زفر أنفاسه براحة و هو يجيبها:

. خلي بالِك بعد كدة

أومأت برأسها دون رد والتفتت تلتقط حقيبتها مرة أخرى وتسير ناحية الفندق.

صباح اليوم التالي كان أول أيام المؤتمر، ترجلت ريم بحلة رسمية بنطال من القماش الأسود و قميص باللون الأبيض وأحاطت عنقها بوشاح

باللون الأحمر تناغم مع سترة حلتها السوداء التي أحكمت أزرارها وجمعت شعرها خلف رأسها في ذيل حصان فبدت في قمة أناقتها، أنهت كلمتها خلال المؤتمر وترجلت عن المنصة تعود لمقعدها بين صديقتها وماهر وسط تصفيق حاد من الحضور:

. هايلة يا دكتورة

منحته بسمة خافته مع همستها الشاكرة وجلست تتابع ما يدور بالقاعة تفر بعينيها منه وتنأى بروحها عن حضوره الذي بات يفرض نفسه على كيانها دون إرادة منها.

بمنتصف النهار انتقل الحضور لتناول الغداء بمطعم الفندق، تناولت ريم لقيمات قليلة وهربت إلى شرفة المطعم المطل على شاطئ البحر الأحمر تفر من نظراته التي باتت تحاصرها في كل حركة، تبعها ماهر بهدوء وجاورها بالشرفة يستند بجذعه للسور ويتمعن بتفاصيلها، التفتت برأسها فجأة إليه تود أن تنهره فقد تجاوز حدوده، هبت رياح فالتف ذيل حصانها يغطي إحدى عينيها، أبعدت خصلاتها بكفها بعنف وهمت بتعنيفه قبل أن ينطق:

. عايز يتحرر

حدجته بنظرات مغتاظة لا تفهم مقصده:

. هو إيه؟

سرحت عيناه نحو خصلاتها المأسورة خلف

رأسها و هو يهمس:

. شعرك

. أفندم!

كانت زعقتها التي حاولت جاهدة ألا يرتفع بها

صوتها حتى لا يصل لباقي الحضور وقبل أن

تكمل تقريعها له صدمها بكلمته التي عقدت

لسانها:

. تتجوزيني؟

الفصل التاسع

ويحدث أن تفاجئك الحياة بغتة

فلا تدري أحقًا ابتسمت بعد طول عبوس أم

لم تزل بوجهك .متجهمة

***

. تتجوزيني؟

ابتلعت باقي كلماتها تأثرًا بمفاجأته غير المتوقعة، أخفضت نظراتها خجلًا تفر من عينيه بوجهها للجانب الآخر تبحث عن رد ولا تجده، ابتلع لعابه يتابع نظراتها الشاردة بارتباك واضح وهمس باسمها مجردًا لأول مرة منذ عرفها:

- ريم

خرجت حروفه من بين شفتيه كوقع موسيقى تعزف على أوتار قلبها الغض، التقطت بعض أنفاسها تحاول استعادة وقارها الضائع بفعل صدمتها، أحكمت السيطرة على خصلاتها

المتطايرة بفعل هواء البحر وعادت إليه بنظرات جامدة:

. لأ

عقد حاجبيه بتجهم فانعكست أشعة شمس المغيب على عينيه ليكتسب خطها البني ضوءً مميزًا زادها حيرة مع برونزية بشرته وصوته الذي باتت نبرته تدغدغ حواسها دون دراية منها:

. ممكن أفهم السبب

حافظت على جدية نظرتها واستعانت بقناع من جليد تجيد التمسك به عند الحاجة:

. علشان حضرتك تُعتبر طالب عندي

و كمان أصغر مني

قاطع استرسالها بأسبابها التي يراها واهية، يشيح بكفه ويتسلح بإصرار:

. مش شايفة أنك مكبرة الموضوع

رفعت حاجبيها دهشة من مقاطعته تبادله بمثلها مع انفلات نبرة صوتها علوًا:

. مكبراه!

أكمل مرافعته في قضية باتت قضية حياة والفوز فيها واجب ولن يرضى عنه بديلًا:

. آه مكبراه، الدكتوراه كلها كام شهر وآخدها ومعتقدش أن فرق سنة في السن هو اللي هيقف في طريقنا

لانت نبرته وهو يميل برأسه ناحيتها قليلًا يقلص فارق الطول و يمنحها نظرة لوم تبِعت لوم كلماته:

. أعتقد أن مكانتنا العلمية وفكرنا يخلينا منفكرش في النقطة دي من الأساس

شردت بنظرها تجاه البحر تسبح بفكرها بين زرقة أمواجه المتتابعة بينما هو يكمل لومه:

. لو فكرنا بالطريقة دي يبقى سيبنا إيه للناس الجاهلة

منحته نظرة مبهمة وقد أفحمتها حجته، تعلم ،صحة منطقه لكنها لاتزال تحت تأثير المفاجأة التفت هو الآخر بجسده ليواجه اتساع البحر على طول نظره بينما ينهي جدالًا مؤقتًا

. من حقك فرصة تفكري

عاد بنظره إليها يأسر نظرتها إصرار حنون:

. ومن حقي أدافع عن فرصتنا مع بعض

دار بنظره في المكان فخالجه شعور أنهما أصبحا في مرمى الأنظار قبل أن يعود لها:

. هنكمل كلامنا لما أزوركم في البيت

وتركها تطالع موج البحر يضرب الشاطئ

فيزلزل أفكارها

موجة؛ اثبتي فمكانتك لا تسمح

ثانية؛ منطقه صحيح وما العيب

ثالثة؛ والقلب تدغدغه الرغبة

وأخرى؛ خاب من لم يقتنص من الحياة فرصته

وقرص الشمس الذي أوشك على الغرق، يخبرها

أن حان أوان وحدتها أن تغرب.

اشتدت برودة الجو مع اقتراب إسدال الليل لأستاره، دثرت نفسها بمعطفها جيدًا وعادت لغرفتها بالفندق متخطية الجمع المتسامر، و لثلاثة أيام باقية هي مدة المؤتمر كانت تتحاشى اللقاء به وإن أُجبرت عليه، تهرب بنظرها من متابعته التي باتت واضحة لها دون مواربة، ظله يحيط بها في كل مكان تذهب إليه وبروية يتسلل لكيانها.

***

ويحدث أن تمنحك الحياة فرصتك مرة أخرى فيعود بعضك إليك ويمنحك سعادة كنت غافلًا عنها.

ليومين قضتهما ابنته معه شعر أنه عاد مرة أخرى لنفسه القديمة التي وأدها بالعمل لسنوات، اليوم الأول قضاه بالكامل مع ابنته يتعرف عليها وكأنها المرة الأولى، واليوم الثاني كان عليه العودة للعمل وابنته إلى مدرستها، لم يخبرها بعد أنه قرر إقامتها معه بشكل دائم لكنه اتفق على لقائها بالنادي عقب نهاية تدريبها بعد المدرسة ومنه قد قرر أن يصحبها إلى بيت

والدتها فلابد له من جلسة مطولة مع زوجته السابقة، لن يتنازل فيها عن حقه مرة أخرى

أنهى عمله وتوجه للنادي حيث موعد نهاية التدريب، صف سيارته بالمرأب وتوجه حيث ملعب التنس، وعلى بوابة الملعب الخالي تسمرت قدماه بفعل ما رأى؛ ابنته تجلس بأحد مقاعد المدرجات الخاوية إلا منها وصديقها الذي يحجب جسده عنه رؤية جسد ابنته إلا من ساقيها المتحركتي، ذراعاه تحيطان بجسد ابنته رأسه تهتز وكأنه يقبلها، على الجانب الآخر كانت الصغيرة المتهورة تدفع بصدر لؤي

الذي أحكم سيطرته على كتفيها تفر بوجهها من أنفاسه وتحاول تفادي قبلته التي يصر على اقتناصها من فمها، قاومت اقترابه الخطِر بكل قوتها حتى شعرت بجسده يبتعد فجأة ويُلقى بعيدًا وأدركت بعد وهلة أن ما حدث كان بفعل لكمة والدها بوجهه، رفعت نظرها مستغيثة :بوالدها

. بابي

فأخرسها بصفعة مدوية أجبرتها على ابتلاع باقي كلماتها وهي ترى والدها لأول مرة في

فورة غضبه وقد انتفخت أوداجه وجحظت عيناه بثورة واضحة، هدر بها زاعقًا:

. قدامي

حملت حقيبتها مرتعدة تطيع أمره وقد انهمرت دموعها أنهارًا، جاورته بالسيارة تتنفس من بين شهقاتها وهو اتخذ مقعد القيادة دون كلمة، يقبض على المقود بكفيه وقد ابيضت سلامياتهما من فرط ضغطه، اتخذ طريقه تجاه منزل والدتها الذي عرفته فزادت دموعها انهمارًا دون قدرة على الدفاع عن نفسها،

صف فارس السيارة أسفل المنزل، ثبت نظره أمامه :بنقطة وحمية وأصدر أوامره لها بحسم

. هتطلعي تلمي كل هدومك وكتبك وتيجي معايا

رغم غضبه الواضح منها وعدم قدرتها على الرد وقع أمره براحة عليها فهو ما كانت ترغبه بالفعل وها هو والدها يبدد خوفها الذي اعتراها فور اتخاذهم لذلك الطريق بينما يكمل هو بذات الحسم

. هطلع معاكِ أستنى على السلم وهتبلغي والدتك باللي قلته

التفت يشير لها بعينيه أن تترجل من السيارة ففعلت، تقدمته بخطوات وجلة تحاول اختلاس النظر إليه بين فينة وأخرى فيقابلها تجهم وجهه وصل المصعد حيث شقة والدتها وقبل أن تدلف أمرها:

. امسحي وشك

وهي فعلت بعجالة ثم استجابت لإشارة عينه وفتحت باب المنزل، دلفت لمى للبيت تاركةً بابه مفتوحًا ومنه حيث غرفتها، حملت حقيبة سفر كبيرة وبدأت بجمع كل متعلقاتها بعجالة

دلفت أحلام خلفها تشاهد ما تفعله وسألتها بدهشة:

. بتعملي إيه؟

رفعت لمى نظرها لوالدتها بتردد ثم أخفضته بارتباك تكمل جمع أغراضها وهي تجيبها بعجالة:

. هروح أعيش مع بابي

تقدمت أحلام من ابنتها خطوتين متفاجئة تهتف بغضب:

. ومين سمحلك بكده؟

فرت لمى بنظرها من مواجهة أمها متشاغلة بحقيبتها التي أغلقت سحابها ثم حملتها لتخرج متجهة لباب المنزل متخطية أحلام وهي تجيب:

. بابي اللي قالي كده

طوت أحلام المسافة بينها و بين ابنتها تجذبها من ذراعها لتواجهها:

. وهو فين بابي؟، وإزاي من غير موافقتي؟

سمع فارس المنتظِر جوار باب البيت دون أن يُظهر جسده الجدال الدائر بالداخل فرفع صوته يعلن عن وجوده:

. خلصتي يا لمى؟

التفتت أحلام تجاه الصوت، ارتدت غطاء رأسها وخرجت تواجهه:

. أنت جاي تاخد بنتي؟

تقدم فارس خطوة فظهر بوضوح على باب البيت مجيبًا بتقرير:

. جاي آخد بنتي

واجهته أحلام بغضب جليّ ترفع صوتها بكلماتها:

. من غير ما تاخد إذني؟

كز على أسنانه يكظم غيظه منها ويقرر:

. بصلح وضع غلط

. غلط!

هتفت بها ثم أكملت:

. بعد ما عاشت معايا السنين دي كلها وأنتَ متعرفش عنها حاجة جاي تقولي كان غلط؟

ارتسمت نصف ابتسامة ساخرة على طرف شفتيه وهو يستجمع كل هدوء ممكن:

. لما سمحت أنها تعيش معاكِ كنت بفكر في مصلحتها

أشار بسبابته للأرض بحزم:

. و دلوقت باخدها علشان مصلحتها إذني انتهى لحد كده

ضيقت أحلام عينيها استغرابًا مما يقول، لأول مرة منذ انفصالهما تصطدم به هكذا صدام تحاول الدفاع عما تراه حقها:

. البنت في حضانتي يا فارس

وعندها تعالت ضحكته الساخرة، عقد ذراعيه أمام صدره ورفع صوته يصفعها بالحقيقة التي أنكرتها لسنوات:

. حضانتك سقطت بجوازك يا هانم؛ ده لو عايزة تمشيها بالمحاكم

ألقى بنظره تجاه الصغيرة المرتعدة وهي تتابع السجال الدائر ثم عاد لوالدتها يشير بسبابته وقد انفلت عقال صوته:

. أنا من أول يوم كنت بتعامل بتحضر لكن لو تجي نتعامل رسمي معنديش مانع

ومع انفلات غضبه ظهر من كان يقف مراقبًا عن بعد، احتل المساحة بين فارس وأحلام في مواجهة فارس الذي أهداه :ظرة ساخرة قبل أن يعقد حسن كفيه خلف ظهره ينطق ضاغطًا حروف كلماته:

. حضرتك جاي تزعق لمراتي وتهددها في بيتي؟

ارتسمت بسمة هازئة على وجه فارس وهو يشير لابنته:

. مراتك عندك، يالا يا لمى

أطاعته الصغيرة تتخطى أمها وحسن تسحب حقيبتها التي حملها عنها فارس فور أن وصلت إليه بكف ويحيط كتف الصغيرة بكفه الأخرى وقبل أن يستقلا المصعد التفتت للمراقبيَن:

. لما بنتِك توحشك يا مدام أنت عارفة رقم تليفونها

فور أن دلفا لمنزله وضع فارس الحقيبة وبحزم يكظم بركان غضبه:

. ادخلي أوضتك مش عايز أشوف وشك

التفتت الصغيرة لوالدها وقد عادت دموعها

مرة أخرى للانهمار تود الدفاع عن نفسها:

. با...

قطع كلمتها بزعقته الثائرة:

. على أوضتك

أخفضت رأسها أرضًا وسحبت حقيبتها

تستجيب لوالدها وعند باب الغرفة أوقفتها

كلمته:

. استني، هاتي موبايلك

التفتت تواجهه، مد كفه لها فمنحته هاتفها الجوال بيد مرتعشة وهو يسأل بوجه جامد:

. ليه باسوورد؟

هزت رأسها نفيًا فالتقطه منها وأشار بعينيه ففرت داخل غرفتها، أغلقت الباب وضمت جسدها بفراشها الصغير بوضع الجنين تبكي هاوية كادت تسقط بها، موقفًا تجبُن عن الدفاع عن نفسها فيه ونظرة خذلان رأتها بعين أبيها الذي جلس بصالة البيت يطالع باب الغرفة المغلق بألم، تظن الصغيرة أنه يعاقبها على خطئها ولا تدري أنها هي من تعاقبه على ما اقترفه

تجاهها دون قصد، كان يظن أنه أدرك تقصيره ويسعى لرأب صدع علاقته بطفلته ولم يكن يعلم أنه تأخر أكثر من اللازم طالع ،هاتفها بيده وقلبه يقرع بين جنبيه مما قد يلاقيه فتح أحد برامج المحادثات يتجول بين محادثاتها المختلفة تارة مع صديقات المدرسة وأخرى مع صديقه بعينها تتبادلان النكات وروابط سماع الأغاني حتى وصل لمحادثته؛ ذلك الوقح الذي يرغب بإزالته عن الوجود؛ فتح المحادثة وقلبه يُسرع الضربات، رسائل حب قابلتها ابنته بملصق وجه خجِل، رسائل مزاح غير عفيف لم تستطع

صغيرته فهم مقصده وأخرى فهمتها فأجابته بملصق وجه غاضب، عاد بالمحادثة للتاريخ الأقدم حتى وصل لبدايتها قبل ستة أشهر إذًا فعلاقة ذلك الوغد بابنته لم تتعد تلك الأشهر ما منح قلبه القليل من الراحة أن ابنته لا تبدو متجاوبة مع وقاحته ولم تبادله بمثلها، وضع الرقم على لائحة الرفض واستلقى على الأريكة يفكر في خطوته القادمة لإعادة ترتيب حياة ابنته التي أهملها لسنوات

***

ويحدث أن تجبرك الدنيا على التعايش مع ما ترفضه، فقط لأنك لا تمتلك الأفضل

ثوب كلاسيكي أسود صُنع خصيصًا ببيت أزياء شهير ليناسب انتفاخ بطنها الذي تحدد دورانه من أعلى بتطريز فضي اللون ناسب حجابها الفضي

حضرت للحفل الصاخب تكمل الصورة كزوجة لابن العائلة الأكبر، فمدللة العائلة أكملت عامها الثامن والعشرين وكعادة كل عام يقام على شرفها حفل فاخر يحضره كبار رجال الأعمال وبعض من رجالات الدولة الذين

تربطهم علاقات العمل والمصلحة بوالدها بالإضافة لصديقاتها وأصدقائها الذين يملؤون حديقة الفيلا وعلى طول محيط مسبحها الخاص، غريبة هي وسط هكذا جمع من المتصنعين نأت بنفسها عن صخب الحفل بمقعد جانبي بالحديقة تتابع عن بعد ادعاء الود كما تسميه؛ زوجها وأبيه على رأس طاولة دائرية كبيرة بامتداد الحديقة عند ذيل المسبح مع بعض رجال الأعمال وأحد الوزراء الحاليين المنتفخ بعظمته الفارغة وآخر سابق يُحاول الحفاظ على مكانته المتناقصة بخروجه من منصبه

حماتها العزيزة شهيرة هانم في ثوب سهرة متصابي لا يليق بعمرها الذي تخطى الستين عامًا و شعرها القصير المصبوغ بلون النبيذ وسط جمع آخر من زوجات رجال الاعمال المتصابيات و أخيرًا المدللة بخصلاتها الشقراء المتطايرة وثوبها البنفسجي الملتصق بجسدها والمنتهي فوق ركبتيها عند رأس المسبح وسط أصدقائها من الجنسين يتراقصون على أنغام الموسيقى الصاخبة وأمام الطاولة المستطيلة الممتدة بعرض المسبح وعامرة بكافة أنواع الأطعمة والمشروبات يتوسطها كعكة عيد الميلاد الكبيرة بارتفاع سبعة

أدوار، برّاقة حياتهم للناظر عن بعد لكنها تثير الاشمئزاز للمتغلغل داخلها كما فعلت هي، ابتسامات مرسومة في مواجهة بعضهم بعضًا ونميمة عن الغرف المغلقة لا تترك شاردة دون ذكرها، وِد مصطنع وتبادل احتضان وأنت متأكد أن من يحتويك الآن لن يترك فرصته لطعنك من الخلف إن كان في ذلك مصلحة يبتغيها

اشتد البرد مع امتداد الحفل لمنتصف الليل وبدأ جنينها يأن جوعًا، قامت بلطف متوجهة لمائدة الطعام فلازال للسهرة بقية لا تعلم

مداها، التقطت أحد الأطباق ووضعت به قطعة من كعكة عيد الميلاد والتفت تعود لركنها البعيد، ومع التفاتها كانت نيروز تدور برقصتها تمد ذراعها على طوله مع شريكها في الرقص لتلفه مرة أخرى وتعود إليه فاصطدمت بالصحن ليتلطخ ثوبها بالكعك، صرخت بهند المتفاجئة بما حدث:

. أنتِ غبية؟

رفعت هند نظرها مصدومة من زعقتها وقد توقف الجميع عن الرقص يتابعون ما يحدث وهمست من بين اختناقها:

. ما قصدش

كان حسام قد لاحظ المشادة بين زوجته و شقيقته، استأذن بلباقة يسرع باحتواء الموقف حتى يحافظ على هدوء الحفل وبقاء شقيقته كنجمة للحفل الذي يُعقد خلاله الكثير من الصفقات والاتفاقيات كل عام، توجه إليهما يستطلع الأمر ليصله صوت شقيقته وهي تواصل زعقها:

. أنتِ قاصدة تحرجيني وسط أصحابي

جاورهما حسام ينظر لشقيقته المنفعلة وهند تخفض نظرها إحراجًا بينما الأخرى تواصل

شكواها لشقيقها مدعية الرغبة بالبكاء تشير لثوبها المتسخ:

. شايف عمَلت إيه؟ قاصدة تبوظ بارتي عيد ميلادي

وجه حسام نظره لهند يضع حدًا للجدال قائلًا بهدوء:

. اعتذري

رفعت هند نظرتها الخائبة لزوجها وأخفضتها مرة أخرى تهمس وقد ترقرقت العبرات بين جفنيها تمنعها من الهطول حفاظًا على المتبقي من كرامتها المبعثرة:

. آسفة

اقترب حسام من شقيقته يقبل أعلى رأسها:

. اطلعي غيري هدومك

انصرفت تُلقي بنظرتها المُحقرة ناحية هند وتتمتم بصوت قصدت أن يكون مسموعًا:

.local, rabish

التفت حسام لزوجته يمنحها مفتاح سيارته:

. استني في العربية

وهو ما حمدت ربها عليه فبعد ما حدث لن تستطيع تحمل دقيقة أخرى وسط هؤلاء.

***

ويحدث أن يختبرك القدر بما لم تتوقع، وحين تظن بنفسك قرب النجاح يعيد كرته فيشتد عودك قوة أو ينكسر.

لشهرين ونصف هم مدة امتلاكها لزمام أمورها وتحملها لما أُلقي على عاتقها، خاضت خلالهما الكثير، التحدي الأول كان بتنظيم حياة طفليها كما كانت سابقًا بين الدراسة وتدريباتهما التي كان والدهما يحرص عليها و هو ما نجحت به ،وإن بقيت غصة الفقد بقلوب ثلاثتهم

التحدي الثاني كان بتوفير الدفعة المقدمة التي

نجحت بسدادها بمساعدة محمود ومحاسب الشركة الذين بذلا مجهودًا جبارًا لتحصيلها نقدًا من عملاء الشركة دون اللجوء للإجراءات البنكية التي طالت وكادت أن تتسبب بأزمة لولا سرعة استباقهم للأحداث والثالث كان بتعويض صغيريها فقد والدهما وإن تعلم أن ذلك دربًا من المستحيل؛ استيقظت كعادتها تُعد الصغيرين لمدرستهما انتهيا من ارتداء الزي الدراسي وعند الباب تفاجأ الصغير بكيس من الحلوى بسيارته الكهربائية كما كان يفعل والده، التقط

الكيس بدهشة فرحة ونظر بعينين تغمرهما السعادة وهو يسأل والدته:

. بابا جابهم هنا إزاي؟

جلست نسمة على ركبتيها بمحاذاة الصغير تغلق سحاب سترته وهي تجيب بكذب تعلم أنه سينكشف يومًا:

. بعتهم مع الملايكة

مثّل الصغير الاقتناع وهو يلتقط إحداهم من الكيس يدسها بحقيبته وينصرف مع أخته، فور خروجهما رفع نظره لشقيقته يخبرها بجدية لا تناسب براءته:

. أنا عارف إن الملايكة ما بتجيبش حلويات بس ما رضيتش أزعل ماما

ابتسمت نادين لشقيقها الماكر، تعلم ذكائه وتحترمه:

. بشوفها باليل وهي داخلة أوضتنا لابسة بيجامة بابا وبشم البرفيوم بتاعه في الأوضة

هز الصغير رأسه إيجابًا وهو يضيف:

. وهي اللي حطتلي الحلويات في العربية زي بابا ما كان بيعمل

قطع حديثهما وصول حافلة المدرسة صعدت نادين أولًا ثم أمسكت بكف شقيقها تعينه على الصعود.

على الجانب الآخر كانت نسمة تستعد للعمل، أنهت بعض أعمالها المنزلية الضرورية وكانت خلف مكتبها في تمام التاسعة تتابع كافة معاملاتها فبالأمس وصلت الشُحنة المُنتظرة للميناء وهم الآن بانتظار الإفراج عنها لتستكمل تحديها بتوريدها حسب الموعد المُتفق عليه دون توقيع غرامات لن تستطيع شركتهم تحملها.

طرقتان متعجلتان على باب المكتب لم ينتظر صاحبهما إذنها ليندفع محمود للداخل بوجه استنفرت الدماء به، ألقى بجسده على المقعد المقابل لمكتبها وهي تابعت دخوله :توجس تحول لعبوس عندما نطق الآخر:

. البضاعة محجوزة في الجمارك

حاولت استنباط المزيد من المعلومات، عقدت حاجبيها بعدم فهم و هي تسأل:

. يعني إيه؟ وليه؟

انحنى بجذعه يستند إلى ركبتيه بمرفقيه ويضم رأسه بين كفيه بحيرة:

. مش عارف ده حصل إزاي هتجنن

رفع نظرته الخائبة لها وزفر أنفاسه الغاضبه

يصفعها بالحقيقة كاملة:

. المستخلص بيقولي إن الفاتورة اللي إحنا

مقدمينها غير مطابقة لبوليصة الشحن ومش

بعيد يتعملنا قضية

وكأنها كانت على موعد مع تحديها الجديد.

الفصل العاشر

هي غصن ضعيف انكسر عن فرعه بغتة فسقط في المحيط تلطمه الأمواج من كل صوب ويلتحف بالسماء وعليه لعب دور القارب لينجو بمن فيه.

***

لسنوات عاشت بقوقعتها جدران منزلها تحدها من كل جانب وهي ممتنة لها، أقصى ما وصلت له قدماها نزهة مع زوجها أو سفرة بين حين وآخر ولم تضجر بذلك يومًا حتى تفتحت

عيناها على الواقع التعس، أُلقيت ببحر الحياة عنوة و عليها السباحة رغم جهلها،

ولأن المصائب لا تأتي فرادى، حملت الأنباء الآتية من ميناء دمياط مزيجًا من التوتر والارتباك، فصورة الفاتورة التي بعث بها المستخلص إلى محمود تخالف تمامًا تلك الأصلية التي كانت بحوزته وحصل بموجبها على كافة الموافقات اللازمة للاستيراد مما يعني أن تلاعبًا قد حدث خلال رحلة الفاتورة من مكتبه إلى يد المستخلص الأمر الذي يشي بوجود جاسوس بينهم لا يعلمون هويته وإن كان يستطيع الجزم

بهوية من يعمل لصالحهم هذا بالإضافة لتعنت موظفين الجمارك الواضح ضد شركتهم و كأن يدًا عليا تعبث بكل شيء للوقوف ضد محاولاتهم للنجاة،

غرفة عمل كونها منذ الصباح جمعته بنسمة المدعية للتماسك رغم انهياراتها الداخلية التي باتت لا تُحصى وخط اتصال مفتوح مع المستخلص وآخر مع الموردين بالخارج حتى يستطيع الحصول على فاتورة أخرى أصلية كتلك التي اختفت ولا يعلم كيف وأين؟ الأمر الذي قد يستغرق خمسة أيام على أقل تقدير،

هم بحاجة فقط لتجميد الوضع لتلك المهلة حتى يتسنى لهم تقديم الفاتورة الجديدة بديلًا عن تلك المزورة، ومع تعنت الموظفين بات عدم تحريك دعوى التهرب الجمركي ضدهم ضربًا من الخيال، عبث محمود بحافظة البطاقات بحثًا عن وسيط ربما استطاع مساعدتهم لتسقط أمامها تلك البطاقة التي أهملتها منذ زيارة صاحبها، التقطتها تعيد قراءة بياناته بينما محمود يجري اتصالات عدة بأناس تجهلهم جميعا.

انتبهت على زفرته الغاضبة يضرب الحائط بقبضته يأسًا، رفعت نظرها إليه تستفسر:

. في إيه؟

التفت يواجهها والعجز عن مساعدتها يكبله:

. اتصلت بكل اللي ممكن يساعدونا

تهدلت كتفاه بقنوط وألقى بجسده على المقعد أمام مكتبها:

. مفيش حد قِبل، اللي اعتذر إنه ميعرفش حد واللي قالها صراحة مقدرش أدّخل اسمي في مشاكل

هكذا يخبرها أنهم باتوا بين مطرقة التهرب الجمركي وسندان غرامات عدم التوريد، يكمل رسم الصورة القاتمة لما ينتظرهم:

. البضاعة دي لو مخرجتش من الجمرك فيها نهايتنا

تطلعت إليه بذهول وأخفضت نظرها تجاه البطاقة تهمس بحيرة:

. تفتكر ممكن يساعدنا؟

انتبه للبطاقة التي تحملها وجذبها يعيد قراءتها مرة أخرى قبل أن يضيف:

. مفيش قدامنا غير إننا نحاول في كل الطرق

مد كفه يعيد البطاقة إليها:

. كلميه

التقطت البطاقة بارتباك وكفها تمتد للهاتف

تضغط الرقم بينما محمود مد كفه يمسك بالهاتف

قبل أن يجيب الآخر:

. افتحي ال speaker

وهي استجابت تتعلق بقشة نجاتها حين أتاها

صوته الأجش على الطرف الآخر تنطق بما يمليه

عليها محمود كتابة أمامها فتشرح له الوضع بدقة

محاولة الحفاظ على ثبات صوتها رغم ارتعاشتها،

والآخر كان مُرحبًا رغم مفاجأة الاتصال يؤكد

قدرته على حل المعضلة:

. ما تقلقيش، أنا كنت مسافر بكرة، ابعتيلي رقم المستخلص وأنا ليَ معارفي هناك

تسلل بعض الأمل إليها وقرأت سريعًا ما خطه محمود:

. شكرًا يا باشمهندس

ثم اتبعت بتقرير؛ عيناها تسأل محمود وهو يجيبها بسبابته أن نفذي:

. باشمهندس محمود كمان مسافر بكرة و هيقابلك هناك

زفرت أنفاسها المحتبسة بعد أن أنهت الاتصال تتطلع إلى محمود بتساؤل:

. أنت فعلا هتسافر؟

التفت إليها يجيبها بمنطقية:

. لازم؛ مش معنى إنه وافق يساعدنا أننا نفوضه في كل حاجة

التقط مفاتيحه عن المنضدة وهم بالمغادرة:

. ألحق استعد للسفر هكون معاه خطوة بخطوة

وتركها خلفه تسأل الله النجاة من مأزقها، تُفكر بماهية الجاسوس بينهم، من يكون وإلى أي مدى يستطيع الإضرار بمصلحتهم وكيف السبيل لاكتشافه،

على الجانب الآخر كان حسام لا يزال غير مصدق أنها طلبت عونه، تلك التي لا يعلم لمَ هي بالتحديد قادرة على الوصول لمنطقة لم تطأها غيرها، صوتها المرتعش رغم ثباته، اهتزاز كلماتها رغم قوتها تثير داخله النزعة لمساعدتها وهو ما عزم عليه حتى دون طلبها، من الآن فصاعدًا سيبسط شراع حمايته فيظللها وشركتها.

***

هي زهرة كانت تنتظر نسمات الربيع لتتفتح، منذ داعب أنوثتها بطلبه ونفسها تهفو لحلم

أجلته طويلًا، عادت من سفرتها بعد تجنب لقاءه للأيام المتبقية، اعتزلت الجميع بغرفتها ليومين في إجازة بين كتبها وأبحاثها متجاهلة الرد على اتصالاته ورسائله التي لم يكف فيها عن طلب موعد مع والدها وهي بعد استجماع أفكارها كانت تحتاج لحكمة مرشدها الأول، دلفت غرفة أبيها الذي وجدته يتصفح إحدى الجرائد مرتديًا عويناته الخاصة بالقراءة، اقتربت منه تجلس على حافة الفراش المجاور لمقعده وهو طوى الجريدة خالعًا عويناته ورفع نظره لها مبتسمًا بحنان،

لاحظ ترددها في البوح وهو ما لم يعتده بابنته فبدأها بالحديث:

. يا ترى إيه الموضوع اللي خلى الدكتورة مترددة كده؟

رفعت عينيها لأبيها الذي يفهمها كعادته دون كلمات و صرحت بوضوح:

. في واحد زميلي عايز يتقدملي

أمعن السيد رفعت النظر بابنته يسبر أغوارها في محاولة لاكتشاف سر ترددها:

. ده خبر كويس، كملي سبب قلقك

ضحكت بخجل تضرب كفها بالأخرى عجبًا من والدها القادر على كشف خباياها:

. أصغر مني بسنة وأنا المشرفة على رسالة الدكتوراه بتاعته

انتقل والدها إلى جوارها يحيط كتفيها بذراعه ويساعدها على ترتيب أفكارها بدعمه كعادته دومًا:

. بنتي اللي رفضت عرسان ميتعدوش وسمعت تلقيح وكلام مالوش لازمة بعدد شعر راسها مش ده اللي يقف قصادها

رفعت نظرها لوالدها فأكمل بحكمته:

. لو قلتي ليَ إنك رافضة لأنه مش مناسب أو إنك مش مرتاحة للشخص كزوج هقولك حقك

هزت رأسها إيجابًا تعلم صواب منطقه وتحتاج لخبرته:

. رأي حضرتك إيه؟

ربت بكفه الأخرى على وجنتها وهو يمنحها ما أتت تطلبه:

. أقعدي معاه واحكمي على الشخص نفسه بدون أي اعتبارات تانية

وعنها فقد طابت نفسها بعد أن أعاد والدها ترتيب فوضى أفكارها، دلفت غرفتها وبعثت

برسالة نصية للمنتظر بلهفة كانت تحوي شيئًا واحدًا؛ رقم والدها.

وبعد يومين كان ماهر يدق باب بيتها في زيارة تعارف أولى بينه وعائلتها، دلف يحمل باقة كبيرة من زهور الأوركيدا البيضاء وعلبة فاخرة من الشيكولا، استقبله والدها بوقار في جلسة عائلية جمعتهما مع ريم ووالدتها، تنحنح ماهر يجلي صوته وهو يوجه كلماته للسيد رفعت بإكبار:

- أنا يشرفني أطلب من حضرتك إيد دكتورة ريم

عقد أصابع كفيه ينحني للأمام قليلًا ولم تحد عيناه عن السيد رفعت يكمل كلماته باحترام:

. أنا عندي الشقة وحضرتك عارف طبعًا شغلي لكن حابب أوضح باقي ظروفي

التقط السيد رفعت طرف الحديث:

. اتفضل يا دكتور

أكمل ماهر وكلماته تشي بتقديره الحقيقي لمن أمامه:

. بالنسبة للجواز للأسف مش قبل سنه، أنا كل إمكانياتي حاليًا موجهة للدكتوراه وعلشان أكون جدير بالجواز من الدكتورة محتاج وقت

هنا تدخلت والدة ريم فالحديث بدأ في اتخاذ منحى لا يروقها:

. طيب يا دكتور طالما حضرتك مش جاهز ليه تتقدم دلوقت؟

نظرة اختطفها سريعًا من ريم المراقبة للحديث قبل أن يلتفت إلى والدتها:

. أنا وريم بنتعامل يوميًا مع بعض والحقيقة ما كانش ينفع أول ما حسيت بإعجابي بيها إني أتأخر عن كده

عاد بنظره للسيد رفعت يوضح مقصده:

. وضعنا بين زمايلنا والطلبة كان يحتم عليَ إني أخلي ارتباطنا رسمي بأسرع وقت، ده بعد موافقة حضرتك طبعا

ابتسم السيد رفعت بإعجاب واضح قبل أن يجيبه:

.كبرت في نظري يا دكتور لكن الرأي النهائي لريم

ونهض يستأذن منه لبعض الوقت مشيرًا إلى زوجته أن تتبعه يسمح له ببعض الخصوصية مع تلك الصامتة التي التفت لها يحتويها بنظرة

خاصة جديدة عليها تمامًا، يتأملها بحرية أخجلتها فأخفضت نظرها بينما هو يقرر:

. من النهاردة من حقي أبص لك براحتي

منحته رفعة حاجب مندهشة من جرأته الجديدة عليها:

. ليه أنا بالتحديد؟

عاد بظهره يستند إلى ظهر الأريكة ولم يفلت عينيها من أسر نظرته:

. ما اعتقدش إنك محتاجة إجابة وردية

إجاباته دائمًا غير متوقعة لها وهو ما يزيد فضولها للقرب أكثر لكنها حافظت على صمتها وهو يكمل:

. ما انكرش إني معجب بشخصيتك وحاسس إن هيكون بينا تفاهم لكن الأهم إني بكون مرتاح و أنا معاكِ

مالت برأسها لليمين قليلًا تعيد كلماته بنفسها، ماهر هو في التسلل إلى عقلها و قلبها معًا، يجيد خطواته بدقة يُحسد عليها:

. ولو قلت موافقة..

صمتت تمنحه الأمل و تسمح له بإكمال ما بدأ وهو لم يتأخر:

. من بكرة نشتري الدبل، عايز الناس كلها تعرف إنك تخصيني

وهنا أخفضت نظرها خجلًا تبتسم بنعومة وكانت تلك البداية...

***

إن لم تكن من الذئاب فعليك بمكر الثعالب لتأمن غدرهم

بعد انصراف محمود مبكرًا جلست تسترجع كل ما مر عليها منذ استلمت العمل بالشركة،

انصرف باقي الموظفين تباعًا و كانت أُخراهم سكرتيرتها أروى التي دلفت تطلب الإذن بالمغادرة:

. روحي أنت يا أروى أنا قدامي شوية

ودعتها أروى بعملية لتبقى وحيدة بالشركة كما عزمت منذ الصباح، هاتفت أخاها تدعوه للحضور وهو لم يتأخر، بعد نصف الساعة كان أمامها بمكتبها لأول مرة ولا يعلم ما تريده، وهي لم تتأخر في الإفصاح عن هدفها:

. في حد بدل فاتورة لينا بواحدة تانية مزورة

اقتربت من أخيها تستجديه العون:

. الحد ده أكيد من جوة الشركة ولازم أعرف هو مين

التفتت تفتح الحاسوب وتدير شاشته ليراها رائد:

. نادر مركب كاميرات في كل حته بس أنا ما بفهمش في الحاجات دي

اقترب رائد من الحاسوب وقد فهم ما تريده شقيقته:

. وعايزة ترجعي تسجيل الكاميرات علشان تعرفي مين الخاين

فرقعت نسمة بأصابعها وقد علمت أن رائد أفضل من يعينها في تلك اللحظة ليس فقط لأنه شقيقها ولن تثق في شخص مثل ثقتها به ولكن لأنه أحد أفضل مُبرمجي الحاسب الآلي بشركته متعددة الجنسيات فشقيقها الذي يصغرها بثلاث سنوات عبقري حقيقي في مجاله مما منحه الفرصة للترقي في فترة قصيرة وتقلُد منصب نائب رئيس فرع الشركة بمصر، انتبهت على صوت شقيقها يسألها:

. الملف كان فين وامتى تقريبا

أشارت على الشاشة حيث يقع مكتب محمود

و هي توضح:

.كان في المكتب ده، اتسلم للمستخلص من

ثلاث أيام

ضغط رائد أزرار الحاسب يعيد التسجيل لما قبل تلك الثلاث أيام، عاد بالشريط المسجل حتى أسبوع مضى ولا شيء غير طبيعي يحدث في المكتب أو في الرواق المؤدي إليه، التفت لنسمة بعد ساعات من مراجعة التسجيل:

. إيه اللي خلاكي متأكدة أنها اتبدلت هنا؟

طالعته نسمة باستفهام بعد أن أرهقها هي الأخرى متابعة التسجيلات الرتيبة:

. قصدك إيه؟

عاد رائد بظهره للخلف يطيل عضلاته بعد تيبسها طويلًا أمام الحاسب:

. لية ما تكونش اتبدلت عند المستخلص؟

بادلته نسمة سؤال بآخر:

. و إيه مصلحته؟

مسح رائد وجهه بكفيه في محاولة لاستعادة تركيزه:

. مش لازم يكون ليه مصلحة، ممكن يكون الجاسوس في مكتبه مش هنا

هزت نسمة رأسها إيجابًا وقد تملكها اليأس من معرفة الخائن، انتبهت على انتفاضة رائد الذي اقترب من الحاسب يعيد أحد المقاطع مرارًا حتى يتأكد مما وجده، تطلعت نسمة للمقطع الرتيب دون فهم لما قد يمثله من أهمية حتى أشار رائد للتوقيت أسفل الشاشة وهي لم تدرك مقصده:

. مش فاهمة!

أعاد رائد المقطع مجددًا وهو يشرح لها ما وجد:

. ركزي في التوقيت؛ التسجيل بيتخطى نص ساعة

التفتت نسمة لشقيقها بعد أن لاحظت ما أشار له و لازالت غير قادرة على فهم أهميته:

. وده معناه ايه؟

نقر على سطح المكتب بأصابعه يُحيي نفسه على ما وجده:

. معناه إن الكاميرات اتقفلت نص ساعة و اشتغلت تاني ودي فترة كافية لتبديل الفاتورة

التفت إليها وهو يحاول حصر الشك أكثر:

. وده معناه أن الخاين هنا وعارف إن في كاميرات مراقبة

حدجته بذهول عندما ضربها منطقه، ما توصل له لا يحصر الشك فقط بعدة أشخاص، انقبض قلبها لما توصلت إليه نتيجة لاستنتاج شقيقها الذي أكمل تأكيد شكوكها بسؤاله:

. مين عارف بالكاميرات دي غيرك

و الجواب ينحصر بمعدودين على الأصابع هي و نادر وآخر وحيد كان آخِر من تتوقع خيانته لكن لا متهم أمامها غيره بعد ما توصلت إليه كيف استطاع ادعاء دور المخلص بل كيف

استطاع خداع نادر طوال تلك السنوات،

رفعت نظرها لرائد بألم وهي تخبره بالاسم:

. محمود

***

ذنوب الماضي لا تسقط بالتقادم و الثمن

واجب الدفع وإن تاب العاصي

نصف يوم قضاه على الأريكة بصالة بيته منذ

حضر وابنته، لم يُغمض له جفن وهو يعيد على

نفسه شريط ذكرياته مع طفلته منذ يوم ميلادها

بل منذ اختار أمها زوجة، مرورًا بسنوات

طفولتها الأولى بمنزله والأيام القليلة التي كان

يقضيها معها وسط خلافات لا تنتهي مع زوجته وصولًا لانفصاله وأمها وتباعده قهرًا عنها؛ مرة بسبب طلاقه ومرات بسبب ظروف عمله حتى تحسن الوضع قليلًا في عامه الأخير بعودة عمله للقاهرة وتقاربه أكثر من ابنته إلى أن رآها بذاك الوضع المخجِل وكأنها قد غرست خنجرها بقلبه انتقامًا لكل لحظة من عمرها أهمل وجوده بحياتها، يعلم أن الصغيرة لا تتحمل اللوم وحدها وربما كان هو الجاني الأول وعليه تجرع نصيبه من العقاب.

أزاح ذراعه عن عينيه فغشيهم ضوء الشمس المتسلل من النافذة، تطلع بصعوبة لساعة الحائط فوجدها تشير للثالثة عصرًا، تحرك بتثاقل يجر قدميه حيث المطبخ وصنع بعض الشطائر لتلك الصغيرة التي لم يرَها منذ نهرها مساءً، حمل صينية الطعام ودلف غرفتها فوجدها بذات الملابس تحتضن ساقيها بوضع الجنين وجفنيها متورمين من أثر البكاء فليلتها لم تكن بأفضل من خاصته، زاد ألمه لهيئتها وإن أبى عقله التراجع عما عزم عليه، وضع صينية الطعام

على المنضدة القريبة واتجه يزيح الستائر عن نافذة الغرفة وهو يخبرها باقتضاب:

. قومي كلي

فتحت جفنيها بصعوبة تتطلع إلى ظهر أبيها ترغب بالدفاع عن نفسها ولا تجرؤ؛ أتخبره أن الآخر مجرد صديق يملأ فراغ أيامها أم تقول أنها تفاجأت برغبته ولم يكن خيالها يصل حد أن يفرض الآخر نفسه عليها بتلك الفجاجة، أتراه سيصدقها إن أخبرته أنها كانت تقاومه وتحاول الهرب عندما حضر هو وأنقذها أم سيعتقد بسقوطها معه، تحركت ببطء ناحيته تحاول

الاعتذار، رفعت كفها تلمس ذراع والدها وتهمس بخوف:

. بابي

التفت فارس يواجهها بألم وقد تحول بياض عينيه للأحمر، شياطينه تتراقص أمامه وقلبه يئن لدموعها التي لم تتوقف، أمسك عضدها بقسوة يسألها وقد أوشك صبره على النفاد:

. حصل إيه بينك وبينه؟

هزت الصغيرة رأسها نفيًا بعنف ونطقت من بين انهيارها:

. ما حصلش حاجة

نفض ذراعها وعاد يواجه النافذة وهو يلقي بأول قراراته:

. النادي ده مش هتدخليه تاني

صرخت لمى قهرًا تتعلق بذراع والدها ترجوه العفو:

. لأ يا بابي علشان خاطري

تعلقت كفاها بقميصه تتوسله عدم حرمانها من حلم تعيش له:

. أنا مستعدة لأي عقاب بس سيبني ألعب تنس

طالعها فارس بقناع جامد تمسّك به رغم قلبه الذي يدعوه لغمرها بأحضانه في هاته اللحظة، لكنه عزم على إكمال ما بدأ:

. رقمك هيتغير ولو اتصلتي بالصايع ده هعرف

هزت لمى رأسها موافقة وهو يكمل:

. مفيش خروج من البيت بعد كده غير معايا

أكملت الصغيرة هز رأسها إيجابًا، هي لن تعترض على أي قرار يتخذه والدها بخلاف تخليها عن حلمها:

. بس ألعب تنس يا بابي أرجوك

زفر فارس أنفاسه المحتبسة وابتعد ناحية باب الغرفة دون رد، توقف قليلًا قبل أن يخرج يكبح نفسه عن النظر ناحيتها حتى لا يفوز قلبه على عقله في معركته فيتراجع:

. أنا خارج و مش هتأخر

وأغلق باب غرفتها تاركًا المنزل بأكمله وأبوته تجلده لتلك القسوة التي يمارسها لأول مرة، بعض الشِدة ضرورية لتدرك الصغيرة حجم ما اقترفته من خطأ وعنها فقد واصلت انهيارها خوفًا من ضياع حلم وحيد كانت تعيش للوصول إليه، وحيدة هي تحمل على كتفيها

الصغيرتين ذنوب لا قِبل لها بها، تتأرجح بين أبوين كلٌ في ناحية وحين ظنت أنها اقتربت من نيل بعض الحرية بالعيش مع والدها باتت مهددة بضياع حلمها، جلست على الفراش تضم ساقيها لصدرها وتهتز للأمام والخلف في محاولة للسيطرة على غضبها دون طائل، لمحت الطعام ولم تستطع أن تقربه فما جدواه إن لم تقوى على اللعب مرة أخرى، عبثت بحقيبتها تخرج محتوياتها دون ترتيب حتى وجدت مبتغاها.

بعد ساعتين عاد للمنزل وقد عزم على إنهاء عقابه، يكفي صغيرته ما نالته منه حتى الآن

وعليه احتواءها، وضع وجبة الطعام التي أحضرها ويعلم أن لمى تفضلها على المائدة وبدل ملابسه ثم عاد يطرق باب غرفتها دون رد، دلف فلاحظ الشطائر التي أعدها لم تُمس والصغيرة على الفراش، يبدو أنها قد نامت بعد ليلة بكاء، رق قلبه لحالها وعزم على إيقاظها لكنه تجمد حين اقترب من الفراش ولاحظ قطرات الدماء المتساقطة من قطعين بمعصمها.

الفصل الحادي عشر

وكم من جرح ترك ندبته بقلبك دون أن يمس جسدك

***

تجمد للحظات و هو يرى صغيرته الغافية وما أحدثته من جروح بمعصمها، انتابه الهلع مما قد تقدم عليه في غفلة منه، تقدم يجلس جوارها واحتضن معصمها براحة يده، قلبه ينزف وعيناه تتابع ملاءة الفراش الملطخة بدمائها، فتحت لمى عينيها بوهن تناظره بين غفو وإفاقة وعنه

فقد بادلها بنظرة حزينة وصوته يقطر ألمًا يسألها برفق:

. من إمتى بتعملي cutting

ارتبكت الصغيرة عندما تسلل إليها الاستيعاب وألقت بنظرها على يد والدها التي تحتضن جروحها، علمت ألا مجال أمامها للكذب والحقيقة أنها لم يعد بها طاقة للمناورة:

. مش من زمان

يعلم أن شيئًا كهذا انتشر بين جيلها كوباء، تقليد أعمى أحيانًا أو رغبة في الانتقام من أنفسهم أو ذويهم لا فارق وربما محاولة لجذب

الأنظار الأكيد أن صغيرته تعاني في صمت وعليه الانتباه من الآن فصاعدًا حتى لا يتحول الأمر إلى سلوك إدماني، تهدج صوته بحزنه يسألها مجددًا:

. ليه؟

سحبت معصمها من كف والدها واعتدلت تجلس مستندة إلى ظهر الفراش، شردت قليلًا بجروحها و أجابته بكلمة واحدة:

. برتاح

هز رأسه يحاول استيعاب ما تمر به صغيرته من ضغط و هو بكل قسوة زاده، نهض يغيب

خارج الغرفة قليلًا ثم عاد ليحتل مكانه مجددًا، مد كفه إليها بمغلف علمت أنه خط جديد لهاتفها ثم منحها ورقة مطوية لم تفهم محتواها إلا حينما أوضح هو:

. دي مواعيد تدريبات التنس بتاعتك في نادي الشمس

فغرت لمى فاهها وطالعت والدها بأعين مشدوهة بمفاجأتها حين أكمل توضيح موقفه:

. أنا لما قلت إنك مش هتروحي النادي ده تاني ما كانش قصدي أحرمك من التنس

ترقرقت غلالة الدموع بعينيها تطالع والدها وهي لا تكاد تصدق ما تفوه به:

. بجد يا بابي

ربت فارس بكفيه على عضديها يهدهد خوفها ويؤكد على حلمها الذي بات يخصه منذ علمه منها:

. ما فكرتش أبعدك عن حلمك لحظة بس كنت زعلان منك يا لمى

اندفعت لمى تتعلق برقبة والدها وغمرته بقبلاتها تهمس بشكرها وأسفها وقد تساقطت دموعها لا تدري أدموع فرح لعودة حلمها أم حزن لما

سببته لوالدها من ألم، ابتعدت قليلًا وأخفضت نظرها خجلًا وهي تنطق من بين دموعها ترغب في تبرئة ساحتها عله يغفر لها:

. أنا كنت ببعده لما حضرتك جيت، ما كنتش متوقعه إنه يعمل كده

تعلقت مرة أخرى برقبته وهي تشهق بدموعها وتهمس:

. آسفة

أحاطها فارس بذراعيه يضمها في دعم يمنحه لها واحتياج لضمتها التي حُرم منها شدد من ذراعيه حول جسدها رغبة في حمايتها يربت على ظهرها

بحنان اعتذارًا عما اقترفه بحقها، هو لن يُحمل صغيرته مزيدًا من اللوم فهو أحق به وأمها حيث تركاها فريسة لوحدتها ولنذل علم كيف يستغل ذلك في التسلل لها:

. مصدقك

مسح على شعرها بلطف يبعد رأسها قليلًا فيحتوي عينيها و بإبهامه يمسح دمعة فارة عن وجنتها:

. بس عايزك توعديني وعد

انتبهت لما سيقوله ونظرتها تخبره بموافقتها المقدمة:

. أوعديني ما تأذيش نفسك تاني و أي وقت أنت مضايقة تتكلمي معايا وأكيد هنلاقي حل يريحك

هزت الصغيرة رأسها إيجابًا وابتسمت من بين دموعها وهي تؤكد:

. وعد

ربت فارس بكلتا كفيه على وجنتيها وأعاد مسح المتبقي من دموعها وهو يجذبها لتنهض معه:

. أنا ما كلتش من امبارح يالا ناكل

أطاعته الصغيرة بسعادة وجلست جواره تلتهم شرائح البيتزا وهو كان يطالعها وقد عادت بسمتها البراقة تضيء أيامه من جديد ليقسم أن يبذل ما بقي من عمره حفاظًا على تلك البسمة.

***

هل يجوز لأنثى أن تصبح كالنواة يدور في فلكها منجذبًا دون إرادة، كيف تجيد المزج بين قوة وضعف مغلف بالحزن وبسمة مرتسمة على الشفاه، لقد ضبط نفسه متلبسًا بحساب عدتها التي انتهت منذ أيام هل يود التأكد من وفائها

لزوجها الراحل كأنه كان يراهن نفسه على احتفاظها بملابس الحداد كما يراها الآن أم رغبة داخله لا يعلم مصدرها تجبره على معرفة كل ما يخصها، أنّى لها بجمع كل تلك المتناقضات وإثارة مثلها بنفسه بمجرد رؤيتها.

منذ دلف مكتبها برفقة محمود بعد إنهاء مهمتهم الناجحة وهو مشدوه بكل ما يصدر عنها؛ همستها الشاكرة له بعد أن أرجع محمود الفضل لعلاقاته في تجميد الإجراءات حتى تقديمهم للفاتورة البديلة، التفاتاتها وحتى نظراتها لمحمود

التي اختلفت وأثارت في نفسه الريبة، أنهى قدح قهوته وطالعها بهدوء يناقض زحام أفكاره حولها:

. شكرًا إنك فكرتِ تستعيني بيَ لما واجهتِ مشكلة

بادلته نسمة نظرة امتنان حقيقية بعد أن اطمأنت لنهاية الأزمة:

. الشكر ليك يا باشمهندس جميلك مش هنساه

نهض حسام يستأذن بالانصراف يحييها بلباقة:

. تليفوني معاكِ أي حاجة تحتاجيها ما تترددیش

ودعته نسمة بعرفان بجميله الذي طوّق عنقها، كان هو قشة نجاتها التي تعلقت بها للخروج من أزمتها ولم يخذلها، التفتت تتابع حديث محمود بتوجس وهو يوضح:

. علاقاته بالناس هناك قوية جدا، الكل بيعمل له حساب وده اللي نفعتنا

طالعته بصمت غير قادرة على تحديد خطوتها القادمة معه، منذ وفاة نادر وهو يبدي إخلاص حقيقي لم تشك به لحظة رغم تحذير نادر لها بعدم الثقة المطلقة بأي شخص، لا يوجد أمامها متهم غيره بعد ما توصل له رائد، كانت تنوي

إنهاء عمله بالشركة لكنها فضلت الانتظار علها تتوصل لمن يعمل لحسابهم ويرغبون بالإيقاع بها، لعبة خطرة قررت خوضها بأن تحوي ثعبانًا ببيتها بغية أن تأمن سمه، تابع الآخر حديثه غافلًا عما يدور بعقلها:

. الشحنة قدامها يومين و تخرج هتصل بالعميل أحدد معاد للتوريد في أقرب وقت

ونهض متجهًا حيث مكتبه تاركًا الأخرى خلفه وقد بدأت متابعة كل تحركاته على الشاشة جوارها علها تمسك بطرف الخيط، تابعته حتى وصل مكتبه وطالع أحد الملفات بتركيز، مكالمة

هاتفية أجراها سريعًا ثم أخرى واردة أغلق خلالها الملف بحوزته و فتح آخر يقلب في الأوراق حتى وصل لإحداها تتحرك أصابعه على الأسطر و كأنه يقرأ لطرف المكالمة الآخر، أنهى مكالمته والتقط صورة بالهاتف للصفحة أمامه التي لم تستطع تبين محتواها ثم وضع الملف جانبًا وعلى ما يبدو أرسل بالصورة المُلتقطة لشخص ما، هل تملك النجاة من لدغة الأفعى لمجرد معرفتها بها أم أن الأفعى قادرة على الالتفاف حول عنقها بنعومة حتى إذا ما واتتها الفرصة أزهقت روحها بغتة.

***

بأحد ليالي الشتاء الدافئة كانت على موعد مع يوم علمت أنه سيكون نقطة تحول بحياتها فمنذ أعلنت موافقتها على طلبه توقفت عن عد المرات التي أدهشها فيها، فبعد يومين كانت على موعد مع زيارة عائلته المكونة من والديه و شقيقة وحيدة تصغره، الزيارة التي كانت تتخوف منها و خاصة تقبل حماتها المستقبلية لها كزوجة لنجلها وهو ما بددته الأخرى بلقائها الودود، ويومان كان يفاجئها بمحبس نُقش عليه حروف اسمه ليبدو واضحًا من الخارج وسلسلة من

الذهب الخالص يتدلى منها شكل قلب يحوي الحروف الأولى من اسميهما صنعت خصيصًا بطلب منه ليقدمها لها كهدية للخطبة يخبرها أنه يريد أن يعلن للجميع أنها باتت تخصه وحده، أيام قلائل أدهشها خلالها بحفظه لتفاصيلها عن ظهر قلب، نوع الشيكولا التي تفضلها ويجلبها يوميًا، كيف تحب قهوتها الصباحية وعدد ملاعق السكر التي تضيفها إلى كوب الشاي حين تلجأ إليه عقب محاضراتها؛ اكتشفت خلالها أنه بات يهتم بكل ما يخصها و اليوم كان ما حدده مع والدها للخطبة الرسمية؛ تزين بيتها بباقات

الزهور في كل ركن وتصدرها باقة كبيرة من صديقتها نسمة التي اعتذرت عن الحضور متمنية لها السعادة مع وعد بحضور الزفاف، مكالمة صباحية تلقتها من هند التي اعتذرت أيضًا عن الحضور متعللة بتعب الحمل بينما ريم تعلم أنها تتجنب أي احتكاك مع زوجها لا تأمن عواقبه، صوت شادية يصدح بجنبات البيت من مُشغل الاسطوانات فرغم مئات الأغاني التي اشتهرت للخطبة والزفاف كان سماع أغنية شادية الشهيرة أمنية لها ولوالدتها التي ما تلبث أن تُقبلها حتى تعود فتحتضنها بسعادة غامرة،

حضر ماهر مع بعض أفراد من عائلته بحلة كلاسيكية سوداء وقميص باللون الأبيض مع رباط للعنق باللون الأزرق الداكن؛ دلف وسط ترحيب أفراد عائلة ريم في انتظار العروس التي طلت بثوب باللون الأزرق الملكي يحتضن جسدها في رقي ينسدل فيضيق عند ركبتيها ويتسع في دوران رقيق، تتناثر على محيط الصدر حبات من اللؤلؤ الفضي تشكل جناحي طائر يلتقيان بمثلهما على الظهر ليرتفع على باقي الصدر والظهر قماش بذات اللون الأزرق من الشيفون يظهر قمحية بشرتها، شعرها رُفع

لأعلى إلا من بعض الخصلات تنتشر على محيط جبهتها و عنقها وجُمع ليحيط به تاج صغير مكون من صف من اللآلئ الفضية منحتها إطلالة ملكة تتقدم في خجل وقور تتفقد الرعية، اقتربت بتمهل وسط مراقبة الحضور وعينيه التي تعلم أنها تلتهمها الآن وتهرب من ملاقاتهما، جلست جواره بعد مصافحة سريعة وتبريكات الأهل، تقدمت شقيقته تحمل ذهب الخطبة، نهض كل منهما فمد ماهر كفه يلتقط سلسساله فيحيط به رقبتها، أتبعه بسوار من الذهب أعقبها بوضع محبسه في بنصرها و هي بادلته

بوضع محبسه، التقط كفها يرفعها لشفتيه يطبع عليهما قبلة مطولة وهمس دون أن يصل صوته للحضور:

. مبروك عليَ

سحبت كفها سريعًا وتوردت وجنتاها خجلًا تخفض نظراتها لتفر من حصاره.

في اليوم التالي كان يجاورها بين زملائهم يتلقيان التبريكات بالخطبة ويوزعان قطع الشيكولا على أصدقائهم ابتهاجًا بارتباطهما، انصرف جموع المهنئين كلٌ إلى وجهته وهو أوصلها حتى مكتبها وانصرف إلى وجهته، في الرواق المؤدي لمكتبه

التقى زميله عصام الذي قابله بابتسامة سمجة

ومباركة مبطنة بالسخرية:

. مبروك، ضربة معلم

ضيق ماهر حاجبيه في غضب جلي و هو

يستوضح مقصده أكثر:

. قصدك إيه؟

أشار الآخر بعينيه حيث باب مكتب ريم المغلق

يكمل بث سمومه:

. لعبت على الوتر الحساس

لم يكمل جملته حتى وصله رد ماهر متمثلًا في قبضة يده تطيح بفكه مخلفة جرحًا بزاوية شفتيه:

. آخر مرة تجيب سيرة اللي هتكون مراتي على لسانك

أشار بسبابته وهو يحاول التقاط أنفاسه الغاضبة من بين كلماته:

. ده آخر تحذير ليك

وانصرف تشيعه نظرات الآخر الحاقدة وهو يمسح خط الدماء عن شفتيه.

***

رغم ما تلاقيه أقسمت أن تستمر حياة طفليها كما كانت في وجود أبيهما، تصحبهما ليومين في الأسبوع لتدريباتهما كما كان يفعل؛ فالصغير من هواة التايكوندو أما طفلتها فتعلم أنها ستكون أحد بطلات الاسكواش عما قريب، اتخذت أحد المقاعد بالنادي تمضي الوقت بقراءة رواية في محاولة للعودة لما تحبه حتى ينتهي الصغيران من تدريباتهما.

على بعد طاولتين كان هو على موعد غير متوقع مع حلم قديم عاد يراوده من جديد حيث وجدها تجلس منفصلة عما حولها تتوحد مع

تلك الرواية التي تطالعها بكل تركيز تمتد يدها فتلتقط كوب عصير الليمون من أمامها فترتشف القليل دون أن تحيد عيناها عن السطور، وشاحها الأسود أحاط وجهها فزاد من جمال ملامحها وكأنه إطار للوحة بديعة من النعومة والحزن، قلبه يدفعه دفعًا للاقتراب عله يتمكن من طرق باب جنتها، قدماه استجابتا لنداء قلبه فتحرك كالمُسير نحوها، اقترب فتبين له عنوان الرواية التي تحتضنها بين أناملها "فاي" وتلك الجملة التي كُتبت تحته وهزت روحه "البعض يستحق أن يموت بآثامه، والبعض

يستحق أن يحيا بها" وقلبه مُحمل بما يكفي من الآثام التي يحيا بها لسنوات، هل يمكن أن تصفح عما ارتكبه بحقها قديمًا فتحرر قلبه أم كُتب عليه أن يحيا ليتجرع ثمن ما اقرفه ويموت به، وصل أمام الطاولة فوقف بهدوء يناقض ثورة مشاعره وهو يلقي السلام:

. سلام عليكم

رفعت عينيها تطالعه بنظرات مبهمة سريعًا ما تعرفت على هويته رغم سنوات عدم اللقاء لكنه لم يختلف كثيرًا عما مضى، تراجعت منابت شعره البني قليلًا من الجانبين وانتشرت شعيرات

بيضاء على استحياء بفوديه، قمحية بشرته ازدادت دكنة لتزيد من وضوح زيتون عينيه ورغم تقدم العمر لازال يحتفظ برشاقة جسده الرياضي، ابتسامة فاترة رسمتها على شفتيها وهي تجيب السلام:

. وعليكم السلام

وعنه فلحظة التقاء نظرته بخاصتها سقطت بقلبه فزادت من أسره الذي لم يتحرر منه منذ زمن:

. البقاء لله

أغلقت الكتاب ووضعته على الطاولة وهي تجيبه، ذكرياتها البعيدة عنه تلاشت بفعل الزمن،

حتى جرحها القديم الذي تسبب به وعانت أثره لعدة أعوام تالية تحول إلى حدث مشوش فشلت حتى بالعثور على ندبته، لو سألها الآن لشكرته لذلك الخطأ فلولاه ما التقت نادر وما جب كل ما قبله، دعته بإشارة منها للجلوس فهو الآن مجرد قريب ككثيرين غيره رغم علمها بطلاقه منذ سنوات إلا أن تلك المعلومة لم تشكل فارقًا حينها أو الآن، أتاها صوته الهادئ بسؤاله:

. بتيجي النادي كتير؟

أشاحت بنظرها عنه تتذكر ما كان وبحة الحزن بصوتها تخبره بما تخفي:

. دلوقت بقيت أنا اللي بجيب الولاد للتدريب

اختناق صوتها بكلماتها كبل قلبه حزنًا لها و

عليها رغم احتراقه بغيرته لسنوات.

قطع حديثهم صوت لمى التي أنهت تدريبها

ووقفت جوار مقعد فارس الذي لف ذراعه

حول خصرها يتولى مهمة التعريف:

. لمى؛ بنتي

. طنط نسمة؛ قريبتي

صافحت الصغيرة نسمة والأخرى بادلتها

مصافحتها ببسمة حنون حين حضر طفليها

فتولت هي تلك المرة مهمة التعريف، قطع

فارس المصافحات المتبادلة بين الصغار وهو يدعو الجميع للطعام:

. أنا ولمى متفقين نتغدى في النادي فرصة تتغدوا معانا

ابتسمت نسمة بود تعتذر برغبة للعودة إلى قوقعتها التي عاشت بها هانئة لسنوات ولا تجد الراحة خلال يومها إلا بدخول غرفتها حيث رائحته تنتشر بكل ما تطاله يدها:

. فرصة تانية يادوب نروح علشان مدرسة الولاد بكرة

واصطحبت طفليها وضاع معها ما كان متبقي له من النبضات.

***

رواق مشفى استثماري كبير يحفه السكون وأشعة الشمس المتسللة عبر الزجاج تفشل في إذابة جليد روحه، ثلاث ساعات قضاهم يتجول دون هدف بعد ما علمه من الطبيب، الكلمات التي لم يسمع بقيتها وكثير من التفاصيل التي لا تشكل فارقًا يُذكر، ثورته على الطبيب ودفاع الآخر عن نفسه باتت دون قيمة، حتى أمواله الطائلة التي طالما منحته القوة

لن تغير بواقعه شيئًا، لسنوات حارب ضعفه في كل موضع ولم يسمح لنفسه بغير موطن القوي والآن من كان ينتظره ليزيد من قوته أصبح مصدرًا جديدًا لضعفه، كيف يستطيع القبول بما كان يفر منه طوال عمره

دلف غرفة المشفى حيث زوجته لازالت تحت تأثير المسكنات عقب جراحتها، لقد اختارها بعناية من بين كثيرات حتى لا تكون يومًا بموضع قوة أمامه، لم ينبض قلبه لها قط ولم يسمح للشفقة عليها بالتسلل لنفسه يحارب من خلالها أشباحه متسلحًا بكل ما معه والآن بعد تلك

السنوات وكأنها تصفعه بحقيقة أن حتى تلك الضعيفة تستطيع إهداءك مزيدًا من الضعف وليس كما تصورت، راقبها وهي تحرك رأسها متأوهة في محاولة للصحو، لقد استنفدت كل وقتها معه ولا داعي للاحتفاظ بها أكثر، سيخطو متجاهلًا ما حدث فلا سبيل آخر له، فتحت عينيها في شبه استفاقة وطالعت ما حولها، اقترب يقف بمحاذاة الفراش وقد قرر بترها تمامًا ومواصلة حياته وكأنها لم تكن، نظراتها الواهنة قابلت جمود نظرته التي غامت بالسواد وصوته الذي نطق بقراره دون تردد:

. أنتِ طالق

الفصل الثاني عشر

استشارة طبية

د. رحاب أبو المعاطي

***

أنتِ ظل متواري خلف الجميع

أنتِ هامش خارج دائرة الملاحظة

أنتِ في خانة المفعول به ولا يليق بكِ دور الفاعل

***

بين صحو و إفاقة تأتيها الأصوات المتداخلة وكأنها غاصت في بئر سحيق تفرق جفنيها بوهن فترى الوجوه المحيطة مشوشة؛ وجه أمها، وجه صديقتها البشوش وصوتها الحنون يحمد الله على سلامتها، ووجهه الجامد ونظرته التي حملت انفعالًا غامضًا لم تختبره قبلًا رغم طول عشرتها معه، ثم تعود فتغلق جفنيها مستسلمة للمخدر الذي يسري بعروقها، تبدو نائمة لكنها تشعر بهم، تسمعهم دون قدرة على التفاعل معهم فقط وعي مشوش، ومع انسحاب أثر المخدر بدأ الاحساس بآلام جسدها المبرحة، فرقت

جفنيها مرة أخرى وتلك المرة طلبت الماء

فعطشها بلغ منتهاه، امتدت كف ريم إليها

بمشروب دافئ، ساعدتها على رفع رأسها قليلًا

ودست الماصة بين شفتيها رشفة فأخرى

وسحبته منها بأمر الطبيب دون أن ترتوي،

دارت بنظرها بين الوجوه وتلك المرة ببداية

استعادة وعي؛ أمها واجمة، أبيها غائب وعلى

كل حال لم تتوقع حضوره، وريم نظرتها حنون

وإن كان يعتريها بعض من قلق غير مفسر

وصولًا إليه وذات النظرة الجامدة التي ارسلت

قشعريرة باردة إلى سائر جسدها والكلمات التي خرجت من بين شفتيه حادة كنصل سكين بارد:

. إنتِ طالق

هل لازالت تحت تأثير المخدر وتعاني من هلاوس أم أن عقلها الباطن يصرخ بأمنية لم تقوَ على التصريح بها:

. إنتِ طالق

نطقها صريحة، سريعة كطلقة رصاص تنطلق في الفراغ، نطقها والتفت منصرفًا بذات الجمود حتى اختفى عن ناظريها، شهقة أمها وأنينها بالبكاء وكف ريم التي احتضنت كفها بدعم

حنون أخبرتاها أنها في عالم الواقع، تلقت رصاصته بصدرها تخترق قلبها باحتراق ليس لفراقه لكن لما قد يدفعه لذلك الفعل في مثل هكذا توقيت، سيطرت أسوأ كوابيسها على عقلها فظهر الرعب بنظرتها المتسائلة لريم وهمستها المرتجفة خوفًا من الإجابة:

. ابني

ربتت ريم على كفها واحتوته بكفها الآخر في دعم وابتسامتها المطمئنة تجيبها:

. بخير اطمني

نظرتها وإن كانت داعمة مطمئنة إلا أنها تخفي مجهولًا تخشاه، لسانها ترجم خوفها:

. هو فين؟

وتلك المرة بدا ارتباك ريم واضحًا وإن حاولت مواراته خلف نبرتها الهادئة:

. في الحضّانة؛ هيطمنوا عليه و يخرج

لم يهديها الجواب طمأنينة بقدر ما منحها من قلق، التفتت نحو أمها التي كفكفت دموعها واقتربت من الفراش تربت على كفها الآخر بحنو، هيئتها زادت من اضطرابها فصرحت بتقرير:

. عايزة أشوفه

والإجابة أيضا من ريم التي أجبرت نظرها على العودة إليها مرة أخرى:

. أول ما تقدري تتحركي هتشوفيه

والنظرة حنون مطمئنة لم تجد سبيلًا سوى التمسك بها وإن نخر سوس القلق عظام صدرها.

***

إنتِ طالق

نطقها وتولى عنها؛ مر حيث قسم حسابات المشفى ودفع كامل مستحقات الإقامة مقدمًا وذلك آخر عهده بها، بهما، قاد سيارته بأقصى سرعة يفر من واقع لا يقوىَ على مواجهته ممزِقًا تلك الصفحة من قاموس حياته، وصل أعلى نقطة بهضبة المقطم وترجل يشاهد القاهرة من علوٍ وكلمات الطبيب تضرب رأسه مجددًا تزلزل ثباته وكل ما رسمه لصغير كان ينتظره ليشّدُد به أزره،

صغيرك ضعيف

أنت ضعيف

قلبه يئن

واتهام بتقصير

دفاع عن النفس فما باليد حيلة

لن يحمل ابنك رايتك يوما

ثورة غير مُبررة

والجواب قدر

و شمس الشفق التي تحولت للحمرة أوشكت

على الاختفاء وكأنها تؤكد على ضعفه أمام

القدر

أنتَ ضعيف مهما ادعيت القوة

مرغم مهما امتلكت من خيارات

مسير ولا سبيل لديك سوى الخضوع للقدر

صرخة عجز خرجت منه وهو يخر على ركبتيه

يتطلع إلى السماء وكأنه يتوسلها البوح؛ لمَ!

ألقى بجسده على الأرض الصلبة وتعلقت عيناه

بالغيوم، والسؤال الذي لا يعلم جوابه يذيقه

مرارة القهر لأول مرة، دمعة وحيدة فرت من

عينيه وانتهت عند فوديه قبل أن يقتل أخريات

بعزم على عدم الخضوع، نهض ينفض تراب

الأرض عن ملابسه واتخذ مقعد القيادة وثبات

عينيه تمحو ذلك اليوم من تاريخه، هو لن يخضع

لن يضعف

لن ينحني مهما كان الثمن.

***

فور أن سمح لها الطبيب بالحركة، اتكأت على كف ريم وبخطوات متمهلة تقاوم الألم توجهت إليه؛ وخارج غرفة الرعاية المركزة للمواليد استندت بكفها للزجاج تبحث عن صغيرها بين صغار اجتمعوا في الألم، هل تستطيع اكتشافه بقلبها فقط؛ كيف وكل صغير منهم يختطف نبضة رغما عنها؛ لاحظتها الممرضة من الداخل فرفعت صوتها تسألها عن اسمها؛ أجابتها لتشير

إلى أحد الصغار داخل كبسولته الشفافة؛

تعلقت عيناها بجسده النحيل الذي يغوص في حفاض يكبره وتلك اللاصقة اللعينة تغلق عينيه فتحجبهما عنها، وجهه الصغير أسفل نصف كرة من البلاستيك الشفاف لا تعلم ماهيتها، وإبرة التغذية غرست بجانب عنقه، ترقرقت غلالة الدموع بعينيها وهي ترى صغيرها بهكذا وضع، انتبهت على الطبيبة القادمة تهم بالدخول إلى غرفة العناية، نادتها فالتفتت الأخرى و بخطوات متمهلة اقتربت هند من

الطبيبة تتعلق بساعدها وتعود عيناها لتتعلق بصغيرها و تشير إليه:

. هو عامل إيه؟

ربتت الطبيبة على كفها وتبادلت نظرة مع ريم فهمت مغزاها قبل أن تجيب بنصف حقيقة:

. حالتة مستقرة؛ اطمني

اشارت هند إلى نصف الكرة المحيط لرأس الصغير تكمل استفسارها:

. ليه؟

ابتسمت الطبيبة بود تشرح وضع طبي ببساطة:

. هو مولود بعدم انتظام في التنفس وده جهاز بيحافظ على نسبة الأكسجين حواليه

عادت عينا هند تتعلق بصغيرها فاتبعت الطبيبة شرحها تمنح بعض الطمأنينة لأم متلهفة:

. إحنا عملنا كل الفحوصات اللازمة، نطمن على انتظام النفس ويبقى في حضنك

عادت هند تتعلق بكلمات الطبيبة المطمئنة والأخرى ابتسمت بود:

. ما قلتيش هتسميه إيه

ابتسمت هند للصغير الذي تمنته منذ زمن ليضيء ظلام أيامها وهمست:

. ضياء

ودعتها الطبيبة ببسمة أخرى وهي تفتح باب الغرفة وقبل أن تغلقه:

. هنحتاج منك شوية لبن في بيبرونة يا أم ضياء لحد ما ضياء يرجع لحضنك؛ ممكن؟

أومأت هند إيجابًا وعادت تتعلق بالصغير الغافي دون دراية بما حوله، هو ضياؤها في طريقها الموحش الذي طالما انتظرته.

***

بين الواقع وعالم الأحلام خيط فاصل يقف عليه بثبات فهو بات قاب قوسين من تحقيق حلمه،

دلف مكتبها بعد استئذان، قابلته ببسمة مرحبة ثم نهضت تدور حول مكتبها تصافحه، رفع كفها يقبل ظاهره وهي سحبته تفر من أسر عينيه بخجل عمدت إلى مواراته وهي تلتقط الملف الخاص به عن مكتبها:

. الجزء ده محتاج تعديلات يا دكتور أنا حددتهم لك

اقترب يلتقط الملف من بين يديها ويلقي به على المكتب مرة أخرى ثم يلتقط كفيها وينحني يقلص فارق الطول بينهما:

. طب ما تذاكري لي

نظرته العابثة بلطف دغدغت حواسها

فابتسمت ترفع حاجبيها بمشاكسة تكتشفها

بنفسها لأول مرة وهو يكمل عبثه:

. أنا طالب مجتهد مش هتعبك

رفعت سبابتها تربت على ذقنها مدعية التفكير

ثم رفعت كتفيها بملل متسلي:

. أجرب

ضحك ماهر باستمتاع لمرحها الذي يختبره للمرة

الأولى خلاف وجهها الجاد سابقًا، سحب كفها

يجلسها على المقعد أمام المكتب ويجلس في

مواجهتها ونبرته تعود لجديتها:

. نتكلم جد بقى

انتبهت ريم له تومئ برأسها إيجابًا:

. نتكلم جد

. مالِك

رفعت ريم نظرها إليه وزفرت متخلصة من أنفاسها المحتبسة، بالأيام الماضية كان هو المنفذ الوحيد لغضبها مما تمر به صديقتها ومن الوغد زوجها ومن خنوع صديقتها الدائم، خرجت كلماتها مهمومة:

. هند هتخرج النهاردة من المستشفى

علم منها الكثير عن صديقتها ولا ينكر تعاطفه معها:

. هي عرفت؟

هزت رأسها نفيًا، لقد حرصت على تأجيل الحقيقة حتى تتعافى صديقتها قليلًا لكن الآن لا مفر منها كل ما تستطيعه أن تكون جوارها لدعمها، تذكرت ذلك الوغد الذي كان من المفترض أن يكون هو الداعم، غضبها منه بلغ منتهاه ولم تستطع مداراة كرهها له:

. جوزها ده.....

كتمت سبتها رغمًا عنها وهو لاحظ غضبها، يعلم بانفصال صديقتها عن زوجها وإن كان يستطيع استنتاج السبب لكنه يلوم على الآخر توقيته:

. مش الطفل اللي خلاه يطلقها

نظرة مندهشة نالها من ريم قبل أن يكمل:

. من كلامك عنهم هم مفيش حاجة بينهم تخليهم يكملوا مع بعض، تقدري تقولي الطفل كان القشة

أومأت برأسها إيجابًا وكلماتها تؤمن على كلماته:

. في دي معاك حق

عادت كلماته مرة أخرى تحتوي غضبها كالأيام السابقة:

. تجي آجي معاكِ

نفت بهزة رأس:

. خليني أكون معاها لوحدي

ابتسم بدعم وهو يلتقط الملف الخاص به مرة أخرى وينهض:

. طيب ألحق أعمل التعديلات بتاعتي

انحنى يستند إلى مسند مقعدها ونظرته العابثة تشاكسها:

. أصل المشرفة بتاعتي شديدة قوي وأنا عايز اخلص الدكتوراه بسرعه

ضحكت باستمتاع وهو يتجه حيث الباب وقبل أن ينصرف منحها قبلة لسبابته ووسطاه:

. هكلمك لما تروحي

وتركها غارقة فيه دون رغبة في النجاة.

***

هي ربان سفينة حياتها تقودها بثبات وإن تخبطت بين الأمواج، بالأمس وصلت شحنة الأجهزة المُنتظرة بالكامل إلى مخازن الشركة ورغم جهلها بتصنيفات تلك الأجهزة عمدت

إلى استلامها ومطابقتها بفاتورة الشراء بنفسها، الأمر الذي أرهقها واستهلك كثير من طاقتها لكن ما باليد حيلة بعدما فقدت الثقة بكل من حولها.

طرقات على باب مكتبها دلف بعدها محمود يحمل ملف الصفقة بالكامل، لم يجلس وأخبرها على عجالة أن سيارة النقل تقوم بتحميل الأجهزة الآن من مخازنهم:

. أنا رايح أورد دلوقت لو اتأخرت هروح وأجيب الشيكات بكرة وأنا جاي

عقدت حاجبيها بتوجس ولم تخفي أفكارها:

. ما بلغتنيش ليه بميعاد التوريد

اندهش محمود لنبرتها الجديدة معه، منذ أيام وهو يلحظ تغير بمعاملتها وإن لم تصرح بشيء:

. أنا قلت لك إني هحدد أقرب معاد ويادوب خدت المعاد أمبارح بعد وصول الشحنة

أمعنت النظر فيه هي لم تقتنع بالجواب ولا تستطيع الإمساك بدليل آخر على خيانته، ترى ألهذه الدرجة يجيد الخداع، التقطت حقيبتها وسلسلة مفاتيحها نهضت تعرب عن قرارها دون ترك فرصة للمعارضة:

. أنا جاية معاك

تحركت تسبقه على باب المكتب بينما هو ثابت مكانه يطالعها بدهشة لم يستطع إخفاءها هذه المرة:

. غريبة؛ من إمتى بتطلعي شغل برة الشركة

التفتت تحدجه بنظرة متلاعبة جديدة عليها تمامًا، التوى ثغرها ببسمة ساخرة ظهر أثرها بكلماتها وإن حملت معنىً آخر:

. تلميذتك؛ مش قلت إني لازم أعرف كل حاجة

وتلك المرة ارتفع حاجباه إعجابًا بحماسها فتلميذته النجيبة يبدو أنها في طريقها للتفوق على أستاذها، أشار بكفه على طول ذراعه حتى

تتقدمه واعتلت ثغره بسمة سعيدة، ترجل كلاهما فركب محمود جوار سائق النقل يوجهه حيث المصنع وهي تبعته بسيارتها الصغيرة.

بعد إجراءات التسليم وقّعت على استلام مستحقاتها كاملة؛ شيك واجب الدفع فورًا كدفعه تسليم الشحنة ومجموعة أخرى كدفعات مؤجلة لباقي المبلغ، أوصلها محمود حيث سيارتها وهو يبارك لها اكتمال الصفقة:

. مبروك؛ لو تحبي تجيبي الشيكات أوديهم البنك قبل ما أروح الشركة الصبح

كانت قد اتخذت مقعد السائق، أخفضت زجاج سيارتها تحدثه بتوجس لم تعد قادرة على مداراته:

. شكرًا، أنا هعدي ع البنك قبل ما آجي الشركة بكرة

وانطلقت بسيارتها وتركته حائرًا يبحث عن سبب لهذا التغير دون أن يجد.

***

تركته خلفها وقد عزمت على إنهاء عمله بالشركة في أقرب وقت فلم تعد تحتمل الشك، ملت دور القط المراقب لحية قد تلدغه في أية لحظة فتقضي عليه، مرت بمنزلها فتركت الأوراق

الهامة واصطحبت طفليها، في طريقها ابتاعت وجبة شهية وبعض الفاكهة وتوجهت حيث وجهتها، صعدت مع طفليها درجات البيت العتيق وضربت جرس الباب بانتظار فتحه، وما إن ظهرت السيدة خلف الباب حتى اندفع نور يحتضن خصرها بقوة فتراجعت خطوة للخلف تستعيد توازنها المختل بفعل اندفاع الصغير وهي تضمه بذراعها:

. دودو وحشتيني

اندفعت نسمة تجذب نور وتنهره على اندفاعه:

. مش قلنا بشويش يا نور

انحنت السيدة درية تقبل الصغير وتجذب نادين فتحتويها بذراعها الآخر وهي تحادث نسمة:

. سيبيه براحته

ابتسمت نسمة بحبور وهي تشاهد حماتها تغمر طفليها بقبلاتها وانطلقت كلماتها مداعبة:

. واضح إني مليش نصيب

تداركت درية الأمر وهي تفلت نادين وتجذب نسمة لأحضانها بحب ظاهر:

. إنتِ الخير والبركة

دعتهم جميعًا للدخول، وضعت نسمة أكياس الطعام على المائدة وشرعت بإخراج الأطعمة وهي تقول:

. إحنا ما كلناش قلنا نيجي نتغدى معاكِ

التف الجميع حول المائدة وهمست درية بصوت غير مسموع عندما رأت ما أحضرته نسمة:

. كفتة وشيش طاووك

ترقرقت الدموع بعينيها تتذكر آخر لقاء بولدها الراحل، تملي عينيها برؤية طفليه وهذا الصغير الذي يحمل نسخته الكاملة، امتدت كفها

للطعام تلتقط بعضه وتطعم الصغير بينما نسمة تعلق:

.كلي إنتِ يا ماما هو بياكل لوحده

منحتها نظرة حنون وعادت للصغير الذي التصق بها ينهل من حنانها:

. أنا بحب أأكله

عقب الطعام اجتمعوا حول كوبين من الشاي المطعم بحبات القرنفل لنسمة وحماتها وحبات اليوسفي و الجوافة للصغيرين اللذين منحا المنزل حياة بصخبهما، التفتت درية إلى نسمة تسألها عن أحوالها:

. عاملة إيه يا بنتي

همست نسمة بالحمد وهي ترتشف من كوب الشاي بتلذذ:

. كنت محتاجة كوباية زي دي من الصبح

ربتت درية على كتفها وهي ترى الارهاق البادي عليها:

. عاملة إيه في الشغل؟

بادلتها نسمة بسمة ممتنة لاهتمامها:

. ماشي كويس الحمد لله

ثم أتبعت باعتذار واجب:

. أنا آسفة إني مكنتش باجي قبل كده، بس مكنتش بخرج غير للشغل

أشفقت عليها من ذكر السبب الذي منعها لكنها أتبعت:

. بس بعد كدة إن شاء الله هنكرر اليوم ده باستمرار

قطع حديثهم باب البيت الذي فُتح حيث دلف مدحت المتفاجئ بوجودهم، انحنى على أمه مقبلًا ثم التفت إلى نور ونادين يقبلهما بود بينما الطفلان بادلاه تحية باردة لم تقل برودة عن تلك التي تبادلها مع نسمة التي شعرت بانسحاب

الهواء فجأة من البيت بحضوره، تلهي نفسها بمتابعة طفليها متجاهلة حديثه الدائر مع أمه ونظراته التي تشعر بها تخترقها دون سبب، منذ عرفت نادر وهي لا تشعر بالراحة في وجود شقيقه لكنه كان حاجزًا منيعًا بينهما زاد عدم ارتياحها ذلك بعد ما علمت عنه من افتعال للمشكلات مع نادر وحتى مع أمه الطيبة، تطلعت إلى ساعة يدها وتذرعت بالوقت حتى تنهي هذا اللقاء الثقيل، نهضت تستأذن بالانصراف بينما ابتسامته السمجة تلاحقها:

. هو إذا حضرت الشياطين ولا إيه؟

توجهت نسمة تصافح السيدة درية وهي تجيب بخفوت:

. أبدا بس الولاد بتنام بدري

نهض مدحت مستعدًا للانصراف وهو يقرر:

. خلاص هوصلكم

التقطت نسمة كف نور وبذراعها الأخرى احتوت كتفي نادين وهي تؤكد:

. شكرا معايا العربية

وانصرفت مع طفليها هروبًا قبل أن يزيد كلمة.

***

بعد يومين قضتهما تتطلع إلى صغيرها عبر الزجاج الشفاف كانت على موعد مع لحظة طالما تمنتها، منتظرة خارج باب الرعاية، منحت الممرضة ملابسه ووقفت تراقبها من خلال الزجاج وهي تلبسها له قطعة قطعة، ثم حملته وبيدها الأخرى بعض أوراق طلبت منها توقيعها باستلام صغيرها، وقعت على عجالة فلو طُلب منها في هاته اللحظة عمرها ستدفعه طائعة نظير احتواء طفلها بين ذراعيها، قشعريرة سرت بجسدها وهي ترفع الغطاء عن وجهه المنمنم تتشبع بملامحه لأول مرة، تحسست بشرته

الرقيقة بأناملها وملأت صدرها برائحته المميزة،

شحوب وجهه آلم قلبها فارتجفت تضمه

لصدرها، اقتربت ريم منها تربت على ظهرها

وتعرض المساعدة:

. لو مش قادرة تشيليه هاتي أشيله

هزة رأس نافية هي ما صدرت عنها وعيناها

لاتزال متعلقة بوجه طفلها، حتى أمها اقتربت

تتحسسه وتقبل رأسه بحنو:

. أنت تعبانة هاتي أشيله لحد العربية

تلك المرة نفيها كان حاسمًا:

. ما حدش هيشيله غيري

انصاعا أمام إصرارها، سارو جميعًا على مهل حتى سيارة ريم التي اتخذت طريقها حيث منزل عائلة هند التي لم تتحدث منذ لقاءها مع الطبيبة قبل استلامها لطفلها، عيناها لم تغفل عن وجهه تعيد استرجاع حديث الطبيبة المقلق المطمئن في آن واحد؛ فالصغير من أصحاب متلازمة "داون" هكذا بدأت الطبيبة مشجعة هند على اتخاذ الطريق الصحيح نحو تربية ملاك مثله، ارتباك اعتراها لا تنكر لكنه طفلها وستفعل أي شيء في صالحه، ثم الخبر الثاني فالملاك قلبه يئن حيث حجراته الأربع دون حاجز؛ هل يجوز لها

أن تمنحه قلبها يحيا به، و وصفة طبية بلبن صناعي للرضع فجسد الصغير الضعيف بحاجة للغذاء السهل دون جهد الرضاعة الطبيعية، وفي النهاية توصية بالمتابعة مع طبيب متخصص بقلب الأطفال حتى تحديد موعد للجراحة، تحسست وجنته الرقيقة بظاهر أصابعها فالتوى ثغره بشبه ابتسامة سقطت بقلبها لتختطفه كاملًا من ألمه، وصلن لوجهتهن فصفت ريم سيارتها أسفل المنزل، حملت الرضيع حتى تتمكن هند من الترجل فلاتزال غير قادرة على الحركة الكاملة، ترجلت هند ثم عادت تحتوي

ضياءها مرة أخرى، صعدن الدرج حيث فتحت أمها باب البيت ودلفت وعند الباب أتاها صوت والدها من الداخل:

. على فين؟

اقتربت أمها منه بارتباك واضح تحاول جذبه للداخل حتى تتمكن هند من الدخول لكنه نفض يدها عنه مكملا كلامه للواقفة بوجوم على باب البيت:

. اللي على ايدك ده ليه أب يصرف عليه

همت أمها بالحديث مرة أخرى:

. سيبها تدخل يومين لحد ما نصالحها على جوزها

تجاهل حديث زوجته مكملًا توجيه رصاصاته القاتلة للصامتة عند الباب:

. روحي وديه لأبوه لو عايزة تدخلي البيت ده

جذبت أمها ذراعه مرة أخرى تثنيه عما يفعل:

. إزاي بس ده لسة مولود

وجه شرارات غضبه تجاه زوجته تلك المرة يعلنها بوضوح:

. لو مش عاجبك اتفضلي حصليها

حقد، لو بحثت داخلها عن شعورها نحو والدها فمسمى الكره يتضاءل هنا، غضبها نحوه تجاوز كل حد ممكن فهو سبب كل شرور حياتها، ليته لم يكن بل ليتها لم تولد لهكذا أب هو سبب المأساة التي تحياها منذ تفتحت عيناها بهذه الدنيا، التفتت منصرفة تترجل مرة أخرى حتى الطريق وقد شل تفكيرها تماما،

هي بلا مأوى

بلا عمل

بلا أهل

بلا زوج

فقط هي و صغير بقلب ضعيف

في مواجهة المجهول

الفصل الثالث عشر

لم يُشتق لفظ صديق من الصدق اعتباطًا وإنما لأنه من يصدقك الحب، الحديث وقبل كل ذلك العون دون مصلحة يربو إليها.

***

وقفت بنهر الطريق تضم طفلها إلى صدرها بكلتا يديها وزوايا العالم تضيق حولها وكأنه تحول إلى حائط سد لا يحوي ثقبًا كإبرة يسعها وصغيرها، انتبهت على كف ريم تحط على

ظهرها تحثها على السير معها حتى السيارة؛ رفعت نظراتها الزائغة إليها وهي تسأل بتيه:

. هروح فين؟

فتحت ريم باب السيارة وهي تربت على ظهرها بحنان وابتسامتها البشوش تمنحها الأمل وسط اليأس:

. عندي؛ يالا كلهم مستنيينك إنتِ وضياء

أغلقت باب السيارة مع نهاية كلمتها والتفت تتخذ مقعد السائق، ريم التي هاتفت والدها بغفلة من هند تخبره سريعًا بما حدث وهي أكيدة من أنه لن يمانع استضافتها بالبيت

دقائق وكانت تفتح باب البيت تضع حقيبة الطفل جانبًا وخلفها هند منكسة الرأس خجلًا مما هي فيه، رفعت رأسها على صوت السيد رفعت يرحب بها:

. نورتي بيتك يا هند

ابتسمت بخجل والكلمات تخرج منها على استحياء:

. منور بأصحابه

تقدم السيد رفعت منها يربت على كتفها ويحثها على التقدم:

. أنت اصحابه يا بنتي وإحنا ضيوفك

التقطت السيدة رقية الحديث من زوجها وهي تحتوي كتفي هند وتقودها حيث غرفة ريم:

. حمد لله على سلامتك إنتِ وضياء

على ذكر ضياء عادت عينا هند تتعلق بوجهه البريء الغافل عن شرور العالم، أجلستها على الفراش المقابل لفراش ريم وهي تكمل حديثها الودود:

. خدي راحتك يا بنتي على ما أجيبلك الأكل

وتركتها مع ريم التي ابتسمت بترحاب وهي تجمع كتبها وحاسبها المحمول وتنقلهم إلى خارج الغرفة وتوضح:

. علشان معملش قلق للأستاذ ضياء وأنا بشتغل

أخفضت هند نظراتها خجلًا وهي توضح بأسى:

. هلخبط لك نظامك

اندفعت ريم إلى صديقتها تحتويها بقوة وهي تؤكد:

. أنت عبيطة صح، هو أنا أطول تقعدي معايا ونرجّع رغي زمان اللي ما بيخلصش

ابتسمت هند بخجل وريم تبتعد عنها قليلًا تكمل حديثها بصدق:

. وبعدين يا بنتي إنتِ عارفة إنك عندي زي رنا

ورنا هي شقيقة ريم الصغرى التي هاجرت مع زوجها لأحد البلاد الأوروبية منذ أكثر من خمس سنوات ومن وقتها أصبح اللقاء الوحيد بينها وبين عائلتها يتم عبر مكالمات الفيديو.

قطع حديثهما دخول السيدة رقية تحمل صينية الطعام التي وضعتها جانبًا وهي توضح:

. عملتلك فرخة مسلوقة وشوربة خضار تخلصيها كلها

ضحكت ريم فوالدتها وجدت غيرها تغمره بأمومتها المُفرطة، ارتفع صوت ضياء بالبكاء فاندفعت السيدة رقية تحمله وهي تذكر اسم

الله، هدهدت الصغير فهدأ بحضنها، همت هند بأخذه فاعترضت الأخرى وهي تنظر إلى وجه ضياء:

. سيبيه معايا لحد ما تاكلي ولا خايفة عليه

اخفضت هند كفيها سريعًا وهي تؤكد:

. أكيد لأ يا طنط بس مش عايزة أتعب حضرتك

عادت نظرات رقية تتعلق بوجه الصغير الذي أسر لبها من أول وهلة:

. وهو القمر ده يتعب حد عقبال ما أشوف ولاد ريم يارب

ابتسمت ريم بمرح وهي تدفع هند ناحية الطعام والدتها وجدت أخيرًا من يعوضها عن أحفادها من رنا التي لم تحضر أي من ولاداتهم ولم ترهم إلا من خلال الصور، تعلقت عينا هند بطفلها الذي اطمأن بين أحضان والدة ريم وكأنه يدرك بفطرته النقية أي قلب يمنحه الأمان وهي ابتلعت غصتها مع طعامها فمن بين العالم أجمع وجدت حنان الأم بغير أمها والأب الذي طالما تمنت مثله لا يخصها، رجعت عيناها التي تترقرق بهما الدموع نحو ريم؛ هكذا قلب نتاج

لتلك الأسرة الحنون تسأل الله أن يمنحها ما تستحقه من سعادة.

***

وسط تخبط يعانيه وقناع قوة يتشبث به قادته قدماه إليها، يتوق إلى جاذبيتها التي لا يعلم سرها، تلك الهالة المحيطة بها وتمنحه شعورًا لم يختبره قبلًا، يشتاق لذلك الآخر الذي يكونه في حضرتها، هي امرأة المتناقضات وهو؛ من هو! ألا يزال ذلك الطفل الباحث عن الحنان، أم المراهق مفتقد القدوة أم ذلك الأربعيني الذي أضحاه ولم يعلم طريقه بعد، أبلغ

سكرتيرتها برغبته في مقابلتها وهي أبلغتها بدورها فمنحتها الإذن بدخوله، رحبت به نسمة :بود حقيقي

. منور يا باشمهندس حسام

بادلها تحيتها بحبور:

. أنا قلت آجي أطمن، أخبار الشغل معاكِ إيه

رفعت سماعة الهاتف الداخلي تطلب قدحين من القهوة وعادت إليه ببسمة ممتنة:

. الحمد لله موقف الشركة دلوقت مطمئن وده بفضل مساعدتك

استند بظهره إلى مقعده وهو يشبع عينيه بتفاصيلها:

. أنا معملتش حاجة

دلف العامل فوضع قدحين القهوة أحدهما أمامه والآخر أمامها، التقط فنجانه يرتشف على مهل وعيناه لم تحيدا عنها وهو يكمل:

. إن شاء الله قريب هيكون في مشاريع مشتركة بينا

رغم جهلها بماهية المشروع الذي قد يجمع شركتها ذات الطابع الهندسي بخاصته

المتخصصة بالأثاث إلا أنها أكدت كلماته بلباقة:

. ده يشرفني طبعًا يا باشمهندس

قطع حديثهما صوت هاتفها الداخلي حيث أتاها صوت أروى تخبرها أن الأستاذ مدحت ينتظر إذنها بالدخول، انقبض قلبها عند ذكر الاسم وانعكس على تجهم وجهها وهي تجيب:

. خليه ينتظر لحد المقابلة اللي عندي ما تخلص

لاحظ الآخر تغير ملامحها، وتبدل ذلك البريق بعينيها ليحل محله القلق فسأل باهتمام لا يدعيه

. في مشكلة ولا إيه؟

نفت بهزة رأس ولملمت شتاتها سريعًا وهي تجيب:

. لا أبدًا؛ بس في معاد كنت نسياه

فهم مغزى كلماتها ونهض يستأذن بالانصراف وهو يؤكد:

. مش محتاج أقول لك إن أي مشكلة تواجهك أنا مستعد أحلها

ودعته ببسمة تعترف بفضله وتؤكد كلماته:

. متأكدة يا باشمهندس

في طريقه قابل مدحت المنتظر بمكتب السكرتيرة تبادل معه نظرة لا مبالية من حسام بأخرى غاضبة من مدحت الذي اندفع إلى مكتب نسمة دون انتظار إذن، أجفلت نسمة لدخوله وإن كانت لا تتوقع أي لياقة منه كعادته والآخر اتخذ المقعد أمامها وبسمته الثعلبية تخنق أنفاسها، تنحنح يبدأ حديثه بود مصطنع:

. أنا جايلك النهاردة في موضوع مهم

قبضة اعتصرت قلبها فمهما كان ما سيتفوه به فلا تظنه خيرًا على الاطلاق لكنها تمسكت بثباتها أمامه:

. ياريت بسرعة علشان عندي شغل

انفلتت نظرته إلى باب المكتب حيث خرج حسام وسخريته انطلقت رغمًا عنه:

. ما هو الشغل واضح

. نعم!

خرجت منها حادة معترضة على تلميح لم تتقبله وهو تراجع سريعًا يعود لما أتى من أجله:

. خلينا في موضوعنا

. ياريت

ردت بملل بينما هو يبدأ مقدمته المدعية:

. دلوقت متآخذينيش إنتِ أرملة ولسة صغيرة وولادك صغيرين

حدجته نسمة بنظرة مغتاظة في انتظار باقي حديثه الذي لن يروقها بالتأكيد وهو لم يتأخر:

. ده يخليكي مطمع لكلاب كتير

اعتدل في جلسته ونبرته تلين بمداهنة واضحة:

. إنتِ محتاجة حماية علشان تقدري تواجهي المجتمع

التوى ثغرها ببسمة ساخرة، ذلك المدعي لا يعلم أن جميع كلماته لا تزن جناح بعوضة بالنسبة لها ورغمًا عنها خرجت نبرتها بسخرية لاذعة:

. وهتقدر تحميني إزاي بقى؟

أخفض رأسه وعيناه مرتكزة عليها وهو يوضح برفق:

. بعقد جواز بينا

اعتدلت في جلستها وانعقد حاجباها بغضب لم

يقل عن غضب زعقتها:

. أفندم!

. جواز صوري

أتبع بتوضيح يلف خيوط عنكبوته حولها:

. ورقة حماية تبقى معاكِ

نهضت عن كرسيها بعنف وسبابتها تشير إلى

باب المكتب:

. اطلع برة

عادت سبابتها تشير إليه وهي تحاول السيطرة على تسارع أنفاسها الغاضبة:

. لولا إن دمك ده نفس دم نادر وإني عاملة حساب للست الطيبة والدتك كان ردي هيكون مختلف

نهض يحاول الحديث واحتواء غضبها لكنها لم تمنحه الفرصة تعيد كلماتها:

. برة بدل ما أطلب الأمن ييجي يروميك والشركة دي متعتبهاش تاني

نظراته المتوعدة التي مرت عليها من أسفل قدميها نهاية بعينيها أخبرتها أن الأمر لم ينتهي

بعد، خرج وتركها تلهث غضبًا من مجرد تفكيره بها كزوجة كيف استطاع تخيلها بل وكيف جرؤ على هذا الطلب، عبراتها المتساقطة رغمًا عنها أخبرتها كم تفتقده وتتوق لحمايته الحقيقية التي كانت تنعم بها في كنفه وفقدتها للأبد، جففت دموعها ورفعت هاتفها الداخلي مخاطبة أروى:

. بلغي الأمن إن الأستاذ مدحت ميدخلش الشركة تاني حتى لو اضطروا يطلبوا البوليس

***

معه تتحول لأخرى مفعمة بالحيوية يدغدغ أنوثتها بلطف ويتسلل بروية يحتل كيانها كله

ساعات قضتها في مراجعة رسالته كاملة حتى تأكدت من جاهزيتها تمامًا للمناقشة وكأنها رسالتها هي، فرحة الإنجاز تزورها للمرة الثانية وتلك المرة بمذاق عشق بات يعلن عن وجوده بعينيها كلما ظهر بمحيطها كما يحدث الآن بطلته الكلاسيكية الحديثة ولون عينيه المحير الذي باتت تسبح بهما بين أحلامها التي بنتها وهو بطلها، امتدت كفها إليه بالملف وصوتها لا يخفي ما بنفسها من سعادة

. الرسالة كدة تمام، مش فاضل غير تحديد معاد للمناقشة

تناول الملف ووضعه على المكتب وهو يتخذ أمامه بسعادة غامرة:

. أخيرًا الدكتورة رضيت عني

ضحكت باستمتاع لمزاحه وأضافت:

. نتكلم جد بقى محتاجين نحدد المعاد ونراسل الدكتور ال external

أومأ برأسه بحركة مسرحية وهو يجيب:

. أوامر معاليك يا دكتور

نهضت تناظر ساعة يدها وهي تخبره على عجالة

. طيب مضطرة أمشي دلوقت

التقط كفها يوقفها:

. على فين؟

عادت تناظر الساعة وهي تجيبه سريعًا وتأخذ طريقها للخارج وهو جوارها:

. رايحة أحجز معاد لضياء عند الدكتور وعايزة ألحق العيادة قبل ما تقفل

أولاها نظرة جانبية داعمة وهو يسير معها حتى سيارتها ويقرر عنها:

. هاتي العنوان هروح أحجز أنا وروحي

ابتسمت بحب تستمتع باهتمامه وتمنحه البطاقة الخاصة بالطبيب وهو التقطها ببسمة حنون:

. هبلغك بالمعاد، هم عاملين إيه دلوقت؟

هزت رأسها بأسى تتذكر صديقتها وما تعانيه من تيه منذ حضرت لمنزلها:

. مش عارفة، هند زي ما تكون تايهة

ربت على ساعدها بدعم وكلماته تمنحها المزيد منه:

. طبيعي تكون كدة، محتاجة فترة علشان تقدر تستوعب وضعها الجديد

هزت رأسها إيجابًا وهو فتح باب سيارتها يحثها على الركوب:

. يالا علشان ألحق الدكتور

وهي أطاعته متوجهة لمنزلها وقبل وصولها بدقائق كانت رسالته تصلها بموعد الطفل لدى الطبيب، دلفت ريم دون جلبة فوصلتها رائحة طعام أمها الشهي تبعتها إلى المطبخ وكما توقعت وجدت أمها قد أعدت ما لذ وطاب من الطعام:

. إيه ده كله يا ست الكل؟

امتد كف ريم مع كلماتها تلتقط قطعه من صدور الدجاج المشوية، ضربتها والدتها على كفها لتتركها وهي توضح:

. ده مش ليكِ أكلِك في الفرن

ناظرت ريم والدتها التي حملت صينية الطعام من أمامها متوجهة للغرفة وهي تمازحها:

. إيه المعاملة دي

وتبعتها إلى الغرفة فوجدتها تهدهد ضياء كعادتها وتحث هند على الأكل وهي توضح:

. حسيت إنك زهقتي من المسلوق عملتها مشوي

ثم اتبعت بحنان أمومي:

. شدي حيلك شوية وأنا أدوقك كل اللي نفسك فيه

التقطت ريم كلماتها تثني على طعام والدتها:

. الحاجة أكلها محصلش أظن باين عليَ

في إشارة مداعِبة لامتلاء جسدها قليلًا وهند ابتسمت بحبور:

. ربنا يخليها ليكِ

نهضت السيدة رقية وهي تحمل ضياء وتخبرهما بتقرير:

. هاخد حبيبي أحميه وأغيرله وآجي

وهند تعلقت عيناها بهما هل الأمومة الفطرية التي تتمتع بها تلك المرأة لم تزر أمها يومًا كباقي النساء، فتدفعها لحماية صغارها مثلما يجب

انتبهت على ريم التي انتقلت إلى جوارها وهي تخبرها بموعد الصغير عند الطبيب نكست رأسها خجلا فهي لا تملك ثمن الكشف حتى لبن الأطفال ريم من ابتاعته، إلى متى ستظل عالة عليها، رفعت رأسها بحزن تخبر ريم بما يجول بخاطرها:

. أنا لازم اشتغل

احتوت ريم كفيها بين يديها بدعم وابتسامتها السعيدة لم تخف على الأخرى:

. كده بتفكري صح؛ بس مش وقته

استفهام عينيها وصل ريم فأكملت:

. إنتِ لسة والدة مفيش كام يوم لما تشدي حيلك نفكر

التردد بدى واضحًا على هند التي عبرت عنه بتردد كلماتها:

. بس...

منعتها ريم بحنان وهي تربت على كفيها:

. مفيش بس؛ أنا عارفة بتفكري في إيه، ضياء ابني

اخفضت هند نظراتها وجميل صديقتها يطّوق عنقها:

. مش عارفة هرد جميلك إزاي

ضربت ريم كتف الأخرى بقبضة يدها وهي تمزح:

. جميل إيه؟ أهم حاجة دلوقت صحتك وصحة ضياء

وتلك هي الحياة حين تظن أن الجميع قد تخلى عنك تمنحك شعلة الأمل التي تكمل بها الطريق

***

دروس الحياة قاسية تلقنك تعاليمها بأسوأ طريقة ممكنة تدفعك لما لا تتوقعه وربما حولتك لآخر لا تعرفه.

بمكتبها عزمت على تنفيذ القرار الذي اتخذته دون تأخير، استدعت محمود الذي جلس أمامها غافلًا عما تريده، تنحنحت وبوجه جامد ألقت بكلماتها تباعًا بوجهه:

. أنا مضطرة أنهي شغلك معانا يا بالمهندسين تقدر تعدي على الحسابات تآخد مكافئتك أنا بلغتهم يحضروها

صُعق محمود لما سمعه، ابتلع لعابه فتحركت تفاحة آدم خاصته وهو يستفسر بهدوء متجاهلًا :غصته

. ممكن أعرف سبب القرار ده إيه؟

تحاشت نسمة النظر لعينيه مباشرة وهي توضح:

. ملف الصفقة كان مسئولية حضرتك والفاتورة اتبدلت وده يقول إنك مش قد المسئولية

أخفض محمود نظره قليلًا يعلم أن الأمر لا يبرئه من الاهمال:

. أنا عارف إن الملف كان مسئوليتي بس ده معناه إن في دخيل بينا وأنا بحاول أعرف

التوت شفتيها ببسمة جانبية ساخرة وهي تراه يدعي الإخلاص لآخر مدى قبل أن تبصق آخر ما تعرفه بوجهه:

. الدخيل هو حضرتك يا بشمهندس

اتسعت عيناه بصدمة حقيقية غفلت عنها وهي تكمل:

. الكاميرات اتقفلت نص ساعة لحد الفاتورة ما اتبدلت واشتغلت تاني

أحنت رأسها للجانب تكمل اتهامها بنظراتها قبل كلماتها:

. مفيش حد في الشركة غيرك يعرف بوجود الكاميرات أساسًا يبقى مين الدخيل؟

رفع نظراته المطعونة يواجهها بألم:

. يعني بتتهميني بالخيانة مش مجرد إهمال!

صمتت، فقد انتهت ما بجعبتها بينما هو يكمل ما غفلته هي:

. من تسع سنين جه زميلي يقولي إنه فتح شركة خاصة وعايزني معاه ما اترددتش لحظة وسبت شغلي

عاد بظهره يستند إلى المقعد ونظراته تسبح للأعلى يتذكر كيف بدأ مع نادر تأسيس تلك الشركة:

. قعدنا أكتر من تلات سنين مفيش غيرنا في الشركة إحنا السكرتارية والحسابات، المبيعات وخدمة العملا والصيانه كلها إحنا اللي بنعملها

رفع كفيه يناظرهما بحزن:

. الكوبايات إحنا اللي كنا بنغسلها وأرض الشركة دي بنمسحها بإيدينا

وجه نظراته لعمق عينيها يسألها:

. عارفة ليه؟

لم ينتظر الإجابة وأكمل:

. علشان الشركة مكانتش تقدر تدفع مرتب عامل

واصل أسئلته التي لا ينتظر إجابتها:

. تفتكري واحد زيي بعد كل ده يقدر يخون؟

رفع سبابته يشير إلى صدره بقهر:

. من يوم ما نادر مات تفتكري كان في كام فرصة الشركة دي ممكن تنهار فيها ولو أنا عايز كنت نهيتها ومن غير خيانة

نهض واقفًا وتعلقت عيناها بشموخه المتألم وقد وصلتها صدق كلماته وهو يكمل:

. معملتش ده مش بس علشان الشركة دي اتبنت على كتافي لكن علشان نادر ليه ديون كتير في رقبتي إنتِ متعرفيش عنها حاجة

ضاق صدرها حزنًا وقد أيقنت أنها كانت ضحية لتخبطها وسوء ظنها والآخر انحنى يستند بكفيه إلى مكتبها ينهي مرافعته وصوته رغم :قوته يرسل ذبذبات ألمه

. وعلشان الجمايل دي هقولك إني مش لوحدي اللي أعرف بوجود الكاميرات

توسعت عيناها بدهشة وعقد الحزن لسانها وهو يشير للمتهم الحقيقي:

. المهندس اللي ركب الكاميرات شغال معانا بارت تايم بييجي كل شهر يشوف الكاميرات ولو في مشكلة بنكلمه

استقام بظهره يتجه إلى خارج المكتب وهو ينهي كلماته:

. المكافأة أنا متنازل عنها، أتمنى إنك تكوني اتعلمتي كل حاجة الفترة اللي فاتت

وصفق الباب خلفه متجاهلًا نداءها المتألم وقد أيقنت وقوعه فريسة لظلمها.

***

عقب انصراف محمود متجاهلًا اعتذارها الواهي خزيًا مما فعلت جلست وقد احتوت رأسها بين كفيها تضرب رأسها تارة وتنزل بقبضتها على مكتبها غضبًا تارة أخرى، كيف تركت سوس الشك ينخر رأسها فترمي أكثرهم إخلاصًا بمثل تلك التهمة البشعة، كل ما قاله محمود لم يكن بالجديد عليها فهي عاشت مع زوجها تلك الأيام التي كان يصل بها الليل بالنهار من أجل تلك الشركة، تعلم أن محمود كان كتفًا بكتف معه فكيف تغفل

عن كل ذلك لمجرد شك، أمسكت هاتفها الجوال تطلب أخيها فقد شُل تفكيرها تمامًا وهو لم يتأخر وكان أمامها يراجع من جديد الكاميرات ولكن تلك المرة في الرواق المؤدي لمكتبها فيظهر جليًا شخص يتسلل إلى المكتب في غفلة من الجميع وإن ارتدى قبعة تخفي وجهه عن الكاميرا التي يعلم بمكانها وفي الثانية التالية وبعد تخطي التوقيت لنصف الساعة يظهر ذات الشخص وهو يخرج من المكتب رفع رائد نظره إلى شقيقته يؤكد على خطأ تفكيرهما السابق:

. كان لازم نستبعد محمود

ضمت نسمة حاجبيها بضيق من نفسها وهو يؤكد

. ببساطة الملف كان تحت إيده طول الوقت بشكل طبيعي مش محتاج يقفل الكاميرات علشان يبدل الفاتورة

ضربها المنطق مرة أخرى رجعت برأسها للخلف تغمض عينيها فلا تعلم كيفية إصلاح ما أفسدته بتهورها، امتدت كف رائد تحتضن كفها بدعم مطمئن:

. محمود ليه حق عرب عندنا بس أنا متأكد إنه مش هيكسفنا

عادت عيناها من جديد تتعلق بالأمل الذي يمنحها إياه بكلماته حينما ارتفع رنين هاتفها الداخلي لتبلغها أروى أن صديقتها ريم تريد مقابلتها الأمر الذي أبهجها فنسيت للحظات ما تعانيه وهي تستقبل صديقتها باحتضان دافئ وتجلس جوارها والأخرى ابتسمت بمداعبة :لرائد الذي تعتبره كأخ أصغر

. كبرت يا رائد من زمان ما شفتكش

اتكأ رائد بنصف جلسة على المكتب وهو يبادلها الدعابة:

. بس أنت زي ما إنتِ ما بتكبريش

ضحكت ريم باستمتاع وبادلتها نسمة الضحك وهي تسألها عن سر الزيارة:

. ياترى إيه سر زيارة الدكتورة النهاردة

شهقت ريم فملأت صدرها بالهواء تستجمع كلماتها:

. موضوع مهم ما كانش ينفع في التليفون

قطع حديثهما صوت رائد:

. طيب استأذن أنا بقى

نظرت له ريم بود:

. الموضوع مش سر

ونسمة التي لازالت بحاجة لوجوده أكدت

كلماتها:

. أنا عايزاك في مشوار بعد ما نخلص

استجاب رائد لهما يرفع سماعة الهاتف الداخلي

يطلب قدحًا من القهوة ويسألهما عن طلبهما

ليستقرا على عصير الليمون قبل أن يلتف

ليجلس على مكتب نسمة:

. طيب هقعد أشرب قهوتي واعتبروني مش موجود

ابتسمت كل منهما قبل أن يأخذهما حديث ريم التي قصت سريعًا على نسمة ما حدث مع هند وعن طلاق زوجها الوغد لها وحالة طفلها والأقسى موقف والدها، تغضن جبين نسمة بالحزن لما آل إليه حال صديقتها لا تستطيع استيعاب كيف لشهم مثل حسام أن يكون بذلك الظلم كما تصوره صديقتها؛ تجاهلت التفكير في ذلك الأمر فلابد من وجود حلقة مفقودة لا تعلم عنها شيئًا قبل أن تلتفت لريم:

. وهي عاملة إية دلوقت

زفرت ريم أنفاسها بيأس وهي تخبرها:

. تايهه ومحتاجة شغل علشان كده جيت لك النهاردة

انتبهت نسمة لكلماتها قبل أن تكمل موضحة:

. هند معندهاش خبرة في أي حاجة ومش سهل تلاقي وظيفة

. أنا أجلت الموضوع معاها لأنها لسة والدة وفي كل الأحوال مش هتقدر تنزل دلوقت

استندت برأسها للخلف وهي تكمل:

. قلت آجي أكلمك من غير ما تعرف لو تقدري تشغليها

هزت نسمة رأسها بفهم وقد قدّرت الموقف:

. أروى مبلغاني إن قدامها تلات شهور وتسافر لجوزها كنا هنعمل إعلان نطلب سكرتيرة جديدة

ربتت على كف ريم تطمئنها:

. لما تشد حيلها شوية تيجي تقعد معاها وهي تفهمها الشغل قبل ما تمشي

ابتسمت ريم بارتياح كانت تعلم أن صديقتها لن تتأخر عن دعم الأخرى فهكذا كن سويًا وسيبقين.

ارتفع رنين هاتف نسمة يعلن عن ورود اتصال فاستأذنت ريم بالانصراف، احتضنت صديقتها بحب وودعت رائد ببسمة لطيفة، فور انصرافها استقبلت نسمة اتصال حماتها بصوت حنون لتأتيها أنفاس الأخرى لاهثة؛

تحاول النطق بكلمات غير مفهومة، حاولت نسمة استخلاص أي منها فلم تفهم سوى كلمة واحدة:

. سامحيني

وبعدها انقطع الصوت دون انقطاع الخط

نهض رائد من مقعده على صوت صرخة شقيقته المذعورة:

. ماما

الفصل الرابع عشر

ويحدث أن تطاردك أشباح مخاوفك مهما فررت منها.

***

. سامحيني

عقب سماعها للكلمة وانقطاع صوت حماتها تجسدت أمامها أكبر مخاوفها، لقد اكتفت من الفقد ولا قبل لها بتجربته مرة أخرى بتلك السرعة، سابقت قدماها الريح وأخاها خلفها يستفسر عما أصابها وهي لا هدف لها سوى

الوصول لباب سيارتها الذي أغلقه رائد مرة أخرى وهو يسحبها للخلف يجبرها على إجابته:

. في إيه؟

صوتها المتقطع برعب وكلماتها التي خرجت من بين دموع تنهمر دون رادع فضحا ارتباكها:

. ماما درية مكانتش قادرة تتكلم وبعدين سكتت

قلقها انتقل إليه فالتقط مفتاح السيارة من يدها واتخذ مقعد القيادة وهو يقرر:

. طب اركبي أنا اللي هسوق

أطاعته تلتف حول سيارتها بعجالة تجاوره وأسوأ أفكارها يطاردها، أخرجها صوته من شرودها:

. أكلم مدحت؟

التفتت إليه بنظرات شاردة تستفهم عن مغزى سؤاله ليضيف:

. معاكِ مفتاح للبيت ولا أكلمه

مع نهاية كلمته انتبهت، أشارت برأسها إيجابًا وكفها تمتد داخل حقيبتها تخرج سلسلة مفاتيح نادر التي تسلمتها من المشفى وتصحبها معها في كل مكان وكأنها تميمتها الحارسة، لم تضطر لاستخدامها قبلًا لكن الوقت قد حان وكأنه

منقذها حتى بعد أن رحل، استفاقت من ذكرياتها على صوت رائد مرة أخرى:

. أنا طلبت الإسعاف

قلبها يهوي بين قدميها فزعًا من القادم، دقائق وكان رائد يصف السيارة أسفل منزل حماتها ومن بعيد يلوح صوت سيارة الإسعاف، هرولت نسمة تلتهم الدرجات صعودًا وهو تبعها، امتدت كفها تحاول تجربة أي من المفاتيح يصلح، جربت أحدهم ففشلت وعلى عجالة تحاول تجربة الآخر فسقطت المفاتيح مصدرة دويًا أعادت التقاطها بارتباك فربت رائد على

كفها يبعدها قليلًا ويحاول هو؛ مفتاح فآخر واستطاعا الدخول، سبقته نسمة حتى غرفة النوم لتجد السيدة درية مستلقية على فراشها، اقتربت بهلع تتحسسها، شعرت بها الأخرى فانفرج جفناها بوهن، حاولت تحريك شفتيها للحديث ففشلت في النطق ليتمكن منها السعال تحاول التقاط أنفاسها المختنقة ونسمة التي هدأ قلقها قليلًا ربتت على كفها برفق مطمئنة:

. ماتتعبيش نفسك يا ماما

دقائق وكان المسعفين بالداخل يقيسون مؤشراتها الحيوية، فض أحدهم مغلفًا ليدس أحد الأقراص أسفل لسان السيدة ثم يساعد زميله في نقلها إلى عربة الإسعاف التي صاحبتها بها نسمة ورائد خلفهم بالسيارة حتى المشفى.

ساعتان قضتهما برواق المشفى حتى خرج الطبيب يطمئنهما:

. الحمد لله الأزمة عدت على خير

التقطت نسمة أنفاسها المحتبسة أخيرًا وهدأ وجيب قلبها:

. أقدر أشوفها

أومأ الطبيب برأسه إيجابًا وهو يؤكد:

. بس أهم حاجة مش عايزين انفعال تاني

هزت نسمة رأسها بفهم وهي تتجاوز الطبيب حتى الغرفة، تقدمت من الفراش ببطء تحمد الله على سلامة تلك المرأة الطيبة التي تستقي محبتها داخلها من حب نسمة لولدها، شعرت درية بنسمة جوارها ففرجت شفتيها بوهن معتذرة:

. سامحيني يا بنتي

ربتت نسمة على كفها برفق ورغم جهلها بسبب اعتذارها طمأنتها بصدق:

. عمري ما زعلت منك علشان أسامحك

أشاحت درية بوجهها للجانب الآخر تقرر:

. لكن معرفتش أربي غير نادر وده أذاكِ

عادت بنظراتها المعتذرة لنسمة مرة أخرى:

. مامتك حكت لي على اللي مدحت عمله، أنا آسفة يا بنتي

انفرجت شفتاها بدهشة:

. ماما!

***

قبل عدة ساعات

خرج بعد أن طُرد من شركة شقيقه شر طردة وأفكاره تراقص شياطين رأسه، اتخذ وجهته إلى منزل شقيقه الراحل، دُهشت السيدة زينب عندما وجدته عند باب البيت نطقت اسمه بتعجب من الزيارة:

. مدحت!

ثم أكملت تعبيرها عن دهشتها بعفوية:

. ده نسمة في الشغل والولاد في المدرسة

تنحنح يجيبها بهدوء:

. أنا جاي لحضرك

أفسحت له المجال للمرور فدلف يتخذ مقعدًا بصالة البيت وسط توجسها:

. تشرب إيه

اعتذر بأدب:

. مش جاي أتعب حضرتك

رغم أن ابنتها لم تكن تلك الابنة التي تقص عليها أخبار عائلة زوجها ولا علم لها بطبيعة علاقته بشقيقه الراحل إلا أن قلبها لم يطمئن له يومًا:

. عيب أنت ضيف

كانت تقصد التأكيد على الكلمة فرغم أن ذلك البيت يأوي أبناء شقيقه إلا أن حضوره دون سابق إنذار لا يصح حتى مع علمه بوجودها، هي التي عاشت كأرملة لتسعة عشر عامًا وتعلم جيدًا ما يضعه مجتمع كهذا من قيود حول ابنتها:

. شاي، لو مش هتعب حضرتك

هزت رأسها ودلفت المطبخ تعد كوبين من الشاي وسريعًا كانت تواجهه على الأريكة المقابلة في انتظار ما سيتفوه به وهو لم يتأخر، اعتدل في جلسته وبهدوء قدم طلبه:

. أنا جاي أطلب من حضرتك إيد نسمة

رغم ما قاسته طوال سنوات وحدتها وما

اضطرت لمواجهته إلا أنها لم تتوقع أن الضربة

التي ستتلقاها ابنتها ستكون من عم أبنائها،

استجمعت كل هدوء ممكن وهي تجيبه:

. بنتي مش هتكون زوجة تانية

تقدم للأمام قليلًا يعلم قرب فشل مسعاه

فتلك المرأة لا تبدو سهلة الاقناع على الإطلاق

لكن لا سبيل أمامه سوى المحاولة:

. بنت حضرتك أرملة ومعاها طفلين ومش سهل

تلاقي جوازة كويسة ده غير إنها مطمع

نظرات المرأة المتفحصة له بدقة تربكه لكنه مصر على المتابعة:

. أنا أكتر واحد هيخاف على ولاد أخوه بدل ما تدخل راجل غريب عليهم

أخيرًا نطقت ولاتزال عيناها مثبتتان عليه دون رفة:

. خلصت؟

أومأ برأسه إيجابًا بانتظار باقي حديثها:

. بنتي لو حبت تتجوز مش هتكون زوجة تانية طلبك مرفوض من ناحيتي

مالت برأسها قليلًا للجانب الأيمن تكمل بتقرير

ولم تطلق عيناها سراحه:

. ومتأكدة أنه مرفوض من نسمة كمان

أُسقط في يده بعد أن فقد كل أوراقه، ألقى

بآخر ما في جعبته:

. بنتك بتلعب على جوز صاحبتها

. إخرس

انطلقت كلمتها زاعقة كرصاصة مع انتفاضها

واقفة وهو واجهها وقوفًا يكمل بث سمومه:

. أنا شفتهم بعيني؛ بنتك مقضياها معاه في المكتب المقفول عليهم طول النهار ويا عالم في مين غيره

نهضت بعنف تموج غضبًا للتهمة التي يلقي ابنتها بها:

. اطلع برة

أرفقت زعقتها بسبابتها التي تشير إلى باب البيت وهو سار بعصبية يكمل تهديده الأجوف:

. أنا هنزع منها حضانة الولاد، لا يمكن ولاد أخويا يتربوا مع أم بالأخلاق دي

دفعته السيدة زينب خارج المنزل وقد بلغ انفعالها مداه:

. أعلى ما في خيلك اركبه

وبعدها لم تتحمل ما اكتشفته من حقد يحمله لابنتها، التقطت هاتفها تتصل بالسيدة درية فلابد من إيقاف هذا الوغد عند حده.

***

شعرت نسمة بتأنيب الضمير عندما قصت لها درية باختصار فحوى المكالمة، علمت أن مدحت ذهب لأمها يطلب زواجها لكن المرأة

خجلت من الاعتراف أن ابنها قد طعن بشرف تلك المسكينة بل وهدد بحرمانها من أطفالها:

. سامحيني يا بنتي معرفتش أربيه

ربتت نسمة على كف درية بإشفاق، وبكفها الأخرى مسحت دمعة فارة من عينها:

. عمري ما شفت منك حاجة زعلتني يا ماما

ضغطت السيدة درية على كفها بدعم:

. معرفش إيه الغلطة اللي عملتها علشان ميطلعش زي أخوه

صمت تمسكت به نسمة فهي لا تطيق الحديث عنه وتلك المرأة الطيبة لا تستحق ذلك الألم قبل أن تعفيها الأخرى من عبء كانت تحمله:

. إدي رقمه للممرضة تكلمه علشان يعرف إني هنا وروّحي

هزة رأس رافضة صدرت عنها أتبعتها بكلماتها:

. مش همشي غير لما أطمن عليكِ

قوبل رفضها بالرفض أيضًا من السيدة درية:

. أنا بقيت كويسة روحي لولادك، وهو لما يعرف إني هنا هييجي

شردت بنظرها للفراغ قبل أن تكمل:

. ومش عايزاكِ تقابليه

هي أيضًا لا ترغب برؤيته، أطاعتها فنهضت عن كرسيها تقبل رأسها بحنو:

. هاجي بكرة أطمن عليكِ

وانصرفت مع أخيها وثقل هذا اليوم الذي لم ينتهي بعد يكبلها.

***

طوال الطريق لبيتها وسخطها على والدتها يزداد، ماذا لو تأخرت قليلًا عن نجدة حماتها بل

ماذا لو لم تتصل الأخرى بها من الأساس، طوال سنوات عمرها كانت تتحمل تحكم والدتها بحياتها وهيمنتها على كل ما يخصها لدرجة تهميشها فقط بعد زواجها من نادر بدأت تتنفس حريتها بعيدًا عن قيود والدتها، تشرنقت حول نفسها تصنع من حياتها مع زوجها وأطفالها عالمها الخاص الذي طالما تمنته لكن أن يصل الحد لإيقاع الأذى بالآخرين فهو ما لا تتحمله خاصة تلك المرأة التي عاملتها من اليوم الأول كابنة لها وتعلم كم كان نادر يكن لها من حب ولا يحتمل أن يلحقها أذى وهي وفاءً

لذكراه لن تسمح بأن تكون سببًا لألمها، دلفت منزلها بصحبة رائد الذي ألقى بجسده المنهك على أول أريكة، استقبلتهما السيدة زينب بحنان أم:

. إيه اللي أخركم كده؟

.كنا في المستشفى

نطقتها نسمة بغضب تودع فيها كل ما تحملته خلال يومها العصيب ووالدتها الغافلة عما يدور بنفسها هلعت للجملة تستفسر عن سبب ذهابهما، قطعت نسمة كلمات رائد حينما هم

بالشرح لوالدته وقد فاض كيلها بما تحمله لسنوات:

. ممكن أعرف حضرتك هتبطلي تعامليني على إني طفلة إمتى

تفاجأت الأم بهجوم ابنتها الذي تجهل سببه:

. قصدك إيه؟

أكملت نسمة بحدة لم تستطع السيطرة عليها:

. قصدي إني مش في الحضانة علشان تكلمي أم زميلي تشتكيلها إنه ضربني

لاتزال السيدة زينب لا تستطيع فهم ما حدث:

. ممكن أعرف في إيه؟

نسمة التي بلغ انفعالها مداه ولم تعد تمتلك القدرة على التحكم بنفسها انفجرت زاعقة للمرة الأولى التي ترفع فيها صوتها على أمها:

. في إني كبرت وأعرف أتصرف في اللي يخصني كويس

نهض رائد يحتوي كتفيها فما تحملته حتى الآن ينوء به كاهل الرجال، أجلسها على الأريكة يدلك عضديها بدعم وهي انفجرت في بكاء مرير، جلس جوارها يسحب رأسها لصدره ويربت على ظهرها يمنحها الفرصة الكاملة

للانفجار، انهيار كان ينتظره لشهور وتأخر كثيرًا حتى ظن أنه لن يأتي، ظلت الأم تطالعهما بعدم فهم، انتقلت تجاور نسمة من الجانب الآخر تلمس ركبتها بكفها وتستفسر:

. ممكن تفهموني اللي حصل؟

كان نشيج نسمة قد بدأ في الهدوء قليلًا همت بالاعتدال لمواجهتها مرة أخرى لكن رائد الذي شدد من ذراعه حول ظهرها يضم جسدها إليه أكثر وبكفه الأخرى يحتضن وجنتها منعها من الحديث:

. مامت نادر جالها أزمة قلبية ولحقناها على آخر لحظة

لا تنكر أنها تألمت للخبر الذي فهمت منه سبب تلك الأزمة لكن سنوات جلَدها أكسبتها قناعًا حديديًا تتمسك به إن اقترب السوء من أحد ولديها، وجهت نظراتها لنسمة وخرجت نبرتها معاتبة رغمًا عنها:

.كنتِ عايزاني أعمل إيه بعد ما مدحت جه هنا وقل أدبه

اعتدلت نسمة تواجهها بغيظ فأمها كعادتها لا تستطيع الاعتراف بخطئها:

. اللي ما تعرفيهوش إنه جالك بعد ما أنا طردته،

كنتِ كلميني أنا؛ خدي رأيي!

واصلت السيدة زينب دفاعها:

. أنا ما قدرتش أسكت بعد ما طعن في شرفك

وهدد ياخد الولاد

. إيه!

خرجت من نسمة مستنكرة مندهشة، يبدو أن هذا القذر لن يتوقف عن إثارة المزيد من حنقها الذي لم يقل عن حنق شقيقها واشتعال الغضب بمقلتيه وهو ينطق بتوعد:

. القذر ده أنا اللي هقف له بعد كده مفيش تعامل لواحدة فيكم معاه

ربت على كتف شقيقته بدعم يبث الطمأنينة بنفسها:

. ما تقلقيش قانونًا ملوش أي حق يطالب بالولاد

هزت نسمة رأسها إيجابًا دون رد فقد استنزفت كل طاقتها لليوم وجهت كلمتها المعاتبة لأمها وقد تهدج صوتها بالحزن:

.كنتِ استنيني لما أرجع؛ الست كانت هتروح فيها

دفع رائد كتفها برفق فقد نالت من الارهاق اليوم ما يكفيها:

. قومي ارتاحي

أطاعته تجر قدميها بتثاقل وقبل أن تدلف غرفتها التفتت تحدثه:

. خليك بايت هنا

رفع رائد كفيه مستسلمًا في محاولة لإضفاء بعض المرح على اليوم:

. أكيد علشان أوصلك الشركة الصبح وآخد عربيتي

ابتسمت نسمة بوهن وهي تكمل:

. وعلشان عايزاك في مشوار

صمتت قليلًا تتذكر ما كانت تنتويه قبل مكالمة حماتها:

.كان المفروض نروح النهاردة بس اللي حصل غيّر الخطة

ابتسم رائد وقد علم ما تنوي عليه شقيقته ينحني بجذعه قليلًا للأمام وأحد ذراعيه أمام بطنه والأخرى مطوية خلف ظهره:

. الشوفير الخاص تحت أمر سموك

استطاع انتزاع ابتسامتها الصافية قبل أن تغلق باب غرفتها تنفرد بنفسها وسط رائحته باحثة عن بعض سلامها المفقود.

***

اقتربت إقامتها مع والدها أن تكمل الشهر، خلاله استطاعت أخيرًا الشعور بأنها تمتلك بيتًا تتصرف فيه بأريحية تامة، تدلف إلى المطبخ في أي موعد تهواه تعد شرائح خبزها المفضلة وكوبًا من مشروب الشيكولا الساخنة لا تنكر أن غياب والدها لساعات طويلة من اليوم بعمله وعودته منهكًا بحاجة لساعات أخرى من النوم

يصيبها بالملل لكنها تشغل المتبقي من وقتها بعد تدريباتها مع صديقاتها على شبكات التواصل الاجتماعي وأحيانًا باستذكار دروسها التي تكرهها لكنها تحاول تنفيذ شرط والدها بالحصول على علامات متوسطة على الأقل حتى يسمح لها بإكمال مسيرتها بالتنس التي تسعى خلفها، أما عن لؤي فقد حاول الاتصال بها عبر حسابها على "فيسبوك" بعد أن فقد القدرة على التواصل عبر هاتفها فنال الحظر ليس فقط لأنها وعدت والدها بعدم التواصل معه ولكن لأنها باتت تكرهه بعد فعلته ولا تراه

جديرًا بصداقتها واليوم حضرت إلى النادي لتلقي تدريبها بواسطة "أوبر" الذي يحرص والدها على طلبه من هاتفه حينما يكون بعمله ليس شكًا فيها كما كانت تظن حينما أخبرته أنها تستطيع استخدام البرنامج من هاتفها ولكن حماية لها كما أوضح حتي يتمكن من معرفة بيانات السائق وخط سيره فيطمئن قلبه وبعد نهاية تدريبها كانت على موعد مع والدتها التي هاتفتها رغبة برؤيتها؛ اقبلت على أحلام فصافحتها بفتور قابله ضمة مشتاقة من الأخرى، قبّلت لمى أخوتها بعدها انطلق التوأم

يلعبان بينما اكتفت أصغر أخواتها بالدوران حول الطاولة، تأملت أحلام ابنتها بشوق قبل أن تهمس:

. عاملة إيه يا لمى؟

جاوبتها ببسمة و تنهيدة راحة لا تدعيها:

. الحمد لله

ابتسمت أحلام بود تحاول مد جسر الحديث مع ابنتها:

. مش ناوية ترجعي تعيشي معايا؟

ابتسمت لمى وهي تهز رأسها نفيًا كيف تتخيل أمها أنها يمكنها العودة كضيفة بعد أن وجدت وطنًا بحضن والدها:

. أنا مرتاحة مع بابي

. يعني ما كنتيش مرتاحة معايا يا لمى؟

وإن ودت منها استفسارًا لكنها رغمًا عنها خرجت معاتبة ولمى التي جربت البوح بمشاعرها سابقًا ولم يخذلها أباها قررت التعبير عن نفسها:

. عمري ما حسيت إنه بيتي

ضيقت أحلام حاجبيها بعدم فهم:

. ده بيتي يعني بيتك

اتبعت لمى بتوضيح:

. بيت أنكل حسن وولاده

نطقت أحلام بلوم لم تخفيه:

. ولاده دول اخواتك

أشاحت لمى بوجهها بعيدا نحو أخويها التوأم يبدو أن أمها لن تستطيع فهمها يوما، هي لا تكره إخوتها ولكنها كانت ترى نفسها دائمًا عنصرًا زائدًا بصورة الأسرة المتكاملة، أعادتها أحلام إليها مرة أخرى بسؤالها:

. هو بباكِ مانعك تيجي عندي؟

ابتسمت لمى بملل تدافع عن والدها بما تعلمه:

. بابي ما طلبش كده ومش هيطلب

ثم أكملت تأكيدها:

. هنشوف بعض وقت ما تحبي وأنا متأكدة إنه مش هيمنعني أزورك

همست أحلام بيأس:

. أزورك!

فأكدت لمى تلك المرة على رغبتها هي لا رغبة والدها:

. أيوة يا مامي زيارة لكن إقامة على طول أنا عايزة أكون مع بابي

وعندها أحست لمى بالراحة، لأول مرة تمتلك القدرة على تقرير مصيرها بنفسها ويتلاشى داخلها شعور الدمية التي يتحكم والداها بحياتها دون الانتباه لرغباتها أما أحلام فقد تسلل لها الإدراك لأول مرة أنها فقدت فرصتها الذهبية في احتواء ابنتها التي كانت أمام عينيها طوال تلك السنوات بينما هي متشاغلة بالآخرين ظنًا منها أنها لن تفقد ابنتها الكبرى يوما.

***

عقب نهاية يوم عملها اتفقت مع شقيقها والتقيا أسفل العنوان الذي حصلت عليه من ملفه بالشركة لا تنكر دهشتها من مستوى المنطقة التي يحيا بها وتقترب من كونها شعبية البيت الخشبي العتيق الذي يسكن به ويبدو أنه يعود لعائلته و لا يتناسب مع راتبه الذي يتقاضاه لسنوات من الشركة، وهو الانطباع الذي تأكد لديها فور أن فتح باب البيت وأفسح لهما مجالًا للمرور بين الأثاث المتهالك الذي يبدو أنه يعود لعشرات السنوات الماضية أيضًا، لا تعلم شيئًا عن حياته الخاصة غير أنه لم

يتزوج حتى الآن وهو الذي شكل عندها علامة استفهام واضحة حوله، صمت التحفت به وهي تدور بعينيها بين جنبات البيت المنظم بإتقان بينما رائد ومحمود يتبادلان حديثًا وديًا أتبعه محمود بإعداد الشاي لثلاثتهم كواجب للضيافة، قطعت صمتها تنطق باعتذار واجب:

. أنا آسفة يا باشمهندس

قابل محمود اعتذارها بابتسامة باهتة، هو وإن كان يحمل أخلاق ابن البلد الذي تخفت فيها أيّة إهانة أمام حضور المخطئ إلى بيته لكن مرارة

الاتهام لاتزال عالقة بحلقه، التقط رائد طرف الحديث من شقيقته:

. إحنا متأكدين إنك هتقّدر الموقف صح يا باشمهندس

هز محمود رأسه إيجابًا وهو يمنحهما إشارة غفرانه:

. من ساعة ما دقيتوا بابي والموضوع انتهى

ابتسمت نسمة براحة كانت تعلم طيب معدنه الذي طالما مدحه نادر:

.كنت متأكدة إن الأستاذ هيغفر غلطة تلميذته

ابتسم محمود بود بينما هي تكمل ما اعتبرته ردًا لكرامته التي مستها باتهامه:

. مكانك في الشركة اللي أنت عمودها محدش هيعرف يملاه يا باشمهندس

نهض رائد و تبعته شقيقته يستأذنان في الانصراف ومحمود نهض بدوره يودعهما.

قبل انصرافها التفتت نسمه تؤكد:

. من بكرة شركتك في انتظارك يا باشمهندس

وهو أومأ برأسه إيجابا ببسمة راضية وقد زالت أي مرارة متبقية لما حدث.

***

عقب أن افترقت عن شقيقها كانت على موعد مع واجب آخر تأخرت عنه قليلًا، صعدت درجات البيت الذي تعرفه وغابت عنه لسنوات طويلة، دقت جرس الباب فاستقبلتها والدة صديقتها بترحاب كبير تدعوها للدخول:

. عاش من شافك يا نسمة

ابتسمت نسمة بحبور للسيدة رقية:

. وحشتيني يا طنط

ربتت السيدة رقية على كتفها تمازحها كعادتها:

. يعني لو ما كانتش هند عندنا ما نشوفكيش

خجلت نسمة من نفسها فبالفعل لسنوات

طويلة اكتفت باتصالاتها التليفونية بريم

ولقاءات متباعدة عابرة معها فاعتذرت بأدب:

. معلش حضرتك عارفة الظروف

تعاطفت السيدة رقية معها فهي تعلم من ابنتها

ما تمر به تلك المسكينة وانساقت خلف

ممازحتها متغافلة عن ثياب الحداد التي لازالت

متمسكة بها، ربتت على ظهرها بحنان تقودها

حتى غرفة ريم:

. عارفة يا بنتي ربنا يعينك

دلفت نسمة حيث ترقد هند جوار طفلها، اعتدلت هند في جلستها تستقبلها وهي انحنت تحتضنها بحب ثم جلست جوار الفراش تتجاذب معها حديثًا ودودًا، لاحظت هند الحقيبة التي وضعتها نسمة على طرف الفراش وبها بعض ملابس الأطفال ومستحضرات للعناية بهم:

. تعبتي نفسك

ابتسمت نسمة بود:

. تعب ضياء راحة

على ذكر اسمه أصدر الصغير مواءً كقطيطة فحملته هند تهدهده، مدت نسمة كفها تحمل

ضياء وتذكر اسم الله وهي تنظر إلى وجهه الملائكي، بغفلة من هند دست مظروفًا يحمل بعض المال الذي تعلم حاجة صديقتها الشديدة له حين دلفت ريم التي عادت لتوها من عملها بمرحها المعتاد لتجتمع مع صديقتيها، وجهت ريم حديثها لنسمة:

. قولتيلها على المفاجأة ولا لسة؟

ضحكت نسمة تهز رأسها نفيًا:

. مستنياكِ

نقلت هند نظرها بين صديقتيها تستفسر عما يتحدثان عنه:

. مفاجأة إيه؟

امتدت كف نسمة إلى كف صديقتها تربت

عليها بحنو:

. لما تشدي حيلك الوظيفة في انتظارك

رفرف قلب هند بسعادة فلم تكن تحلم بإيجاد

عمل بمثل تلك السرعة:

. بجد!

ابتسمت نسمة وعادت بعينيها تتعلق بوجه

ضياء الذي اختطف قلبها وهي توضح:

. في موظفة معايا في الشركة قدامها تلت شهور وتمشي

عادت بنظرها لهند مرة أخرى وأكملت:

. إن شاء الله لما تشدي حيلك تيجي تفهمك الشغل قبل ما تستقيل

وضعت الملاك الصغير جوار أمه ثم أتبعت:

. الشغل بسيط وأنا متأكدة إنك هتفهميه بسرعة

عند نهاية الحديث دلفت السيدة رقية بصينية الطعام التي تحوي غداء هند ورضّاعة اللبن الصناعي التي أعدتها لضياء كعادتها كل يوم

وبالطبع واجب الضيافة لنسمة التي نهضت تستأذن بالانصراف والسيدة رقية تعترض:

. ما لحقناش نشبع منك يا نسمة

ابتسمت نسمة معتذرة وهي تطالع ساعة يدها:

. معلش يا طنط بس لازم أقعد شوية مع الولاد قبل ما يناموا

صافحتها السيدة بعطف وهي تصطحبها حتى باب البيت تودعها بدعوات أم رءوم.

***

سنوات ظل يحلم بذلك اليوم الذي يتقلد فيه مئزر التخرج وقبعته السوداء، خاض تلك التجربة مرة وفشل في الحصول على الدرجة المنشودة وها هو للمرة الثانية يقف أمام الثلاث أساتذة يناقشونه ويجيب بثبات وصبر، يعيدون الكرّة ولا يتركون سطرًا بالرسالة خاصته دون مناقشة وأكثر من سؤال وهي بالصف الأول بقاعة الجامعة يخفق قلبها سعادة مع كل إجابة متمكنة منه وتتعلق عيناها بالمناقشين الثلاث وهم يوالون أسئلتهم واحدًا تلو آخر، أشرفت بنفسها على كافة الترتيبات من ورود ملأت

القاعة وقطع الشيكولا التي سيتم توزيعها بعد المناقشة والغداء الفاخر المقدم للأساتذة عقب نهاية اليوم، قلبها يرقص طربًا حين نطق رئيس اللجنة جملته المنتظرة بموافقة اللجنة بمنح الباحث ماهر محسن شوكت درجة الدكتوراة بتقدير جيد، انتظرت استلامه لشهادته وانتهاء مصافحته للحضور من أهل وزملاء حتى تقدم يقف بمواجهتها يشرف عليها من علو وهي تعلقت عيناها به في حب لم تعد بحاجة لمواراته: مبروك .

نطقتها بفرحة خالصة وهو التقط كفها يسحبها خارج القاعة يسرع خطواته فيبتعد عن مرمى النظرات المراقبة لهما، توقف بالرواق الهادئ ورفع كفها لشفتيه يطبع قبلة مطولة عليه مع همسته الممتنة:

. شكرًا

وهي سحبت كفها تغرق في خجل لذيذ وتلك السعادة بداخلها تزداد فتغمر كيانها مع همسته التالية:

. من غيرك ما كنتش هوصل

وتلك خطوة بطريق حلمه تتبعها أخرى نحو حلم جديد.

الفصل الخامس عشر

لكلٍ حربه الخاصة بالحياة

منا الخاسر والمكافح

وقليل من يجتاز اختباره منتصرًا

***

انتصرت قديمًا بحربها الخاصة وعبرت بطفليها

بر الأمان متجاهلة ما أصابها من جروح وما إن

اقترب قلبها من راحته حتى باغتها القدر بوضع

ابنتها بنفس اختبارها وكأنها ورِثت حظها العثِر، ابنتها الغافلة عما يدور من خلف ظهرها، تعلم أنها تحاول النجاة بمركب أسرتها لكنها في خضم ذلك تجهل ما قد تتعرض له من طعنات، تشفق عليها من خوض ذات الحرب التي تعلم تكلفتها؛ دلفت غرفة نسمة عقب عودتها من عملها، منذ مشادتهما الأخيرة وعادت علاقتهما إلى جليديتها مرة أخرى بعدما بدأ ذلك الجليد في الذوبان، تعلم أنها في رحلتها ربما ابتعدت عن ابنتها رغمًا عنها وحين حاولت تدارك الخطأ كان أوان الاقتراب قد فات، حاولت

كبح قلقها وتجاهل إشارات ذلك الوغد لكن جمرة الخوف بداخلها أبت أن ،تمنحها الراحة

اقتربت تجلس على طرف الفراش تواجه نسمة التي اتخذت من مقعدها الأثير أسفل النافذة مكانًا لبعض العزلة مع أحد كتبها، ترددت قليلًا عندما أغلقت نسمة الكتاب بيدها وأولتها اهتمامها لكنها عزمت على المضي قدمًا فيما أتت من أجله:

. إيه حكاية جوز صاحبتك؟

ضيقت نسمة حاجبيها بعدم فهم بينما السيدة زينب توضح:

. مدحت لما جه هنا قال إنه شافك مع جوز صاحبتك؟

اتسعت عينا نسمة بغيظ، وضعت الكتاب على منضدة قريبة وكزت على أسنانها عند ذكر ذلك الوغد تنطق من بين شفتيها:

. ده شك؟

. خوف؛ في فرق

عاجلتها الأم مؤكدة بصوت حنون، نهضت نسمة توليها ظهرها وتواجه النافذة ونظراتها متعلقة بالنجوم المنتشرة وسط السماء الحالكة:

. أنا عارفة حدودي كويس

نهضت السيدة زينت تقترب من ظهر ابنتها وهي تحاول نقل خبرتها إليها:

. أنا متأكدة، لكن الناس ملهاش غير الظاهر

عقدت نسمة ذراعيها أمام صدرها وشهقت تملأ رئتيها بنسمات الربيع:

. ده شغل؛ مش المفروض أقدم تقرير للناس عن كل واحد أتعامل معاه

أكملت السيدة زينب موضحة:

. بس على الأقل صاحبتك تكون مقدرة أن ده شغل

التوت شفتي نسمة بسخرية:

. صاحبتي اطّلقت

التفتت برأسها تنظر إلى والدتها من فوق كتفها

وهي تكمل سخريتها:

. ومش أنا السبب

تفاجأت السيدة زينب مما سمعت ورغم ثقتها في

صدق ابنتها إلا أن سنوات وحدتها علمتها

اتقاء مواطن الشبهات:

. يعني مفيش بينكم غير الشغل؟ حتى لو من

ناحيته؟

أرجعت نسمة نظرها للسماء الصافية بعنف

وقد ضاقت ذرعًا بالحديث:

. إنتِ متخيلة إن ممكن راجل يدخل حياتي بعد

نادر

اقتربت والدتها تلمس كتفها برفق:

. مش عيب ولا حرام

التفتت نسمة تواجه أمها بحزم:

. وماعملتيهاش ليه بعد بابا

أخفضت السيدة زينب نظرها، تفهم ما تعانيه

ابنتها لكن تلك الابنة لا تدرك صعوبة اختيارها

. مش يمكن علشان كده مش عايزاكِ تعيشي اللي عشته

تخطت نسمة والدتها تجاه الفراش دون تعليق وقد أرهقها الحديث، والأخرى انصرفت مشفقة على ابنتها وهي تنوي عدم السماح لها بإلقاء نفسها بين ذراعيّ الوحدة كما فعلت هي قديمًا

***

مر شهر على ولادة طفلها، ورغم رفض صديقتها ووالدتها الطيبة نزولها للعمل إلا أنها أصرت على شق طريقها بمفردها يكفي تلك

الأسرة الطيبة أن آوتها تلك المدة والآن جاء دورها حتى تجد لنفسها وطفلها طريقًا بالحياة رفضت تلقي اتصالات والدتها رغم محاولات الأخرى العديدة لكنها وبعد ما حدث لا تستطيع إلا أن تُحمّل والديها معًا إثم ما تعانيه فقط شقيقها المتخبط هو الآخر بطرقات الحياة من قبلت بالتواصل معه، زارها لمرة وحيدة بطلب منها بغية إحضار ملابسها ومن وقتها وهي تحرص فقط على التواصل معه هاتفيًا مراعاة للبيت الطيب الذي تسكنه، واليوم تركت طفلها برعاية السيدة رقية الحنون

وحضرت للمرة الأولى إلى الشركة التي استقبلتها بها نسمة بترحاب وسلمتها إلى سكرتيرتها أروى بغية تعليمها قواعد العمل، هي وإن كانت لم تخُض غمار الحياة العملية من قبل إلا أن عزمها النجاح كان دافعًا كفيلًا لسعيها التعلم في وقت قصير، كانت تراجع خطوات إدخال البيانات على الحاسب كما علمتها أروى حين دلف للمكتب وتفاجأ بوجودها وإن كان أجاد إخفاء دهشته بعملية يتقنها، أما عنها فقد ألجمتها الصدمة وهو يطلب من أروى إبلاغ نسمة بوجوده والأخرى تصحبه

حتى مكتب صديقتها، منذ غادرها بالمشفى بعد طلاقها وهي أسقطت وجوده بالحياة من حساباتها، تتنفس حريتها بعيدًا عن سجنه الذي عاشت خلف قضبانه لثمانِ سنوات عجاف.

دلف للمكتب مدفوعًا لرؤيتها متخطيًا وجود الأخرى بسرعة أعجبته بنفسه، حياها بعملية يخفي خلفها شوقه للهالة المحيطة بها وعنها فقد رحبت به كعادتها:

. مواعيدك مظبوطة يا باشمهندس

حل زر حلته يستريح بمقعده وعيناه تستقي راحتها بمراقبتها:

. أي رجل أعمال ناجح لازم توقيته يكون مظبوط

أومأت برأسها موافقة وهو يفتح حقيبة أوراقه ويخرج أحد الملفات يقدمها لها ويوضح:

. ده ملف أول شغل بينا

التقطت الملف من يده وهو يكمل:

. تجهيز مصنع في العاشر، الأثاث المكتبي علينا والمكن عليكم

كاذب هو ويعلم، تلك مجرد ذريعة قرب دُفع لها رغمًا عنه، هو لديه القدرة على تجهيز المصنع بالكامل لكن تلك القوية الرقيقة تجذبه لمحيطها كلما ابتعد، فتحت الملف تطالع التفاصيل ورفعت سماعة هاتفها الداخلي تطلب حضور محمود وهي تقول باهتمام:

. هدرس الملف وأرد على حضرتك في أقرب وقت

وهو اقترب يستند بساعده إلى سطح مكتبها يذلل أية عقبة قد تقف في طريق قربه:

. حددي شكل التعاون بمعرفتك، شراكة في العملية ككل

صمت قليلًا يطيل زمن البقاء بمحيطها ثم أكمل:

. أو تعتبريني مشتري للمكن ومش هنختلف في طريقة الدفع

عند نهاية كلمته دلف محمود يصافحه بود حقيقي والآخر بادله المصافحة بجدية بينما نسمة توضح بعملية:

. عرض حضرتك مغري يا باشمهندس

قلبت صفحات الملف تطالع الكميات المطلوبة وتكمل:

. بس زي ما قلت لحضرتك هدرس الملف مع باشمهندس محمود وأرد في أقرب فرصة

رغم عملية ردها إلا أن ذكرها للآخر وكأنه مرجعها أثار حفيظته، لا يستطيع فهم ذلك الاضطراب الداخلي الذي يصيبه معها، تلك المضغة التي يشعر بها تخفق للمرة الأولى ولا يريد منح ذلك الشعور اسمه، وذلك الرجل الذي يكونه في حضرتها رغم بعده عن شخصيته التي عرفها دومًا، عقد زر حلته مرة أخرى يعيد

السيطرة على كيانه المبعثر حولها ويستأذن بالانصراف هروبًا من إرهاقه بحضورها، ودعه كل من نسمة ومحمود وهو انصرف متجاهلًا الأخرى بالخارج التي اندفعت نحو مكتب نسمة فور انصرافه وتوقفت متلجلجة أمامها

لاحظت نسمة دخولها المندفع وهيئتها المضطربة، هي تعلم سبب حضورها بتلك الصورة فاختصرت طريق الحديث بذكر اسمه:

. حسام

رفعت هند نظرها نحو محمود المراقب دون فهم ثم أخفضتهما خجلًا وهي تسأل:

. هو في شغل بينكم؟

نهضت نسمة تواجهها برفق وحسم في آن واحد

. أيوة

رفعت هند نظرها لنسمة التي ربتت على كتفيها

. خرجي العلاقات الشخصية برة الشغل

أومأت هند برأسها إيجابًا يبدو أن طريق حياتها العملية لن يكون سهلًا وعليها العمل بنصيحة صديقتها فالتفتت مغادرة وخلفها محمود المتسائل بنظراته عما حدث توًا ليأتيه صوت نسمة:

. هند هتكون مكان أروى

أومأ محمود برأسه وكلماته تشير أنه لا يسأل عن تلك النقطة:

. قابلتها الصبح؛ مالها؟

جلست نسمة خلف مكتبها تمرر حقيقة يجب على الجميع التعامل معها وأولهم صديقتها:

. حسام يبقى طليقها

هز رأسه بفهم وقد أثارت تلك الصامتة تساؤلاته، نحى أفكاره حولها جانبًا وتذكر ما كان آتيًا لأجله موجهًا كلماته لنسمة

. في عميل لينا اسمه شاكر منصور

استطاع جذب نظرات نسمة وهو يكمل:

. للأسف آخر تعامل بينّا كان من سنه ومش قادر أوصل لوسيلة اتصال بيه

هزت نسمة رأسها بعدم فهم وهو لم يتأخر في التوضيح:

. نادر اللي كان على اتصال بيه يمكن تلاقي الكارت بتاعه عندك

أومأت نسمة إيجابًا تمنحه حافظة البطاقات الخاصة بنادر، بحث بها دون جدوى وهي لاحظت فشله فأعلنت عن آخر احتمال ممكن:

. في أوراق لنادر في البيت هدور فيها

تناولت ملف الشراكة المزعومة وقدمته له

موضحة:

. دلوقت عايزاك تدرس الملف ده وتديلي رأي

تناول الملف ونهض متوجهًا لمكتبه وفي طريقه

لاحظ حزنها وارتباك فشلت في السيطرة عليه

يبدو أن تلك الوافدة الجديدة تحمل خلفها

أسرارًا.

***

أقبل الربيع بنسماته اللطيفة على الكون ومعه

أزهر قلبها بالحب، أحلامها التي نسجت

خيوطها معه تقترب منها بتؤدة، الأول تحقق برؤيتها له وقد جاورها كزميل وانتفت عنه صفة الطالب التي كانت تؤرقها، منذ الصباح تساعده في تنظيم مكتبه الجديد ليتماشى مع ،ترقيته، تضع لمساتها الخاصة على كل ركن إناء الزهور على جانب المكتب ولوحة تحمل آية قرآنية علقتها خلف مقعده، ولوح خشبي ،يحمل اسمه ودرجته الجديدة تواجه الداخل

سحب ماهر طاولة صغيرة أمام المكتب لتتوسط المقعدين المتواجهين، أخرج كتبه ومراجعه من حقيبة كبيرة وشرع بتنظيمها

بالمكتبة الصغيرة جوار المكتب وريم تساعده بحب خالص تمد كفها تلتقط أحد الكتب لتضعه مكانه وهو احتضن كفها الحاملة للكتاب، التقت عيناهما في حديث صامت قطعه ماهر بصوت أجش:

. مش عارف من غيرك كنت عملت إيه؟

ابتسامة عينيها المحبة صاحبت كلماتها:

. أنا معملتش حاجة

رفع كفها لشفتيه يطبع قبلة مطولة على ظاهرها

. مش هقدر أنتظر السنه تكمل

وهي هربت نبضات قلبها كاملة نحوه معلنة انتماءها لذلك الماهر فقد فاز بكيانها كله دون جهد يُذكر.

***

عقب انصرافها من الجامعة عزمت على الذهاب إلى صديقتيها، دلفت مكتب السكرتارية حيث هند لازالت غارقة بين الملفات تحاول الإلمام بأكبر قدر ممكن من المعلومات في أقصر فترة ممكنة صافحت أروى وجلست بانتظار الأخرى حتى تنهي :عملها

. جيت نروّح سوا بدل ما تركبي مواصلات

أتتها الإجابة من خلفها مداعِبة:

. طب ما تروحيني أنا كمان بدل المواصلات

التفت ثلاثتهن لمصدر الصوت فوجدن رائد الذي دلف ناشرًا مرحه بالمكان، وريم التي اعتادت مبادلته المرح ترد:

. وفين عربيتك يا أستاذ

تصنع رائد الحزن يمط شفتيه بأسى وهو يجيب:

. عطلت

رفع كفيه بمحاذاة كتفيه ويكمل:

. وجاي لنسمة توصلني لكن لو هتوصليني أنت

هههرب معاكِ

انحنى برأسه قليلًا بآخر جملته يخفض صوته وكأنه يسر لها فصدحت ضحكة ريم الصافية في المكان ورفعت كفها اليمنى تعدل من خصلاتها والعابث التقط كفها يطالع حلقتها الذهبية بصدمة مفتعلة:

. اتخطبتي؟

سحبت كفها وقد فقدت السيطرة على ضحكها وهي تؤكد له:

. وكلها كام شهر واتجوز

ألقى بنفسه على المقعد المواجه لها يمسك موضع قلبه بكفه وثلاثتهن تطالعنه بابتسامات وهو يكمل مسرحيته المفضوحة:

. قلبي؛ غدرتي بيه وهتسيبيه وحيد

نهضت ريم تلوح بكفيها في الهواء وتحاول النطق من بين ضحكاتها:

. مفيش فايدة فيك، مش هتبطل هزار أبدًا

اعتدل في جلسته يستدعي بعض الجدية:

. ومين يضحكّم لو أنا بطلت؟

ألقى بنظره نحو الوجه الجديد وإن كان لاحظ ابتساماتها لدعابته لكنها ابتسامات ذبيحة يقسم أنها لم تتعدَ شفتيها، يستطيع أن يقرأ بعينيها .مواويل من وجع دفين

***

عقب عودتهما معا اندفعت هند شوقًا إلى طفلها الغافي براحة، احتوته بحب تطبع قبلة حنون على جبهته وتعود للسيدة رقية بعينيها ،شاكرة فضلها والأخرى تغدق عليهما رعايتها بعد الغداء اقتربت هند من صديقتها تطلب مساعدتها مرة :أخرى في أمر تراه ضروري

. كنت عايزة أشوف مكان إيجار ليَ أنا و ضياء

ضيقت ريم حاجبيها بغضب من صصديقته المتسرعة في خطواتها:

. مش شايفة إن لسة بدري قوي

نفت هند برأسها وعيناها ممتنة لصديقتها:

. مش بدري، محتاجة أحس باستقرار

اقتربت ريم تجاورها وتحاول ترتيب أفكار صديقتها:

. ده أول يوم شغل ليكِ، استني كام شهر على الأقل

ربتت هند على كف ريم بامتنان:

. ما قلتش هنقل بكرة أحنا لسة هندور

نظرت ريم لصديقتها بتأنيب:

. هو في حد زعلك هنا؟

ابتسمت هند بحب وهي تعترف بجميل تلك الأسرة:

. أنتو عملتوا معايا إللي أهلي ما عملوهوش

عادت بنظراتها الشاكرة تضيف:

. لكن لازم يبقالنا مكان لوحدنا

عند كلمتها دلفت السيدة رقية الغرفة وقد سمعت حديثها مع ابنتها وهي تنطق بلوم:

. هتبعدي ضياء عني بعد ما اتعودت عليه

اقتربت هند من المرأة الطيبة تطمئنها بحب:

. مين قال كده؟ لازم المكان اللي آلاقيه يكون قريب من هنا

التقطت كف السيدة رقية تقبله بحنان ابنة وجدت الأم التي طالما حلمت بها:

. أنا مش هطمن على ضياء وأنا في الشغل غير معاكِ يا ماما

صدرت الكلمة منها دون تخطيط فقط شعور غمرها تمنت فيه أن تكون ابنة حقيقية لها والأخرى وصلها ذلك الشعور فاحتوت هند بأحضانها تربت على ظهرها وتؤكد:

. أنا دلوقت عندي تلات بنات وضياء عوضني عن أحفادي اللي ما شفتهمش

وتلك هي الدنيا تلقي بمحبتك بقلوب أناس لم تكن تتخيل يومًا أن تلتقيهم بينما تنزع الرحمة من قلوب آخرين كان الأحرى بهم تقديم الحب

***

وسط دوامة عملها تنتهز فرصة تدريبات طفليها لتلتقط بعض أنفاسها بين الطبيعة وتعيد شحن طاقتها للمضي قدمًا، اصطحبت طفليها إلى النادي مع شقيقها الذي بات لهما أبًا بديلًا وصديقًا مقربًا اتخذت طاولة جانبية تستمتع بالطبيعة الخضراء وبوادر تفتح أزهار الربيع وشقيقها الذي عمد إلى تأخير عودتهم للبيت بعد انتهاء التدريبات حتى يفي ،بوعده للصغير بمباراة كرة قدم معه ونادين اتسعت ابتسامتها عندما لاحظت قفزات نور الفرحِة عندما سدد هدفًا بشقيقها المتكاسل عمدًا عن حراسة مرماه

ومن بعيد لاحظت اقترابه فلقاءاتهما بالنادي صارت عادة متكررة مع تزامن تدريبات طفليها وابنته، جاورها فارس بالطاولة وعينيه تمشط ملامحها بشوق، يعيد شحن قلبه بطاقة قربها حتى يتمكن من انتظار لقاء آخر، قلبه الذي لم يعد يجد غضاضة في التحليق بسماء حبها مرة أخرى بعدما قيده زواجها لسنوات، ونظراته التي باتت فاضحة لمشاعره وإن احترمت كلماته المتحفظة حزنها ترسل لها ذبذبات فهمتها بفطنتها وإن لم تلقى صداها بداخلها الفائض بذكرياتها مع زوجها

تبادله حديثًا عامًا وتعمد للفرار من لقاء زيتون عينيه، أقبلت لمى عليهما بعدما أنهت تدريبها وشاركتهما الطاولة، رغم ود نسمة الواضح في التعامل معها لكن نظرات والدها التي لم تخفَ على الشابة الصغيرة أثارت حفيظتها نحوها دون قدرة على البوح بذلك الشعور لأحد بعدما وصلت لأمانها بين ذراعي فارس تنشّق الأرض عن تلك المرأة وطفليها مهددين عرشها بقلب والدها الذي طلب طعام الغداء للجميع كعادة جديدة كلما التقيا معها بالنادي.

أحضر النادل الطعام بعدها أقبل رائد الذي صافح فارس بحرارة تبعه نور ونادين التي تحفظت في صداقة لمى بعدما وجدته من تحفظ الأخرى الذي لم تفهم سببه، قطع فارس الصمت معلنًا عن سعادته بالجمع:

. مفيش أحلى من اللمة على الأكل

وافقه رائد الذي لم يتوقف عن مداعبة الجميع ونسمة التحفت بالصمت، ترى تحفظ لمى وقراءتها لنظرات والدها، تفهم الصغيرة وتود طمأنتها ولا تعرف كيف، تقرأ جميع من حولها

ولا تود سوى العودة إلى عزلتها بصحبة ذكرياتها بين عبقه الذي تجد به سلواها.

***

بمقر شركته يحاول استعادة زمام سيطرته، قربه منها يرهقه وابتعاده غير ممكن بعدما لمس خيوط سعادته بمحيطها، ماذا لو اقترب أكثر؛ !أتراها تحمل بين طيات قلبها ترياق روحه

صدح جهاز الاستدعاء الداخلي يعلن عن رغبة والده بحضوره، نهض قاطعًا المسافة الفاصلة بين مكتبيهما وجلس أمام مكتب والده الذي أمعن النظر به يحاول استشفاف

تغيره ولم يتأخر في إعلان أنه على دراية بكل ما يجري خلف ظهره:

. إيه حكايتك مع أرملة نادر الكيال

استند حسام بظهره إلى مقعده يرفع رأسه للأعلى ويقر بحقيقة لأول مرة:

. عاجباني

مال مهران برأسه قليلًا وعينيه تحمل استخفافًا بولده أقرته كلماته:

. وده يخليك تديلها ملف تجهيز مصنع العاشر

عاد حسام بنظره لوالده، كان يعلم أن أذرعه الأخطبوطية ستجعله يُلِم بكل ما يفعل دون عناء خاطب والده باللغة التي يفهمها:

. لقمة صغيرة مش هتفرق معاك

شردت عيناه رغمًا عنه في الفراغ عندما سافر خياله لها مرة أخرى:

. لكن هتقربني منها

ضحكة مهران الساخرة استفذته وهو يتبع بسخرية كلماته:

. اشمعنى دي؟

شهق حسام فملأ صدره بالهواء وهو يبوح بما لم يبح به قبلًا حتى لنفسه:

. لقيت فيها اللي ما لقيتوش في واحدة قبل كده

لم يستطع مهران أن يخفي دهشته الحقيقية من ابنه الذي يراه لأول مرة بتلك الحالة وهو يسأله

. وناوي على إيه بعد كده؟

خرجت رغبة حسام الدفينة يعلنها صراحة رغم دهشته من الكلمة التي جرت حروفها على لسانه وكأن آخر من يقرها عنه:

. هتجوزها

الفصل السادس عشر

يحكى أن رجلًا كان هائمًا على وجهه بالحياة

ينال ما يريده غلابًا ويخطو فوق ما يؤرقه

حتى إذا ما اعتقد أنه وجد سلامه؛ لفظه.

***

. هتجوزها

الكلمة التي جرت على لسانه دون تفكير

مسبق ارتدّت لعقله تترجم له ما كان يعمد

لإنكاره، سلامه الذي يجده قربها ورغبته الدفينة التي كان يهرب منها أعلنها لسانه صراحة وصدّق عليها قلبه.

حروف الكلمة التي ظلت تطارده لأيام تداعب خياله بقربها؛ هي بين ذراعيه، رأسها مستريح قرب قلبه، كفه تُملس خصلاتها والأخرى تداعب عنقها يرتشف من بين شفتيها رحيق الحياة الذي لم يتذوق مثله قط ثم تغفو بسلام على وسادته وعينيه تتعبد بمحراب براءتها.

رغبة القرب التي اجتاحته حد التمكن من كل ذرة بكيانه لم تتح له فرصة أخرى للفِرار فأعلن

استسلامه وساقته قدماه مرة أخرى عازمًا على الفوز بها، تجاهل زوجته السابقة عامدًا وتلك المرة كان مستعدًا وهي وإن كانت تفاجأت للمرة الثانية بوجوده أمامها إلا أنها تمسكت بكلمات صديقتها وأجادت ادعاء الثبات بينما أروى تقوده حيث مكتب نسمة التي رحبت به، جلس أمامها وعيناه تتجول فوق ملامحها بشرتها الصافية التي تركتها طبيعية دون مستحضرات تجميل لا تحتاجها، عيناها بلون العشب التي أسرته بحزنها من أول لقاء وشفتاها الكرزية التي تنساب حروفها من بينهما

كسيمفونية تعزف على أوتار قلبه العطِش؛

يعلم إن توقيته ربما يكون باكرًا لكن معاول

الشوق التي تُهّدِم ثباته ببُعدها لا تُحتمل صوتها

قطع صمته وهي تعلن مفاجأتها بالزيارة التي

أرجعت سببها للعمل فأجابت قبل أن يسأل:

. الحقيقة لسة محددناش إذا كنا نقدر ندخل في

شغل مع حضرتك ولا لأ

اعتدل في جلسته يبتسم لجديتها في العمل ولين

صوته يرغب بتحويلها إلى جلسة ودية:

. أنا مش جاي المرة دي في شغل

عيناها المتسائلة بدهشة من تغير نبرته وتلك النظرة التي تلحظها لأول مرة بعينيه ولم يترك لها الفرصة لإنكارها وهو يكمل:

. بس في البداية عايزك تعرفي إن مهما كانت نتيجة المقابلة، عرض الشغل قائم

هزت رأسها دون فهم تمنحه الفرصة ليكمل:

. أنا طالب القرب منك

بُهتت لجملته التي تخيلت للحظة أنها لم تسمعها ثم مع تسلل الإدراك لها ارتفع صوتها فجأة:

. عايز تتجوزني!

خرجت جملتها رغمًا عنها ساخرة مستنكرة

وهو امتلك زمام نفسه:

. عارف إني فاجئتك

نظراتها الغاضبة لم توقفه كيف تجرأ ليطلب

زواجها وهو حاول امتصاص ذلك الغضب:

. مش عايز ردك دلوقت

شهقت تملأ صدرها بالهواء وهي تتذكر كلمات

،أمها التي يبدو أنها قرأت المستقبل أفضل منها

استدعت هدوءً تُخمد به ثورتها:

. مش محتاجة وقت

اتبعت كلمتها بحسم تقطع عليه أي أمل:

. طلبك مرفوض يا باشمهندس

هل ترفض قربه وتحرمه ما يكونه جوارها، لا ينكر أنه كان يتوقع الرفض ويعلم بخبرته أن طريقه إليها ليس ممهدًا وهو خطى أول خطوة ومستعد لتاليات:

. ممكن أعرف سبب الرفض

زفرت أنفاسها بقلة صبر:

. أسباب مش واحد

اقترب يستند بساعده للمكتب، يحافظ على هدوء نبرته:

. أحب أسمعهم

شردت بنظرها قليلًا ثم عادت إليه بنظرة جامدة

. أولا مش هتجوز بعد نادر

كان يعلم هذا السبب وسيتكفل به فاتبع:

. وثانيًا

. هند صاحبتي

جملة ألقتها بمنطقية ورغم أنه كان يتوقعها إلا أن ضيقه من الأخرى بلغ مداه؛ تلك النقطة

السوداء بحياته هل ستظل عقبة بطريقه، اتبع يحثها على المواصلة:

. وثالثًا

. أحب أحتفظ بيه لنفسي

لقد ضاقت ذرعًا بحديث لا طائل منه وآخر سبب لا يخصها وحدها ولا داعي لذكره لكنه أصر:

. وأنا مصمم أعرف

زفرت بضيق حتى تنهي ذلك اللقاء وكلماتها الحادة تُذكره:

. لما أختار زوج بكون بختار أب بديل لولادي

مالت برأسها قليلًا وثقل الكلمات يؤرقها لكنها أكملت على أمل أن تكون سببًا في إصلاح ما فَسد بالفعل:

. مش معقول أختار حد رمى ابنه

بصقت الحقيقة المجردة بوجهه وهو تلقاها بجمود، كيف يستطيع تفسير ما فعل لها وهو لا يستطيع تفسيره لنفسه، نحّى أفكاره جانبًا وهو :يسأل

. في رابعًا؟

هزت رأسها نفيًا وهي تؤكد:

. دي أسباب كافية

عقد زر حلته ونهض يلملم شتات نفسه وهو يؤكد لها:

. زي ما قلت عرض الشغل لازال قائم ومنتظر ردك

هزت رأسها موافقة وإن كانت تعلم أنها لن تستطيع العمل بما نصحت به صديقتها بعد اليوم وهو انصرف ومن داخله يؤكد أن عرض الزواج أيضًا قائم فمثله لا يعرف الاستسلام.

***

بعد يوم عمل شاق يعود لبيته بعدما ابتاع بعض المقرمشات والجبن للعشاء، دلف منزله فوصله صوت الحركة بالمطبخ خطى حيث الصوت فوجدها تنهي طهي الطعام وتبتسم له بحب، تركت ما بيدها وألقت بنفسها بين ذراعيه وهو احتواها وطبع قبله على خصلاتها أبعدها من كتفيها قليلًا وبصوته الحنون:

يسأل

. إيه اللي جابك يا غِنى

ابتعدت عنه بدلال تغرف الطعام بالصحون:

. جيت أتغدى معاك يا حودة

ابتسم للفظ تدليله الذي تستأثر به وحدها دون باقي شقيقاته، غِنى صغرى شقيقاته التي يكبرها بثمانية عشر عامًا، توفي والدهما بينما كانت في التاسعة ولم تعرف أبًا حقيقيًا بالحياة سوى شقيقها الذي تحول دوره لأب وأم عقب وفاة والدتهما قبل خمسة أعوام بينما كانت غِنى بالسنة النهائية بكلية طب الأسنان، استند إلى رخام المطبخ بنصف جلسة يربع ذراعيه :أمام صدره ويتابعها باستمتاع

. ما عندِك جوزك

حملت صحن بيدها وبسبابتها داعبت لحيته وهي تسير حيث طاولة الطعام خارج المطبخ وتداعبه بمرحها:

. ما الحب إلا للحبيب الأول

وضعت ما بيدها وعادت تتناول صحنين وتضعهما بكفي محمود وتحمل مثلهما للطاولة وهو تبعها يشاهد كميات الطعام التي طهتها بالفعل:

. إنتِ عازمة حد وأنا معرفش؟

ضحكت باستمتاع وهي تنقل قطع الدجاج لصحن محمود وتوضح:

. بكرة عندي عيادة مش هعرف آجي بدري

ابتلعت ملعقة من الأرز ثم أكملت:

. بس هاجي اتغدى معاك

ابتسم محمود لصغيرته وداعبها:

. إنت ناوية تطفشي جوزك من أول سنة جواز

بادلته الدعابة بمثلها تربت بسبابتها على جانب ذقنها مدعية التفكير ثم تفرقع بأصابعها بالهواء كمن وجدت الحل:

. تصدق فكرة؛ أطفشه وأرجع أعيش معاك

إنتَ يا قمر

ثم أتبعت تغازله بمرح مدعية الحزن:

. أنا كان عقلي فين علشان اسيب الأربعيني خالط لحيته الشيب وأروح للتلاتيني أبو نضارة

ضحك محمود ملئ شدقيه ثم كسى صوته ببعض الجدية الحنون:

. عيب تتكلمي على جوزك كده

ثم أتبع بحنان:

. مش قلتلكم مش عايز واحدة فيكم تشغل نفسها بيَ؛ أنا بعرف أتصرف

امتدت كفها تحتضن كفه بحب وهي تجيبه بحنان مماثل:

. نشغل نفسنا بمين غيرك؟

احتوى محمود نظرات شقيقته بعاطفة أب وهو يوضح:

. ببيوتكم وولادكم، إخواتك عندهم ولاد وإنتِ بكره ربنا يرزقك؛ مش عايزكم تشيلوا همي

ابتسمت بحب فائض تحمله له منذ الصغر:

. وإنتَ؛ مش ناوي يكون عندك ولاد

أخفض محمود نظراته، الفكرة التي ظل يؤجلها عامًا تلو آخر منذ وفاة والده حتى فات أوانها وباتت بلا معنىً ثم عاد بنظراته إليها يقرر:

. ما أنتِ بنتي يا غِنى

تابعت صغيرته التي كبرت على يديه وتمتلك مثل مثابرته:

. علشان كدة عارفة إنك هتكون أب عظيم

ثم أتبعت تضفي بعض المرح على حديثها:

. وأنا نفسي أبقى عمتو بس مش هبقى حرباية والله

نهض محمود وقد أنهى طعامه وحمل بعض الصحون عائدًا للمطبخ وهي تبعته بينما يعيد على مسامعها الجملة التي ظل يرددها لسنوات فقدت القدرة على عدها:

. ما بفكرش في الجواز

اقتربت منه تلمس كتفه وتحثه بحنان على التفكير بنفسه ولو قليلًا:

. كفاية بقى يا آبيه

ناظرها بمداعبة يحاول تغيير مجرى الحوار:

. مالك النهارده؛ إنتِ عندِك عروسة؟

ابتسمت غِنى بحب وهي تؤكد:

. معنديش بس أنت تؤمر ومن بكرة أدورلك على أجمل بنت خلقها ربنا

ابتسم محمود وتلك المرة بسخرية لوردية صغيرته:

. وأجمل بنت خلقها ربنا هتعمل إيه بمهندس شايب، ما حيلتوش غير شقة قديمة ومرتبه نصه رايح أقساط؟

اكتست ملامح غِنى بالجدية تلك المرة تكرر عرضها:

. قلتلك يا آبيه أكمل أنا الأقساط

. غِنى

زعقة حادة باسمها صدرت عنه أكملها بتقرير:

. قلتلك قبل كده حقك هتاخديه زي ما جوزت إخواتك

تخطاها خارجًا وهو يقرر دون أن يلتفت:

. مش عايز كلام تاني في الموضوع ده

وعنها تبعته تلتمس أمانها جواره وتدعو الله أن يجد قلبه السعادة التي يستحقها.

***

مرت أيامها القليلة مع صغيرها بين خوف ورجاء وهي تتابع نموه البطيء الغير متماشي مع عمره الذي أكمل ثمانية أسابيع، جسده الهزيل المستكين معظم ساعات اليوم بضعف يمزق قلبها، وتسارع أنفاسه المتتابعة لهثًا، اللون الأزرق الذي زحف إلى شفتيه معلنًا حاجة دماءه للأكسجين، كان موعدها التالي مع الطبيب بعدما أجرت الفحوصات التي طلبها لقلب ضياءها العليل

طالع الطبيب الأشعة السينية وامتدت كفه بسماعته الطبية يلاحظ اللغط الجلي بضربات

قلب الصغير، ترك ضياء لهند التي دثرته مرة أخرى واحتوته بأحضانها بانتظار كلمات الطبيب الذي لم يتأخر في الشرح:

. لحد دلوقت الحالة مستقرة

طالع الأشعة مرة أخرى وهو يكمل:

. هنتابع مع بعض كل شهر لحد ما ضياء يكمل ست شهور

ضمت هند صغيرها إلى صدرها أكثر وكأنها تحميه من القادم الذي أوضحه الطبيب:

. مش هنسبق الأحداث بس باللي شايفه قدامي مش هنقدر نستنى أكتر من كده

كلمات الطبيب والخطر المحيط بصغيرها ألجما لسانها، فتحدثت ريم التي كانت ترافقها كعادتها شاكرة الطبيب وامتدت ذراعها تحيط كتفي هند الصامتة وتقودها حتى سيارتها نظراتها الزائغة في الفضاء طوال طريق عودتهما للمنزل آلمتا ريم على صديقتها وصغيرها الذي بات قطعة من أسرتها، فامتدت يمناها تربت على ساق هند مطمئنة:

. إن شاء الله هيبقى كويس

هزت هند رأسها إيجابًا تتعلق بالأمل في نجاة ضياءها.

***

مر الربيع وانتهت السنة الدراسية، وهي مع زملائها تستعد لتسليم نتائج اختبارات نهاية العام تركت مكتبها عندما تأخر ماهر عن لقائها صباح كل يوم كما اعتادت، طرقت باب مكتبه فلم يأتها الرد لتدلف وتواجه الغرفة الخالية، عادت أدراجها تتجول بطرقات المبنى وعيناها تبحث عن أثره ولم تجده، التقت بزميلهما عصام فسألت باهتمام:

. ما شفتش دكتور ماهر؟

قابلتها نظرات عصام الساخرة من جهلها وهو يبادلها سؤالًا بآخر:

. هو حضرتك معرفتيش؟

تلك الحديدية مدعية القوة سقطت كأي فتاة غرة بفخ وصولي ولسذاجتها كانت الوحيدة الغافلة عن هدفه الظاهر للجميع،

هزت رأسها دون فهم ونظراتها تعيد السؤال الصامت ليجيبها بما تجهل:

. دكتور ماهر قدم على إجازة بدون مرتب وأخلى طرفه امبارح

. إجازة!

همستها الذاهلة أثارت شفقته؛ فمع كرهه للآخر لا يتمنى لأية فتاة أن تُستغل مثلما حدث معها وهي رغم زلزلة كيانها للخبر الذي لم تتوقعه وشعورها بأن ساقاها قد اهتزتا إلا أنها تمسكت بقناع جليدي عادت تستدعيه مرة أخرى وهي تبتعد فتتوارى عن الأنظار خلف باب مكتبها دون قدرة على استيعاب ما حدث، إن كان يرغب بالحصول على إجازة فلمَ لم يخبرها؟ بل ولمَ يرغب مثله بإجازة وقد حصل على ترقيته الحديثة والمكانة التي كان

يسعى لها بل وأين هو الآن ولِمِ لا تمتلك تفسيرًا لاختفائه.

طلبت رقمه بحثًا عن تفسير تستحقه فواجهتها رسالة مسجلة فالخط غير متاح مؤقتًا قد يكون خارج نطاق التغطية وربما يكون مغلقًا!

على الجانب الآخر كان هو يُعد حقائبه استعدادًا للسفر ووالدته التي سعت مع قريبها لمنحه تلك الفرصة تتردد لحظة وداع وحيدها:

. هتغيب كتير يا ماهر؟

ناظرها بسعادة وهو يجيب:

. مش عارف

ترددت الأم مرة أخرى في محاولة تعلم فشلها:

. ما أنت خلاص خدت الدكتوراه كنت خليك

رفع ماهر نظرة ظفر، لم يكن طموحه يومًا دفن نفسه بين المدرجات والطلبة:

. الدكتوراه كانت خطوة علشان ترشيحي يتقبل في الوقت المناسب

شرد بنظره في الفراغ نحو أحلامه اللانهائية ملحق ثم سفير وربما يومًا وزير:

. دلوقت بحط رجلي على أول الطريق

وإن كان قد حصل على منصب ملحق ببعثة مصر بالأمم المتحدة بمساعدة أحد أقربائه ذو المنصب الحساس بالخارجية فإن طموحه التسلق حتى الوصول لقمة الهرم.

بعد ساعات كان يربط حزام مقعد الطائرة، فتح هاتفه وكما توقع وجد العديد من المكالمات الفائتة ،وجميعها تخصها

ضغط الزر وبعث بالرسالة التي كتبها مسبقًا وأغلق هاتفه مرة أخيرة مع ارتفاع عجلات الطائرة عن أرض المطار تحمله حيث أحلامه وبلا عودة.

***

تتابعت أيام حياتها بمنزل والدها الذي بات ملكًا لها عن آخره، موطن راحتها وحريتها التي تحياها رفقة فارس بعد سنوات قضتها تائهة ،لكنها كلما تذكرت نظرات والدها لتلك المرأة لطفه مع طفليها واهتمامه الواضح بأسرتها ارتج قلبها رهبة من فقد مكانها إذا ما فكر والدها بالزواج ثم تعود وتطمئن نفسها أنه عاش وحيدًا لسنوات عقب طلاقه وأمها فلمَ يسعى للزواج ،الآن وبعد أن ملأت وحدته كما يخبرها دائمًا بدأت يومها وعزمت أن تجعل والدها يلمس

التغير بحياته في وجودها، أخذت على عاتقها مهمة تنظيف المنزل الأمر الذي تجهله تمامًا لكنها ستحاول حتى تتعلم كل شيء، استيقظ فارس على صوت الجلبة التي أحدثتها بصالة البيت فتح باب غرفته واتسعت عيناه وهو يشاهدها وقد جمعت سجاد البيت جوار الحائط، غطت شعرها بوشاح أحمر لا يعلم من أين أتت به وتمسك بيدها منفضة تضرب بها الأرائك فتثير التراب حتى سعلت، ضحك فارس لهيئتها ولم يخفي دهشته:

. بتعملي إيه يا لمى؟

التفتت تواجهه وقد خجلت لأنها أيقظته بصوت المنفضة وببراءة أوضحت ما هو جلي بالفعل:

. بنضف البيت

اقترب فارس يبتسم لها بحنان وهو يوضح:

. شايف، بس ليه؟

ما فيه واحدة بتيجي تنضف كل أسبوع

عضت لمى على شفتها السفلى كمذنبة وهي لا تدري كيفية التفسير وبصوت خجِل:

. حبيت أغير شوية في أماكن العفش

ربت على كتفها بإشفاق:

. كنتِ استنيها واطلبي منها اللي عايزاه أو قوليلي أساعدك

رفعت لمى نظراتها لوالدها:

. مش عايزة أتعب حضرتك

ثم أتبعت بحماس:

. حضرتك تحب تتغدى إيه

التفت فارس يتجه حيث دورة المياه وهو يقول:

. شوفي نفسِك في إيه ونطلبه

رفعت صوتها سريعًا:

. لأ أنا اللي هعمل الأكل

التفت فارس يعود لابنته باستغراب:

. ليه؟

اقتربت بدلال من والدها، هي لا تجيد إعداد الطعام لكن قنوات الطهي ستعينها حتى تتقنه:

. عايزة أتعلم

نظراتها وتغيرها أربكاه، صغيرته لم تكن لتهتم بمثل تلك الأمور وهي تكمل توضيحها:

. ومش عايزة حضرتك يكون ناقصك حاجة في وجودي

احتوى فارس كتفي ابنته بحب وهو يؤكد لها:

. كفاية وجودك معايا يا حبيبتي

ابتهجت الصغيرة وفضحت نفسها بسعادة:

. يعني حضرتك مش بتفكر تتجوز؟

بُهت فارس لتفكير صغيرته وبرق بذهنه لقطات لم يتمكن من تفسيرها وقتها؛ نظراتها الجامد لنسمة، تحفظها مع نادين بعد أول لقاءات ودودة، صغيرته التي ما عادت صغيرة وصلها ما يحمله لنسمة من حب ولم يبُح به، تردد بإجابة سؤالها إن أجاب بنعم خدعها وإن أجاب بلا زاد من خوفها، اقترب فارس منها

يسحب رأسها لصدره ويحتوي خوفها الطبيعي بين ذراعيه، يربت على ظهرها بحنان وصوته الصادق بكل كلمة يطمئنها ألا أحد قادر على هز عرشها داخل قلبه:

. مفيش حد في الدنيا أغلى عندي منك يا لمى

ورغم أنها لم تنل الإجابة التي بحثت عنها إلا أنها استسلمت لأمان حضن والدها الذي عادت له

***

عادت بعد لقائها المرهِق مع حسام؛ هل كُتب عليها أن تستهلك نصف طاقتها في صد الراغبين بها؛ تُرى هل كانت أمها مُحقة ووجب

عليها حصار نفسها بأسلاك شائكة بغية العيش بسلام مع طفليها بمنأى عن مخالب الطامعين تارة والراغبين تارة أخرى، تجاذبت أطراف حديث ودي مع والدتها وإن كان فحواه روتينيًا فجبال الجليد التي شُيدت بينهما على مدار سنوات تحتاج لكثير من الدفء المفقود لإزالتها، ثم قضت بعض الوقت مع طفليها تعوض ما فاتها خلال يومهما وعقب أن اطمأنت إلى خلودهما للنوم دلفت غرفتها حيث خلوتها اليومية معه، تذكرت رقم العميل الذي سألها عليه محمود لليوم الثاني على التوالي

وهي غفلت عن البحث بالأمس؛ فتحت خزانة ملابسة فغمرها عبقه المُحبب، تركت الملابس التي تحرص على تنظيفها وتعطيرها كلما اعتلاها التراب وامتدت يدها حيث رف الخزانة العلوية تُنزل صندوقًا جلديًا كان يخصه ويضع به ما يهم من أوراق، حملت الصندوق وجلست على طرف الفراش تفتحه وتبحر بمحتواه، قابلها صور فوتوغرافية كثيرة تجمعهما سويًا، التقطت الأولى؛ كانا يجلسان متجاورين بصالون بيت أهلها يحمل كل منهمًا كأس الشربات الخاص به غافلين عن مُلتقط الصورة

ونظراتهما المتبادلة تحكي كثيرًا مما بينهما دون كلمات، صورة أخرى كان هو يجلس وهي تقف خلفه تحتضن كتفه بسعادة وكفه يحتضن ذلك الكف بدوره ذقنها تستند لكتفه من الأعلى وخديهما متجاورين بقرب بات مباحًا لأول مرة عقب عقد قرانهما، فرت دمعة وحيدة من عينها وهي تتذكر أنه فاجأها باليوم التالي بالعمل وهو يخفي وجهه خلف باقة ضخمة من الزهور مستغلًا صداقته بزميلها بالعمل الذي هاتفه ليترك المكتب دون علمها حتى يتيح له فرصة مفاجأتها وعندما اعترضت

على اختطافه قبلة سريعة من وجنتها خشية أن تراهما عين متطفلة داعبها كعادته الدائمة معها:

. تحبي أعلق قسيمة الجواز على صدري

امتدت كفها للصورة التالية وكانت لزفافهما

حيث يحتضن خصرها يضمها إليه بشوق

وكفيها مستريحتان على صدره، نظراتها منخفضة

بخجل وفمه قرب وجنتها في شبه قبلة، صور

أخرى تجمعهما بنادين طفلة ثم بنور في

مناسبات عدة زاد معها شوقها له؛ وضعت

صورهما جانبًا منحية معها ذكرياتها قليلًا

لتبحث وسط الأوراق عن وسيلة اتصال

بالعميل المنشود بحثت عدة مرات دون جدوى حتى جذب نظرها شريحة هاتفه التي استعادتها من المشفى عقب الحادث ووضعتها مع أوراقه الأخرى بالصندوق، التقطت الشريحة وهداها تفكيرها لوضعها بالهاتف فمن ،المحتمل أن يكون رقم العميل مسجل بها

فور فتحها لأحد برامج المحادثات ظهرت رسالة من البرنامج تسألها إن كانت ترغب باستعادة المحادثات السابقة؛ ضغطت نعم فظهرت لها جميع محادثاته؛ واحدة بينهما وآخر رسالة منه

قبل الحادث تعبر عن اشتياقه وانتظارها الذي سيدوم ،أبد الدهر

محادثة أخرى تخص العمل طرفها محمود، وثالثة مع عميل آخر ورابعة وخامسة حتى وصلت إلى اسم العميل المنشود وقبيل إغلاقها للبرنامج ،"جذب نظرها محادثة تحت اسم "رقم خاص فتحت المحادثة بتوجس فهالها ما رأت؛

رسائل متتابعة بفاصل زمني يوم أو اثنين جميعها تحمل تحذيرات لزوجها وتلك الأخيرة قبل الحادث بيوم واحد والتي حوت تهديدًا شديد اللهجة، الأمر الذي جعلها تستخلص شيئًا

اعتصر قلبها مرارةً وحسرة فحادث زوجها لم يكن قضاءً وقدر؛

الحادث مُدبر

وهذا يعني أن...

نادر قُتل!

الفصل السابع عشر

معلق أنا على مشانق الصباح

وجبهتي بالموت محنية لأنني لم أحنها حيَّ

أمل دنقل

***

نادر قُتِل...

تلك الحقيقة التي استخلصتها وصعقت كيانها لتمنعها النوم طوال ليلتها التي قضتها تستعيد كل ما مر بها منذ وفاته، قدرها الذي سلمت به لم يكن مصادفة وإنما كان بفعل يد امتدت لتسرق سلامها، تُيتم طفليها الذين لم يختبرا بعد شيئًا من هذه الدنيا وتُطبق سقف عالمها الصغير فوق رؤوسهم فتجبرها عنوة على لعب دور لم يكن يومًا لها، لساعات قضتها بسهد تحاول الوصول لما خلف تلك الرسائل؛ أي ذنب ،اقترفه زوجها ليُسلب حياته وتُسلب أمانها معه فور أن انشق الأفق عن ضوء الشمس كانت

خلف مكتبها قبل أيٍ من الموظفين، حل اللغز يكمن في العمل فما فهمته من الرسائل أن نادر طمِع فيما ليس له أو هكذا يرى مُرسلها، سكرتيرتها أروى كانت أول الحاضرين بعدها كان محمود الذي أبلغته أروى برغبة نسمة برؤيته فور حضوره وهو لم يتأخر كان يطرق باب مكتبها ويجلس أمامها لتتناول الهاتف وتفتح المحادثة المنشودة ليقرأ ما بها وتنفرج :عيناه ذهولًا قبل أن يقطع ذهوله صوت نسمة

. نادر مجابش لك سيرة عن الرسائل دي

أشار برأسه نفيًا وهو لايزال غير قادر على تخيل مقدار الانحدار الذي قد يصل إليه البعض في سبيل المال ونسمة تكمل طرح تساؤلاتها المشروعة:

. إيه الحاجة اللي نادر خدها وشايفينها مش من حقه؟

رفع نظرته الحزينة لها وقد أدرك المقصود من الوهلة الأولى:

. مناقصة مصنع الحديد والصلب

ضيقت نسمة حاجبيها بعدم فهم فأكمل يوضح ما تغفله:

. السوق كله عارف إنها كانت بتاعت المؤسسة العالمية للتجارة

استند بظهره للمقعد يرفع رأسه للأعلى بحثًا عن بعض الأنفاس بعد أن ضاق صدره وهو يكمل:

. حتى الشركات اللي بتدخل ضدهم الكل عارف إنها تبعهم من الباطن؛ مجرد كاموفلاج

امتلأت مقلتي نسمة بالدموع وهي تكمل له:

. ونادر دخل قصادهم

عاد بنظره إليها واختناق صوته يضيف:

. وخدها منهم

نهضت نسمة بعنفوان تختطف الهاتف من أمامه

وتندفع للخارج وصوته يوقفها بخوف فطري:

. على فين؟

التفتت إليه بشراسة لبؤة تعلن انفلات:

شياطينها

. هآخد حقه

تقدم محمود خطوات منها وهو يدرك ما يجيش

بصدرها ويشفق عليها مما تحمله فلا قِبل لها

بمواجهة مثل هؤلاء:

. إنتِ مش قدهم

إصرارها النابع من نيران قلبها المشتعلة ظهر بعينيها وأقرته كلماتها قبل أن تنصرف صافعة الباب خلفها:

. مش هسيب حق ولادي

***

خرجت من شركتها وقد فُتح جرح فقده من، جديد شياطين الانتقام تتراقص أمام عينيها فتحجب عنها الرؤية، التقطت هاتفها تتصل به لأول مرة بعد عودة علاقتهما المنقطعة منذ زمن، فتح الخط على الطرف الآخر وقد تفاجأ

باتصالها غير المتوقع ليباغته صوتها بعد السلام ويزيد من حيرته أكثر:

. عايزة أقابلك دلوقت

لاحظ فارس حدة صوتها فتحولت صدمته إلى القلق وهو يجيب:

. أنا في الشغل؛ قدامي ساعة وأخلص

عاجلته نسمة تُلح في معرفة مكانه ليخبرها مضطرًا بقسم الشرطة الذي يعمل به، وعنها أغلقت الهاتف وهي تنطلق بسيارتها وتقر ما لم تترك له فرصة برفضه:

. مسافة السكة هتلاقيني عندك

انقطع اتصالها به قبل أن يفكر بالاعتراض على قرارها، ظل يطالع هاتفه بصمت متسائلًا عما قد يكون حل بها ودفعها لمهاتفته وهي بتلك الحالة؛ تجاوز أفكاره وخرج من مكتبه ينتظر بالطريق فإن كانت هي بحال لا يسمح لها بالتفكير بمنطقية فحري به أن يفعل بدلًا عنها فلا يليق بمثلها التواجد بين المجرمين، لم تتأخر كثيرًا وإذا بها تصّف سيارتها قبيل المكان بقليل وتترجل باتجاهه لاحظها فارس فاقترب باتجاهها يمنعها الاقتراب أكثر:

. ممكن ترجعي عربيتك؟

طالعته نسمة بإصرار أعلنه صوتها:

. أنا جاية أقدم بلاغ يا حضرة الظابط

قلبه الذي يرفرف في محيطها دون رادع أشفق عليها من متاعب قد تكون تورطت بها وهو يستوضح:

. بلاغ إيه؟

غامت عيناها بالانتقام وهي تخبره بما يقض مضجعها منذ علمته:

. بلاغ في اللي قتل جوزي

رغم ثباتها أمامه إلا أن ارتجاف صوتها فضح ما تعانيه، حادث زوجها الذي وضعه القدر بطريقه لم يجد به شبهة جنائية فما معنى أن زوجها قُتل؛ :ثلين صوته احتوى شتاتها وهو يرجوها

. طيب استنيني في الكافيه على أول الشارع

نظرتها أخبرته بعزمها الاعتراض، دار بنظره ناحية القسم ولم يعجبه أنهما قد أصبحا محط أنظار العساكر وعاد إليها يعيد رجاءه:

. هفهم منك كل حاجة وأعملك اللي تطلبيه

أطاعته بهدوء تعود لسيارتها وهو رافقها حتى اتخذت مقعد القيادة يؤكد:

. أقل من نص ساعة وهتلاقيني عندك

هزت رأسها إيجابًا وقد أرهقها التفكير طويلا، وصلت المقهى المنشود واختارت طاولة نائية، ارتشفت قهوتها ببطء تطالع السيارات المارة عبر زجاج المقهى حتى ظهر فارس عند الباب كما وعدها، توقف قليلًا يحاول استعادة نبضات قلبه المهرولة نحوها وهي غافلة عنه تسبح عيناها للخارج، تلك النسمة في حياة كل من عرفها لا تستحق كل ذاك الحزن الذي يثقل كاهلها

الرقيق، قادته خطواته نحوها فقابلها في جلستها لتنتبه، لحظة صمت مرت بينهما وهي تطالعه بتيه حتى امتدت كفها داخل حقيبتها تخرج الهاتف وتفتحه على المحادثة، طالع كفها الممتدة بالهاتف لوهلة ثم امتدت كفه يطالع ما طلبت قرأ الرسائل وعاد لها بنظره مستفسرًا:

. إيه الرسايل دي؟

شرحت له ما بجعبتها وتزامن تلك الرسائل مع المناقصة وحادث نادر، لا ينكر أنه اقتنع بمنطقية ظنها لكنه كرجل قانون يعلم جيدًا أن

الظن لا يصلح دليلًا، ابتلع لعابه يحاول إيصال الحقيقة لها:

. بس كل اللي قلتيه ده مفيهوش دليل

ضيقت حاجبيها بغضب وانفعال كلماتها كان واضحًا وإن حاولت الحفاظ على صوتها منخفضًا:

. يعني كل ده صدفة؟

يقدر غضبها ولكن واجبه يحتم عليه إيصال الحقيقة لها:

. ما قلتش صدفه بس مش دليل

نظراتها الغاضبة بتساؤل عن مقصده منحته الفرصة ليكمل، طالع الرسائل مرة أخرى وقرأها عليها بصوت مسموع:

. ألعب بعيد يا شاطر، بلاش تآخد حق غيرك خليك في منطقتك وماتطمعش

صمت قليلًا يطالع آخر الرسائل والتي قد تحتمل كونها تهديدًا واضحًا ويقرأها:

. لما السمكة تلعب مع الحوت ماتزعلش لما ياكلها

أنهى القراءة وعاد لنسمة يسألها بوضوح:

. تقدري تقوليلي فين سيرة القتل؟

لم ينتظر إجابتها وأكمل:

. مفيش نيابة هتعيد فتح قضية برسايل مبهمة

ضربت بكفيها على الطاولة فجذبت أنظار الحضور لهما:

. واللي حكيتهولك وتوقيت كل ده؟

تجاهل فارس نظرات المحيطين وحافظ على كونه الطرف الهادئ:

. طيب هوافقك بس إيه اللي يربط بين الرسايل دي والشركة اللي بتقولي عليها

غضبها من العالم بلغ مداه حتى هذا الذي ظنته سيعينها يقف بمواجهتها وكأن من رحل ذاك يجب طي صفحته، لوحت بكفها في الهواء بارتباك وهي تطرح ما جال بخاطرها:

. معرفش، بس أكيد لو دوّرنا ورا الرقم هنوصل لحاجة

وعتابها وهي تكمل وصله جليًا ربما هي ترى هدوءه تخاذلًا:

. هو أنا اللي هقولك يا حضرة الظابط

دفاعه عن نفسه بات واجبًا في هاته اللحظة:

. أنا معاكِ مش ضدك

ثم أتبع بتوضيح:

. لكن واجبي يحتم عليَ إني أفهمك

التقط الهاتف ينزع الشريحة ويدسها بجيبه دون

سؤالها وهو يكمل:

. هعمل اتصالاتي وهبحث ورا اللي بعت

أخفض رأسه قليلًا وهو يقرر:

. بشكل شخصي مش رسمي

أشاحت برأسها جانبًا تطالع الطريق بشرود

وهو يكمل:

. بس مش عايز أخدعك بأمل زائف

عادت بنظرها له مستفهمة فقرر ما يعتقده:

. أنا ممكن دلوقت أراهنك إن الرقم مسروق أو مش مسجل وبعت الرسايل والشريحة اتكسرت

ضيقت حاجبيها بعدم فهم ليخبرها ما منعتها بساطتها فهمه:

. يعني الرقم اللي بعت الرسايل ملوش وجود دلوقت

ناظرته بيأس تخبره من بين أسنانها:

. عايز تفهمني إني هبقى عارفة اللي قتلوا جوزي وواقفة أتفرج

أشفق عليها مما تختبره للمرة الأولى، يعلم قسوة أن تعرف الجاني ولا تملك محاسبته لكن الزمن علمه أن القانون وحده ليس كافيًا في كل حين:

. القانون مبياخدش بالظن

أتبع يقر ما تشعر به:

. حتى لو الظن ده وصل لمرحلة اليقين

نهضت بانفعال واضح تقطع خطواتها للخارج وهي تضيف بحسم:

. لو القانون مجابش حقي يبقى ميحاسبنيش لو خدته بنفسي

انتفض يعتقل ساعدها عندما مرت جوار مقعده وهي بدورها انتفضت تجذب ذراعها وتبتعد خطوة للخلف تناظر كفه بغضب فسحبه معتذرًا وهو يتبع بخوف:

. اللي قلتيه يقول إن دي ناس مش سهلة

اقترب الخطوة التي ابتعدتها يميل برأسه قليلًا للأمام وهو يتبع باهتمام حقيقي:

. اللي قتل مرة يقدر يقتل تاني

عشب عينيها ارسل نظرتها الذبيحة لتشق، صدره تهدج صوتها حزنًا وهي تسأله

. والقصاص؟

رعبه الحقيقي عليها انفلت بنظراته فوصلها واضحًا وأكدتها كلماته:

. أنا خايف عليكِ

أشاحت بنظرها جانبًا وقد بدأت العبرات تتجمع بمقلتيها وأعلنت كلماتها شرودها نحو المستقبل لمجهول:

. وولادي لما يكبروا ويعرفوا إني سبت حق أبوهم لا يستطيع تصور احتمالية إصابتها بمكروه، ولا يعلم مدى تهورها بفعل قد يؤذيها فسنوات افتراقهما الطويلة غيرت الكثير بها وإن احتفظت بنقائها، صوته الذي حاول الحفاظ

على جديته رغم تسرب حنانه الممزوج بقلقه بين كلماته:

. ولادك فقدوا الأب؛ دورك تحافظي لهم على الأم

أغمضت عينيها بألم وقد شعرت بضآلتها وسط عالم اتسع رغمًا عنها، ألمها الذي وصله واضحًا دفعه لمواصلة حديثه:

. أنا هعمل تحرياتي وهحاول

هزت رأسها إيجابًا دون رد ليكمل:

. أرجوكِ متعمليش حاجة من غير ما تقوليلي

نظرتها منحته إشارة الموافقة والتفتت تغادره في محاولة لمدارات دموعها عنه لكن قلبه الذي تعبد في محرابها طويلًا كان قد التقطها ولعن كل مانع يقف بينه وبين احتوائها بين ضلوعه.

***

ساعتان قضتهما بمكتبها عقب أن توارت عن أنظار الجميع، تلملم شتاتها وتبحث عن تفسير لكونها آخر من يعلم ولم تجده، محاولات اتصالها به فشلت فتمسكت بقناعها الحديدي وخرجت تتحاشى النظرات المصوبة نحوها وكأن شيئًا لم يكن، وصلت حتى سيارتها بثبات

أجادت ادعاءه وقادت بآلية حتى بيتها، عقلها ينكر صوت قلبها المُكذِّب لكل ما يحدث؛ صوت قلبها الذي لا زال يتمسك بأمل العثور على سبب منطقي أو حتى المُمَني لها بخداع الجميع وكأنها عرضة لمؤامرة دلفت منزلها ملتزمة الصمت، طبعت قبلة على جبين ضياء المستسلم بين يدي أمها وبدلت ملابسها دون كلمة تُذكر، لاحظت السيدة رقية صمتها فاستفسرت لتتعلل ريم بإرهاق العمل ورغبتها بقسط من الراحة، تركتها والدتها بالغرفة مصطحبة الصغير الذي بات لا يفارقها إلا

بعودة هند للمنزل، استلقت ريم على الفراش تعيد برأسها كل ما عاشته لأشهر ولا زال صوت قلبها يبحث عن أمل، عاودت الاتصال به مجددًا ليتكرر فشل المحاولة، وصلت هند فتبادلت معها تحية هادئة حتى وصلتها رسالة التقطت الهاتف فإذا بها شركة الاتصالات تخبرها أن الهاتف متاح الآن، فتحت سجل المكالمات وهمت بطلبه لتجد رسالة منه على برنامج ،المحادثات، فتحت الرسالة بلهفة لتقرأ كلماته معالم الدهشة التي اعتلت وجهها وغلالة

الدموع التي بدأت تغشي مقلتيها جذبت :نظر هند وهي تتابع قراءة رسالته بكف مرتعش

عزيزتي دكتورة ريم

آسف لسفري بتلك السرعة

حصلتُ على منصب ملحق ببعثة مصر بالأمم المتحدة لم أكن استطيع رفضه وواثق من أنك تتمنين لي الأفضل.

من حديثنا سابقًا أعلم مدى رفضك لفكرة السفر خاصة لمدة طويلة بعد سفر شقيقتك لسنوات لذا كنت واثقًا من أنك سترفضين مرافقتي وربما حاولتي إثنائي عن السفر، حينما

تصلك تلك الرسالة أكون في طريقي إلى جينيف، أعتذر عن إكمال الخطبة لتغير الظرف كما ترين واعلمي أنك لست السبب مطلقًا في قرار كهذا، أنت زوجة يحلم بها الكثيرون وواثق من أنك ستجدين من هو جديرًا بك، ذهب الخطبة هدية بسيطة لا توفّي قدرك، مع خالص تمنياتي لك بالسعادة.

ماهر

أنهت قراءة الرسالة دون قدرة على استيعابها أعادت الاتصال به فواجهتها ذات الرسالة

فالهاتف مغلق مجددًا، انفلتت عبراتها دون رادع وهي تهز الهاتف بكفها المرتعشة تستنطقه بثورة:

ـ ليه؟!

انهيارها الجديد عليها خلع قلب هند على صديقتها فاقتربت منها تستفسر عما بها، مدت ريم كفها إليها بالهاتف فالتقطته هند تقرأ رسالته، أنهت الرسالة لتسبه بصوت وصل أذني ريم التي نهضت تطالع وجهها بالمرآة، تمتد كفها فتنزع حلقته الذهبية من بنصرها وخطّي دموعها تشق طريقها على وجنتيها، اقتربت

هند تحيط كتفيّ ريم بذراعيها وتستند بذقنها إلى :كتفها لتتلاقى نظراتهما بالمرآة

. ميستاهلكيش

همست ريم بصوت اختنق بدموعها:

. ماحبنيش

مرت بنظراتها على صورتها المنعكسة في المرآة تدقق النظر في امتلاء قوامها مع قمحية بشرتها تتساءل بهمس ذبيح:

. هو أنا ماستاهلش أتحب؟

شددت هند من احتضان صديقتها وهي تؤكد بدعم:

. إنتِ تستحقي كل الحب

ابتعدت ريم تلتف لتواجه هند وقد اهتزت كل ثوابتها:

. ماتضحكيش عليا

أغمضت عينيها بألم ثم عادت تفتحهما وقد تحول بياضهما للأحمر تشير لانعكاس صورتها بالمرآة لتؤكد حقيقة تعلمها:

. أنا عارفة من زمان إني مش جميلة

تقدمت هند تواجه صديقتها بلوم:

. إنتِ مجنونة؟

خطَت ريم ناحية النافذة توليها ظهرها وتعقد ساعديها أمام صدرها وتقر بتيه ما كانت تتجنب التفكير به:

. خلينا واقعيين، مفيش واحد بيتجوز واحدة علشان شخصيتها ونجاحها

التفتت برأسها لهند وهي تكمل بسخرية:

. ده كلام بنضحك بيه على نفسنا

رفعت سبابتها مقررة بحسم:

. رقم واحد الشكل وأنا فيه راسبة مع مرتبة الشرف

اقتربت هند من صديقتها تلمس كتفها برفق بعدما عادت تطالع ظلمة السماء تمنحها دعمًا تدين لها بمثله وزيادة:

. مفيش بنت مش جميلة

ثم أتبعت بحنان فطري:

. خصوصًا إنتِ

أغمضت ريم عينيها في محاولة فاشلة لمنع دموعها وهي تجيب:

. محدش شايف كدة

امتدت كف هند الأخرى لتمسك كتفي ريم

بكلا كفيها تهزها بلطف:

. الأعمى اللي ما يشوفش جمالك

دارت ريم حول نفسها بعنف لتواجه هند مرة

أخرى وهي تزعق بقهر:

. لية عمل فيَ كده؟

سحبتها هند لحضنها وقد تمزق قلبها على

صديقتها التي أكملت بين انهيارها:

. أنا حبيته

مسحت هند على شعر ريم بكفها وبالأخرى تربت على ظهرها بدعم تستدعي كافة السباب الذي تعرفه ولا تعرفه فتصبه فوق رأس ذاك النذل الذي أبكى صديقتها في سرها وكلماتها الداعمة تقرر:

. عمل كده علشان ربنا بيحبك

علا نشيج ريم لتواصل هند احتواء شتاتها وعندها دخلت السيدة رقية مستفسرة عما يحدث، رفعت ريم عيناها الباكية لوالدتها الهلعة لتمنعها هند الحديث، قادتها حتى الفراش تجنبها مواجهة أخرى:

. ارتاحي إنتِ دلوقت

أطاعتها ريم دون كلمة وقد استُنزفت قواها وفي غفلة منها التقطت هند هاتفها وأشارت للسيدة رقية بالخروج لتتولى مهمة إعلامها والسيد رفعت بما حدث وتلك هي الحياة تبدل الأدوار فداعم الأمس هو من في أمس الحاجة اليوم للمؤازرة.

***

منذ خروج والدته من المشفى وهو يحرص على زيارتها يوميًا والبقاء معها لأطول فترة ممكنة فبعد الاتصال الذي تلقاه يُعلمه أن أمه

بالمشفى إثر أزمة قلبية انطلق للاطمئنان عليها فما كان منها إلا تقريعه، أمه التي كاد يفقدها بعدما تكررت أزمتها مرة أخرى حين انفعلت توبخه على ما فعل مهددة إياه إن اقترب من نسمة أو أساء إليها مرة أخرى فلن تعتبره ولدها إلى يوم القيامة، رعبه من شهقاتها المفاجئة وتحذير الأطباء له بأن المرة القادمة ربما تكون القاضية فقلب أمه العليل وأمراض شيخوختها لا تحتمل مجازفة جديدة بإثارة غضبها، كل ما حدث أجبره على الانصياع لرغبتها بالابتعاد فرغمًا عنه تظل تلك المرأة

الأغلى بحياته، أحضر طعام الغداء الصحي كما نصح الأطباء وبعض الفاكهة التي تفضلها السيدة درية ودلف يرتبهم بالمبرد وينظم أطباق الطعام على المائدة، بحث عنها فوجدها بغرفتها تنهي صلاتها اقترب ينحني مقبلًا رأسها:

. حرمًا يا ست الكل

نهضت السيدة درية بصعوبة تتكئ على عكازها رغم ما صدر عنه يظل ولدها والوحيد المتبقي لها بعد رحيل شقيقه، أمسك مدحت بساعد والدته يعينها على السير:

. يلا علشان نتغدى مع بعض

أومأت السيدة درية برأسها إيجابًا وسارت جواره حتى المائدة، شرعا بتناول الطعام فعزمت على البوح بما يؤرقها:

. عايزاك توعدني يا مدحت

توقف الآخر عن تناول الطعام يرفع نظره لأمه مستفسرًا:

. بإيه يا حاجة؟

زفرت السيدة درية أنفاسها تجاهد مخاوفها التي باحت بها:

. متأذيش مرات أخوك ولا ولاده حتى بعد ما أموت

وضع مدحت الملعقة بصحنه مرة أخرى:

. بعيد الشر عنك يا حاجة

تنهدت السيدة درية بيأس تمنعه الالتفاف بالكلمات:

. أوعدني يا ابني متتعبش قلبي

:ربت مدحت على كف والدته يطمئنها

. سلامة قلبك

ثم أخفض نظره يقر لها ما تريد:

. أنا قفلت الموضوع ده خلاص

ورفع نظره إليها مرة أخرى مبتسمًا يؤكد:

. وعد

زفرت السيدة درية أنفاسها براحة:

. ربنا يريح قلبك يا ابني

نهض مدحت يقبل رأس أمه يعيد طمأنتها ففي النهاية لها ما تريد وإن كان ضد رغبته:

. إنتِ تؤمري، أنا مليش غيرك

ربتت السيدة درية على كتف ولدها وقد زالت مخاوفها تعيده لمقعده ليواصلا وجبتهما.

***

يوم آخر جافاها فيه النوم وهي تعلم قتلة زوجها وتعجز عن القصاص، بعدما طلب منها ،فارس منحه الفرصة للبحث واقتنعت بمنطقه آثرت الانتظار لكن ما أقساه من وقت، كانت خلف مكتبها في موعدها تبعتها هند التي قصّت عليها ما حدث لثالثتهن وملأ قلبها حزنًا، ما بال الدنيا تضن عليهن بالفرح وهن من ارتضين منها بالفتات، تركتها هند تعود لمكتبها بعدما أصبحت هي السكرتيرة الوحيدة

عقب استقالة :أروى، دلف محمود يمنحها أحد الملفات

. دخلي أوامر التوريد دي على السيستم

هزت هند رأسها إيجابًا دون رد فالصداع يكاد يفتك بها من طول ليلتها جوار صديقتها ومشاركتها البكاء الذي بدى واضحًا على انتفاخ عينيها، التقطت الملف تفتحه وشرعت بترتيب الأوراق ليمنحها آخر ويوضح:

. ودي عروض عايزك تعمليها وتجيبيها أراجعها

همسة موافقة صدرت عنها وهي تأخذ الملف صمتها الحزين جذب انتباهه فبعد اعتيادها

العمل في الفترة الماضية كانت أكثر ارتياحًا رغم الغموض الذي لا يزال محيطًا بها، تُرى هل افتعل طليقها مشكلة ما أم أنها تعاني من أثر الفراق، تجاوز أفكاره حولها ليوجها نحو الأخرى بالداخل وقلقه من الحالة التي كانت عليها عندما تركت العمل بالأمس يتعاظم:

. مدام نسمة فاضية؟

التقطت سماعة الهاتف الداخلي تبلغها برغبة محمود مقابلتها وتنقل له موافقتها ليدلف محمود يتخذ مقعده أمام مكتب نسمة التي

كانت في انتظاره، رفعت نظرها إليه واسم تلك الشركة يسيطر على كيانها:

. إيه العلاقة بين نادر والشركة دي؟

رفع محمود نظره للأعلى يستعيد ما مر على الشركة وعاصره كجزء منها:

. مفيش علاقة تقريبا بس خدنا منهم مناقصات صغيرة قبل كده

عاد بنظره إليها يكمل:

. مكناش بندخل لوحدنا شركات كتير صغيرة كانت بتدخل بس إحنا اللي خدناها

أمعنت نسمة النظر بمحمود تضيق حاجبيها

وتؤكد على ما فهمته:

. يعني دي مش أول مناقصة نكسبها منهم؟

هز محمود رأسه نفيًا يتلاعب بأحد الأقلام بين

أصابعه ويوضح:

. مش أول مرة لكن أكبر واحدة

اعتدل في جلسته يمعن النظر بها:

. اللي فات كان صغير لكن دي كانت بتاعتهم

وهتنقلنا نقلة كبيرة

أخفضت نسمة عينيها بحزن تعقد ساعديها أمام صدرها وقد ضاق صدرها بما علمت:

. علشان كدة قالوله طمعت!

هز محمود رأسه إيجابًا دون رد، طرقات خافتة على الباب دلفت بعدها هند تحمل أحد الملفات تجاهلتها نسمة قليلًا وقد سيطرت عليها أشباح الغضب وهي تسأل محمود

. مين صاحب الشركة دي؟

شهق محمود فملأ صدره بالهواء والغضب يتملكه:

. بيسموه الأمبراطور، ليه علاقات بكل الوزرا ورجال الأعمال

نهض يتجول بالمكتب يطالع الطريق من خلال النافذة ويكمل:

. المؤسسة العالمية دي بتمتلك شركات بتشتغل في كل حاجة تقريبا

التقطت هند طرف الحديث وفشلت في مغالبة فضولها وهي تسأل:

. مالها الشركة دي؟

أجابتها نسمة ببسمة ساخرة وصوت ذُبح قهرًا:

. دول اللي قتلوا نادر

اتسعت حدقتي هند وتجمدت قدماها على أثر صدمتها تهز رأسها للجانبين نفيًا تحاول السيطرة على ارتعاش كفيها ثم تذكرت ما أثار غيظها لتقرعهما بانفعال:

. طيب إزاي بتدخلوا ابن الامبراطور شركتكم

التفت محمود ذهولًا مما تقول ونهضت نسمه عن مكتبها بعنف وقد برقت عيناها تعجبًا لما تقوله صديقتها التي أكملت:

. بتبصولي كده لية؟

نقلت نظراتها بينهما تلقي ما بجعبتها ويغفلان عنه وهي تفصل كلماتها ببطء:

. حسام القناوي يبقى ابن الأمبراطور

مهران سعد القناوي

الفصل الثامن عشر

موج الحياة عاتٍ

يرتفع بأحدهم ثم ما يلبث أن يسحبه حد الغرق،

ويلفَظ آخر على الشاطئ بعدما أنهكته السباحة.

***

مادت الأرض تحت قدميها إثر الصفعة التي تلقتها من صديقتها، قاتل زوجها كان يجلس بمكتبه بأريحية تامة، يحتسي قهوته ويتطلع بها والأدهى يعرض الزواج منها، جن جنونها وهي تعبث بمكتبها وتلقي أرضًا بما لا تحتاجه بحثًا عن بغيتها، ومحمود الذي تجمد قليلًا عندما ذكرت هند تلك الحقيقة ثم تقدم منها خطوات يتأكد مما سمعه:

. إيه اللي إنتِ بتقوليه ده؟

رفعت هند نظراتها له وقد تفاجأت بغفلتهما لتؤكد ما تعلمه:

. حسام طليقي يبقى ابن الامبراطور

أنهت نسمه بعثرة محتويات مكتبها بجنون وأمسكت البطاقة التي تبحث عنها وهي تنهت بانفعال واضح، اقتربت من هند تُقدم لها البطاقة وتستفسر عن فحوى الخديعة التي تعرضت لها:

. إيه حسام الشوباشي دي وشركة الأثاث الحديث؟

امسكت بعضديّ صديقتها بعدما ألقت البطاقة بوجهها لتسقط أسفل قدميها تهزها باتهام:

. قدم نفسه ليَ قدامك وسكتي

تخلصت هند من كفي نسمة ورُغم جرح الاتهام إلا أنها تُقدر ما تعانيه الأخرى، عدّلت من حجابها المبعثر وأخذت تشرح:

. الشوباشي دي عيلة والدته واسم الشهرة بيستخدمه كتير

تطلعت إلى محمود تُكمل دفاعها وتوضع ما تعلمه:

. شركة الأثاث دي ملك لشهيرة الشوباشي والدته واللي بتمتلك 50% من أسهم المؤسسة

عادت لصديقتها مرة أخرى معاتبة:

. مكانتش أول مرة يستخدم الاسم ده علشان استغرب

أخفضت نظرها خجلًا وهي تكمل بصوت أقرب للهمس:

. صحيح استغربت إنه جه يعزيكِ لكن ما كنتش أقدر أتكلم

رفعت نظرها المعتذر تلك المرة واختنق صوتها بما تعلمه عن والد طفلها للمرة الأولى:

. أنا مكنتش أعرف إن له علاقة بموت نادر ولا عمره كلمني عن شغله

محمود المراقب للصديقتين وصله صدقها جليًا وإن كانت كلماتها خلّفت تساؤلات عدة عما جمعها بشخص كهذا في علاقة زواج دامت لسنوات كما علم، ونسمة التي عادت تبحث بين الفوضى التي خلّفتها حتى التقطت الملف المنشود عن الأرض تندفع خارج المكتب دون كلمة أثارت قلقهما معًا فاندفعت هند تمسك بذراعها تمنعها الخروج:

. رايحة فين؟

طالعتها نسمة ونظراتها تبوح بجنون أفكارها، صدرها يعلو ويهبط في لهاث فقدت السيطرة

عليه، جذبت ذراعها من كف هند دون رد والتفتت مغادرة فتلك المرة لن تبوح بوجهتها لأحد.

**

استقلت سيارتها قاصدة وكر الأفعى، لم يكن صعبًا معرفة مكانه فيكفي كتابة اسم شركته على محرك البحث لتقودها الخرائط حتى مقر المجموعة بالقاهرة الجديدة، طوال الطريق وهي تستعيد لقاءاتهما وتسلله إلى حياتها، طرقهما التي تقاطعت بأعجوبة لم تكن مصادفة وإنما بترتيب منه لا ريب، صفّت سيارتها بجانب الطريق

تتطلع إلى واجهة المبنى الفخم المكسوة بمرايا تعكس أشعة شمس الظهيرة، ترجلت تدلف من البوابة الرئيسية وكفها تقبض على الملف حد تمزيق أحرفه، أوقفها موظف الأمن يسأل عن وجهتها فنطقت من بين ضروسها:

. جاية أقابل حسام بيه القناوي

رفع الموظف الهاتف الداخلي يُبلغ السكرتارية وعاد يسأل عن اسمها وإن كان هناك موعد سابق لتهز رأسها نفيًا تطحن ضروسها في محاولة للحفاظ على هدوء صوتها وهي تخبره بحسم:

. بلّغه إن مدام نسمة عايزة تقابله

وكما توقعت كان لها ما أرادت، رافقها أحد موظفي الأمن حتى باب مكتبه وكان الآخر بانتظارها، لم يندهش من الزيارة فمنذ رأى طليقته بشركتها وعلم أن انكشاف هويته مسألة وقت ولم يبالِ،

تخطت باب المكتب وحسام يرحب بالزيارة ويدعوها للجلوس، دلفت حتى منتصف الغرفة الفاخرة وكفها لا زال يقبض على الملف الذي تجعد، براكين غضبها التي تأججت عند رؤيته حجبت عنها نظرته السعيدة بلقائها، اقتربت خطوة تصب حمم غضبها التي تحرق روحها:

. ليه؟

تأخر استيعابه لمقصدها فمنحها الفرصة لتُكمل بغل أكبر وحياتها التي تحولت إلى رماد منذ رحيله تمر أمام عينيها كشريط سينمائي كل لقطة فيه تنهش قلبها بلا رحمة، ارتفع صوتها المختنق ببكاء تكبحه فلن تسمح لمثله بالاطلاع على ضعفها:

. قتلته ليه؟

وإن كان لم يندهش بانكشاف هويته أمامها إلا أن فهمه لمقصدها الآن صدمه، كان قد طوى تلك الصفحة طي الكتمان وبعد تلك المدة لم

يتوقع أن تصل لذلك الاستنتاج وإن كان يقينه يخبره ألا دليل تمتلكه، ابتلع لعابه يدعي عدم الفهم:

. قتلت مين؟

وكأن كلمته كانت إشارة إطلاق زناد ثورتها التي صبتها فوق رأسه تواجهه بكل ما علمت ورسائل التهديد التي تلقاها زوجها وهو هتف بدفاع صادق وإن تلاعب بالكلمات:

. معرفش حاجة عن الرسايل دي

ود البوح وطلب الغفران الذي يعلم أنها لن تمنحه إياه لكن التشبث ببراءته هو سبيله

الوحيد علّها تؤمن بها، وعنها فلم تتوقع منه اعتراف، رفعت كفها القابض على الملف تلقنه غضبها من نفسها التي سمحت باقترابه:

.كذاب؛ كل اللي فات مكانش صدفة

تلعن سذاجتها التي حذرها منها نادر ودفعتها للثقة بقاتله، ألقت بالملف في الهواء ليرتطم بوجهه وتتناثر أوراقه أرضًا:

.كان غرضك إيه من كل ده؟

قطع المسافة الفاصلة بينهما يدهس الأوراق وندمه الذي قربه في الأولى يشق صدره ويسمح

بتلك النبضات التي دفعته لقربها ثانية بالفرار

علّ صوته الذي تهدج صدقًا يصلها:

. مكانش ليَ غرض غير إني أساعدك

تعترف أنها توقعت رؤية وجه آخر له لكنه يربك حساباتها، أكمل البوح الذي يختبره للمرة الأولى فهي فرصته الأخيرة التي تنفلت من بين يديه رغمًا عنه:

. لما طلبت اتجوزك كان علشانك؛ علشان ما لقيتش زيك

وهي لن تحتمل منه المزيد، صرخت بوجهه تلّوح بذراعيها في الهواء:

. قتلته وجاي تتجوز مراته؟

وهو بدوره زعق مدافعًا بصدق لم يصلها:

. ما قتلتوش

نظراتها الساخرة باشتعال أبلغته ردها دون حاجة لمزيد من الكلمات، رفعت سبابتها محذرة وقد أكتفت من الحديث:

. مش عايزة أشوف وشك تاني ولو حتى صدفة

وهو شاهد انصرافها بعاصفة مشيعًا حلمه الوحيد الذي تمناه معها، ألقى بجسده على المقعد وقد أدرك خسارته للمرأة الوحيدة التي منحته سلامه بقربها دون جريمة اقترفها، هل

يجوز أن يركع أسفل قدميها طلبًا للسماح على كذبته الوحيدة عليها حين أنكر علمه بالرسائل بينما هو علِم ولكن بعد فوات الأوان، حل رابطة عنقه وقد غُص حلقه بمرارة الظلم الذي ذاقه على يديها؛ تتهمه بقتل زوجها وهو الذي علم بالحادث كغيره، هل يجدي إن منحها الراحة باعترافه على ذراع والده الأيمن الذي حاول تهديد زوجها ولم يكن بحسبانه أن السيارة النقل ستكون محملة بالحجارة؛ تُرى هل ستمنحه الغفران إن اعترف أنه اقترب من البداية رغبة في التكفير عن تستره عليه مضطرًا، لقد سأل نفسه

مرارًا ما الذي دفعه لحضور العزاء ولم يصل إلا لنتيجة واحدة ربما هي رغبته في جلد ذاته برؤية ما خلّفته جريمتهم بعد أن خرج غاضبًا إثر حوار مع والده حينما واجهه:

. وأحنا من أمتى بنقتل؟

والآخر يُشعل سيجاره الكوبي ببرود اعتاده فيه وهو يروي له ما حدث وكأنه خبر عابر:

. جاسم مكانش يقصد؛ دي غلطة سواق

اشتعل غضب حسام والآخر أضاف وكأنه يطمئنه:

. بس مفيش أي دليل ضدنا دي حادثة زي اللي بيحصلوا كل يوم

وقع كلمات والده اللامبالية لموت رب أسرة دفعه لرؤيتها؛ تلك التي لا يعلم ما فعلته به منذ وقعت عليها عيناه للمرة الأولى، حتى حين دفع رشوة لمهندس الكاميرات ليقوم بتبديل الفاتورة كانت مجرد ذريعة قرب ولم يكن ليسمح بأن يصيبها ضرر، نهض يحل أزرار قميصه ويفتح النافذة بحثًا عن بعض أنفاس ضاق بها صدره، استند بكفيه للسور يتطلع إلى الطريق لتنفرج عيناه عن صورتها تبكي بأحضان آخر لا يعرفه

وقد أيقن فقدانها بلا عودة وكل ما اقترفه انتماؤه لعائلة كانت لعنة حياته وستظل.

**

تركت حسام وفرت من المبني الذي تفوح منه رائحة دمائه التي جففتها عن وجهه يومًا، خطواتها تهرول في الرواق حتى المصعد الذي تأخر فلم تحتمل انتظار لتنزل الدرج بقفزات غير منتظمة فكل خطوة تخطوها فوق أرضهم تعبرها فوق جثته، وصلت حتى بوابة المبنى فاندفعت للخارج لتُغشي عينيها شمس الصيف فتغمضهما للحظة ثم تفتحهما على صورة

شقيقها الذي وصل لتوه فزِعًا برفقة محمود، نزل رائد من سيارته مندفعًا نحوها تبعه محمود وهي حين رأته انفجرت صرخاتها التي كبحتها طويلًا:

. قتلوه.. قتلوه

اقترب رائد منها يمسك بكفيها في محاولة لتهدئتها لكن ثورة دموعها التي منعتها طويلًا اعلنت انفلاتها دون رادع، سحب رائد رأسها لصدره يحتوي انهيارها الذي بات خارج السيطرة وهي انفلتت كلماتها من بين نشيجها دون ترتيب:

. حطيت إيدي في إيده ودخلته شركته

شدد رائد من ذراعيه حولها وتبادل نظراته المتألمة مع محمود الذي قص عليه ما توصلا إليه وهي انطلقت كلماتها كرصاصات تصيب قلبها أولًا قبل شقيقها:

. دمه راح خلاص

اقترب محمود من رائد العاجز عن تخفيف ألم شقيقته يربت على كتفه بدعم:

. خدها وروحوا دلوقت

أومأ رائد برأسه إيجابًا وقاد نسمة حتى سيارته، جذب حقيبتها فأخرج مفتاح سيارتها يمنحه لمحمود:

. خد عربيتها إنتَ

ألقى بنظرة لشقيقته في السيارة وقد ألقت برأسها لظهر المقعد تتطلع إلى السماء بأعين مُلئت قهرًا وعاد للآخر يؤكد:

. مش عايزها تيجي تاني هنا

التقط محمود المفتاح وأومأ برأسه متفهمًا وهو يدلي بنصيحته:

. والأحسن ما تخليهاش تيجي الشغل بكرة

تصافحا مفترقين ليجاورها رائد ينطلق بسيارته مبتعدًا وهي همست بصوت ذبيح:

. وديني عنده

التفت رائد برأسه يلمحها ويعود لينتبه إلى الطريق ولم يفهم مقصدها لتُكرر طلبها:

. وديني عند نادر

همّ بالرفض لتتعلق بكفه تتوسله بضعف تمكن منها:

. محتاجة أتكلم معاه

وهو وإن كان يرفض ما تُحملّه لنفسها من ذنب إلا أنه لم يجد سوى الاستجابة علّها تجد راحتها، قادها حتى المقابر حيث ووري جثمان زوجها قبل ما يقرب من العام، دلفت على استحياء

بخطوات وجلة تمر بين الشواهد حتى وصلت للقبر المنشود، أطرقت برأسها في خجل تقرأ الفاتحة على روحه ومن ثم زاد انهمار دموعها التي لم تتوقف تحفر أخدودين من وجع على وجنتيها، سقطت على ركبتيها تجلس على الأرض الرملية أمام قبره تضم كفيها فوق ساقيها ولم تجروء على رفع نظرها كمذنبة تهمس باعتذار لن يشفع لها:

. أنا آسفة

ضغطت جفنيها بألم وهي تكمل طلب عفوه الذي لم يضن به عليها يومًا:

. سامحني ما سمعتش كلامك

أشفق عليها شقيقها الذي وقف خلفها متمسكًا بصمته احترامًا للحظتها تلك فاقترب يمسك كتفيها بحنو ويدفعها للنهوض وقد تمزقت نياط قلبه على ما تعانيه، استقامت قليلًا على ركبتيها تمد كفها فتمرر أصابعها على حروف اسمه المحفورة على شاهد القبر وتهمس بشوق:

. إنت وحشتني قوي

علَت نهنهاتها وقد فقدت لجامها تماما وشقيقها يضع ذراعيه أسفل ذراعيها فيرفعها عن الأرض عنوة وهي استسلمت لذراعيه بجسد تخدر حزنًا

لتسقط بضع دمعاتها تروي العشب أمام قبره علّها بذلك تُكفر عن ذنب لم تقترفه، قادها رائد حتى السيارة وهو يدعم جسدها المرتخي بضعف لم يرى مثله سوى حين علمت خبر وفاته بالمشفى لا يدري ما الذنب الذي اقترفته شقيقته حتى يُفتح جرحها من جديد كلما أوشك على الالتئام.

**

عسير أن تخطئ التقدير وأنت بآخر العمر والأقسى أن يوقِع ذلك الخطأ الأذى بأقرب الناس لقلبك، ابنته التي توجست في البداية من

خطبة مباغتة وهو أقنعها رغبة في الاطمئنان عليها قبل الرحيل، أخطأ التقدير فحسِب خاطبها رجلًا يستحق أن يقتني جوهرته التي اعتنى بها لسنوات فخذله الآخر وشق طريقه ليتركها خلفه فتات، ليومين لم تذهب إلى عملها وحمد الله أن امتحانات نهاية العام قد انتهت وحلّت الإجازة الصيفية ليكون غيابها طبيعيًا، وهي اعتكفت بغرفتها معتنقة الصمت لولا ذلك الصغير الذي يختطف قلبها رغمًا عنها بمداعبته، كان السيد رفعت قد عاد للتو من مهمة باتت واجبة منذ قرأ رسالة ذلك الوغد،

حمل ذهب الخطبة وطرق باب منزله لتقابله والدة الآخر باندهاش، مد كفه بحقيبة الذهب دون أن يدلف للمنزل وعنها نقلت نظرها بينه وبين كفه بتساؤل أجابه بحسم:

. الشبكة بتاعتكم

ترددت السيدة مشيرة قليلًا ونطقت بتعالِ أصيل فيها:

. بس ده عُرف

هز السيد رفعت رأسه نفيًا وهو يؤكد ببسمة ساخرة:

. دي حقكم أنا آسف نسبكم ميشرفنيش

بُهتت السيدة مشيرة لتوبيخه واتخذت وضع المدافع بأرستقراطية جوفاء:

. إيه اللي بتقوله ده ماهر ابني حب يسيبها هدية لريم

ألقى السيد رفعت بالحقيبة أسفل قدميها وهو يكمل باستهزاء:

. بنتي ما بتقبلش هدايا من أشباه رجال

انفرج جفناها غضبًا وقد همّت بطرده تسأل بإنكار:

. إنت جاي تهزقني في بيتي!

وهو قد أدى مهمته التي أتى من أجلها رمقها بنظرات مزدرية يلوم نفسه بصوت مرتفع:

. غلطتي، فتحت بيتي للي ما يسواش

وتركها عائدًا لتلك الصامتة بهروب، طرق باب غرفتها ولم ينتظر الإذن بالدخول، دلف فوجدها تحمل ضياء الذي يمنحها ابتساماته البريئة التي تغرس بذور الأمل بقلبها الجريح، جلس جوارها ومسح على رأس الصغير وبذراعه الأخرى احتوى كتفيها:

. هتفضلي حابسة نفسك كده؟

هزت رأسها بنفي تدّعي الإنكار فتدفن وجعها:

. أنا مش حابسة نفسي

منحها السيد رفعت بسمته الحنون وهو يتَتَبع فِرار عيناها، رفع كفه يربت على وجنتها بعطف ويعيد نظراتها إليه:

. بنتي قوية ومفيش حاجة تهزها

أخفضت عينيها تجاه ضياء وقد بدأت غلالة الدموع تتكون وهو أتبع:

. مفيش حد يستاهل قلبك يحزن علشانه

رفعت نظرها مرة أخرى تهز رأسها نفيًا:

. أنا حزينة علشاني

أكملت بوحها وقد منحها الفرصة كاملة:

. حزينة علشان اتخدعت

رفعت سبابتها تضرب صدرها بغيظ:

. سمحتله يستغلني

قبض السيد رفعت على كفها بدعم يؤكد:

. إنتِ بنت أصول

نقل نظره للصغير المستكين على ذراعها وعاد إليها:

. وصعب على ولاد الأصول يكتشفوا قليل الأصل

عادت بنظرها تستقي السلام من ملامح الصغير البريئة حين دلفت هند للغرفة عقب عودتها من عملها وحين لاحظت وجود السيد رفعت تنحنحت معتذرة:

. آسفة معرفش إن حضرتك هنا

نهض السيد رفعت يمنحها أحد ابتساماته العطوف ويخرج وهو يرفع عنها الحرج:

. أنا خلصت شوفي إنتِ صاحبتك بقى

أومأت برأسها متفهمة وتقدمت تحمل ضياءها تضمه إلى صدرها بشوق، جلست على الفراش المواجه لفراش ريم والذي أصبح يخصها، تمنح

ضياء زجاجة الإرضاع التي أعدتها السيدة رقية سابقًا وعمدت إلى فتح حوار بعيد عما يحزن صديقتها فيكفيها انغماسًا في الوجع واستدعت بعض المرح:

. ركزي معايا كدة علشان عندي موضوع عايزة أكلمك فيه

استطاعت جذب انتباه ريم التي سألت بتوجس:

. في حاجة حصلت في شغلك؟

هزت هند رأسها نفيًا:

. الشغل هبقى أحكيلك بعدين دلوقت في موضوع تاني

أثارت فضولها خاصة وتلك السعادة البادية على محياها فدفعتها بإشارة للحديث لتكمل هند:

. عم بيومي البواب لقى ليَ مكان

ضيقت ريم حاجبيها بغضب ونطقت موبخة:

. وهتسيبيني؟

هزت هند رأسها نفيًا ببسمة سعيدة:

. مقدرش اسيبكم وده اللي مفرحني

علامات الاندهاش التي بدت واضحة على وجه ريم دفعت هند لتوضيح:

. همَ كام سلمة

وأشارت بأصبعها للسقف بمرح:

. أوضة فوق سطح البيت ده

نهضت ريم فجأة ترفض ما تقوله صديقتها

بتعجب:

. أوضة فوق السطح يا هند

وضعت هند صغيرها على الفراش بعد أن أنهى

وجبته ونهضت تواجه ريم بمنطق:

. على قدي في المساحة والفلوس

خطَت تتجول بالغرفة وتُتبع:

. أنا مش محتاجة أكتر من مكان يتقفل عليَ أنا وضياء

عادت بنظرها لصديقتها وأكملت:

. ومش هقدر أدفع مبلغ كبير في الشهر

اقتربت ريم منها وقد أشفقت عليها رغم اقتناعها بمنطقها تحاول إثنائها عن عزمها والأخرى منعتها الحديث، أمسكت هند بكفي صديقتها تؤكد على رغبتها:

. مش هينفع أعيش طول عمري ضيفة

وابتسمت بسعادة فتلك الغرفة جمعت كل ما تحتاجه من ميزات عددتها لصديقتها مؤكدة على أهمها:

. أهم حاجة إن أنا وضياء مش هنبعد عنكم

أفلتت ريم كفها من كف هند وعادت تربت عليه بدعم ثم تذكرت أن الأخرى لديها المزيد:

. وإيه بقى اللي حصل في الشغل

جذبتها هند لتجلسا على الفراش وتقص عليها ما عرفته وتعانيه ثالثتهما وريم انغمست بألم صديقتها متشاغلة عما يجيش بصدرها.

**

في الصباح كانت هند خلف مكتبها كالمعتاد في غياب نسمة التي استجابت لراحة واجبة فرضها عليها شقيقها، وجدت محمود الذي حضر مبكرًا عن موعده بمكتبه وما إن حضرت حتى دلف يجلس على الكرسي أمام مكتبها:

. ممكن أتكلم معاكِ شوية

رغم اندهاشها أومأت برأسها إيجابًا وهو أكمل:

. ممكن تقولي ليَ كل اللي تعرفيه عن حسام وعيلته

أخفضت نظرها بتفهم تدلي بما لديها من معلومات شحيحة:

.كل اللي أعرفه إنهم شغالين في كل حاجة

وعلاقاتهم كبيرة بالوزراء ورجال الأعمال

ومحمود لم يتوقع أن تكون هي على علم بأسرار

عملهم فمثلهم يُعتبر كصندوق أسود مُغلق

فأوضح مقصده:

. أنا عارف ده عايزك تكلميني عن الشخص

شردت هند بنظرها تعود لما كانت تعانيه وتبوح

بشعورها:

.كنت بحس إنه غير سوي

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيها وهي

تكمل:

. الحقيقة إن العيلة كلها غير سوية

ضيق محمود حاجبيه بعدم فهم ومسح على لحيته بكفه فرفعت هند نظرها لا إراديًا تلحظ اختلاط الأبيض بالأسود بلحيته ثم أخفضته خجلًا مرة أخرى قبل أن يستوضح محمود:

. يعني إيه غير أسوياء

عدلت هند من حجابها بتوتر وهي تشرح:

. يعني حسام كنت بحس إنه أكتر من شخص مش شخص واحد

أخفضت كفها تعبث بأحد الأوراق أمامها وتكمل:

. والعيلة بيكرهوا بعض

جعدت الورقة بيدها تحاول استرجاع كل ما مر بها خلال سنوات زواجها وأتبعت:

. بس عمري ما اتخيلت إن حسام يقدر يقتل

أمعن محمود النظر بها ليلحظ توترها الواضح، ثبّت نظره على الورقة التي جعدتها بكفها، تُرى هل تنفي عنه التهمة ولاءً لسنوات زواج لا زالت تحن إليها أم أن براءتها التي ترتسم جلية على ملامحها الرقيقة تمنع خيالها من الجموح نحو الأسوأ.

**

بنصف الكرة الشمالي وبصيف أقرب لشتاء دافئ بنصفها الجنوبي ظهرت به الشمس على استحياء، كانت تستمتع بفنجان من قهوة نسبرسو مع شطائر من جبن الامينتال، أنهت وجبتها التي تعمد إلى جعلها آخر ما تأكله حفاظًا على رشاقتها، رفعت كفها فأعادت خصلة نافرة من خصلاتها الشقراء خلف ظهرها وعدّلت من تنورتها السوداء التي تلامس أعلى ركبتيها بالكاد، تركت المطعم تدق الأرض بكعب حذائها وخرجت لتلتقط مفتاح سيارتها الرياضية الحمراء من عامل الجراج الذي

أحضرها أمام بوابة المطعم خصيصًا لها، خطَت أولى خطواتها نحو الطريق لتتخذ مقعد السائق فإذا بذراع قوية تلتقط خصرها فتعيدها خطوة للخلف:

.Wees voorzichtig

"احترسي"

شهقت تشاهد الدراجة النارية التي مرت على بُعد سنتيمترات من وجهها ولولا تلك الذراع لكانت صريعتها الآن وهمست ذهولًا بلكنة مصرية غلب عليها الطابع الأوربي:

.كانوا خمسة سنتي

أتاها الصوت من خلفها مندهشا:

. مصرية؟

التفتت تواجه منقذها ليأسرها لون عينيه المحير،

وهو تراجع خطوة للخلف يمد كفه بمصافحة:

. ماهر

ابتسمت بحرارة ومدت كفها تصافحه برقة معلنة

عن اسمها:

. سيليا

الفصل التاسع عشر

كعابري سبيل بدروب الحياة نمضي

نضل الطريق تارة وأخرى نهتدي

ننحت دربنا وبنور الرجاء نقتدي.

**

صباح جديد أشرقت فيه الشمس على الدنيا وما أضاءت ظلمة قلبها، أطاعت شقيقها مضطرة فلم تذهب إلى عملها وآثرت الهدنة علّها تستطيع لملمة روحها التي تبعثرت آلاف المرات، بعد الظهيرة كانت بالنادي بصحبة طفليها الذين انتظما بتدريباتهما وبعد دقائق انضمت صديقتيها لها فتحْت إلحاح من والدها استجابت ريم للخروج من عزلتها، اصطحبت هند وطفلها ليلتقي ثلاثتهن بالنادي الذي كان يجمعهن قديمًا ولكن شتان بين قلوب المراهقات الغرة وتلك التي يحملنها بين جنباتهن وتنوء

بأحمالها؛ فإحداهن فقدت نصف روحها بلا عودة وأخرى لازالت تضع قدمها بأول طريق لا تعلم ما يحمله لها وثالثة اهتز عالمها وفقدت الثقة بالجميع بعدما كانت الصلبة التي لا تهاب شيئًا بتلك الدنيا.

بخطوات متمهلة اقترب من الطاولة التي تجمعها بصديقتيها فبعدما قصَّ عليه رائد ما حدث ونقل إليه قلقه من أن يصيبها مكروه بسبب تهورها لم يستطع إلا أن يلقاها، ألقى السلام محيًّا صديقتيها بإيماءة رأس ثم وجه لها كلماته:

. ممكن نتكلم شوية؟

أومأت برأسها إيجابًا ونهضت متوقعة فحوى الحديث الذي سيدور بينهما، قادها خلال الممرات الممهدة بين العشب، وهي سارت جواره بخطوات ثابتة وذهن شارد وهو لم يتأخر في بدء الحديث وإن حمل لومه:

. مش وعدتيني مش هتتصرفي لوحدك

صمت تلبسها تُربّع ذراعيها أمام صدرها وقد تساوت لديها كل النتائج، أتبع فارس بقلق حقيقي:

. إنتِ مش خايفة على نفسك؟

من بين شرودها همست وكأنها تُحدث نفسها:

. هيحصل لي إية أكتر من اللي حصل؟

توقف فارس يلفت ليقف أمامها وهي بدورها توقفت تواجهه، لم يستطع كبح انفعاله وهو يزيح عن عينيها غشاوة البراءة ويواجهها بقسوة العالم:

. لو مش خايفة على نفسك خافي على ولادك

رعب حقيقي تسلل إليها وظهر جليًا بعينيها ونبرة صوتها:

. هُمَ ممكن يأذوا ولادي؟

رغم إشفاقه عليها إلا أن واجبه نحوها المدفوع بخوفه يُحتم عليه حمايتها حتى من نفسها فأكمل:

. اللي عرفته عن الناس دول يقول إن معندهمش مانع يعملوا أي حاجة في سبيل مصلحتهم

شردت في الفراغ وعادت للسير دون وجهة وهو جاورها يكمل ما علمه:

. شركات كتير كانت بتنافسهم لكن فجأة تاخد ضربة في السوق متقدرش تقوم منها، منهم اللي أشهر إفلاسه،

التفت يوليها نظرة اهتمام حقيقي ويكمل:

. ومنهم اللي كان الامبراطور بيدخل يشتريها مقابل سداد ديونها ويضمها لامبراطوريته

هزت رأسها بحيرة فما يقوله وعاشته بالفعل متناقضان وهي عاجزة عن فهم ذلك التناقض الذي أكده هو:

. متستبعديش إن شركتك هدف ليهم

ارتباكها بلغ مداه وهي تتذكر الفرصة التي واتتهم لإفلاس شركتها بالفعل وعبرت عن حيرتها بتيه:

. أنا مش فاهمة حاجة

توقفت وقد وصلت حيث مضمار الخيل فاستندت بساعديها للسور ونظراتها تخبره بحيرتها قبل كلماتها:

. الفرصة كانت قدامهم ليه ساعدني؟

وقف يستند بذراعه الأيسر للسور ويوليها وجهه وهو يخبرها بما استطاع استنتاجه من معلوماته التي استقاها من تحرياته ومن شقيقها:

. يمكن بيبعدوا شبهة القتل عنهم

كلمات الآخر الصادقة والتي كذبتها عادت تتردد بعقلها فتزيد اضطرابها، شردت بفرس يضرب الأرض بحوافره ويثير الغبار فيبعثر أفكارها كما ذراته مجددًا ودون قصد همست غافلة عمن جوارها:

. ده كان عايز يتجوزني

الكلمة التي نزلت على قلبه كمطرقة تسحقه تحتها ثم ترتفع فيندفع بقوة عشق حجّمها لسنوات، غيرته التي تُشعل كيانه أطلقت لجام نظراته المحترقة بقربها البعيد وغضبه الذي خرج رغمًا عنه بكلمته اللائمة:

. وإنتِ؟

انتبهت لنبرته فالتفتت تمعن النظر بزيتون عينيه ليصلها عشقه، غضبه، غيرته، ولومه مكتملين، وهي دون أن يرف لها جفن عرّت الحقيقة كاملة أمامه دون تزيين:

. أنا مش هتجوز

بحسم وقوة نطقتها والتفتت تغادره بخطوات ثابتة وقد اكتفت من الجميع فبعد كل ما مر من سنوات يأتي كأن شيئًا لم يكن وكأن ما ووئد قبل أن يولد يمنحه حقًا ليس له وهو منحها فرصتها في الفرار يحاصرها بنظراته وقلبه الذي عاش راهبًا بمحرابها لسنوات يعلن تمرده فقد اكتفى من تبتله بعشقها في صمت معلنًا أوان الجهر به.

**

عن بعد كانت ترقب المشهد؛ والدها يحيط الأخرى بنظراته الحنون، تابعت سيرهم كعاشقين بين الخضرة وحديث لا يصلها كلماته لكن نظرات والدها المهتمة بعشق تلسعها كسوط يضرب ظهرها فيهتز كيانها لها، والأخرى التي تبادله حديثًا ونظراتًا تراها حقًا أصيلًا يخصها فتأتي تلك لتسلبها إياه وتزلزل عالمها بعد استقراره، بخطوات نزقة تقدمت نحو والدها الذي أولاها ظهره يتابع حركة الخيل بعدما غابت الأخرى عن المشهد، جاورته في صمت

فشعر فارس بوجودها والتفت يحيط كتفيها بذراعه في حنان أبوي:

. خلصتِ تمرين؟

أومأت لمى برأسها إيجابًا دون رد وهو احتوى كفها و قادها خلال الممرات، كان في طريقه إلى مطعم النادي غافلًا عن قلب المتمردة جواره، التفت يسأل:

. تحبي تتغدي إيه؟

وعنها فلا يهم الطعام قدر ابتعادها عن محيط تلك الدخيلة، اندفعت بردها دون تفكير:

. مش عايزة آكل في النادي

التفت فارس مندهشًا لعدائية النبرة يستوضح بهدوء حذر:

. عايزة تاكلي فين؟

أكملت بطيش غاضب:

. أي مكان يا بابي زهقت من النادي

تجاهل فارس هجوميتها، أومأ برأسه إيجابًا وأكمل سيره معها، كانا قد اقتربا من طاولة نسمة وصديقتيها وقد انضم رائد للجلسة، توقفت خطوات لمى تدك قدميها أرضًا بغيظ تجذب كف والدها للخلف عندما لاحظت توجه

فارس نحوهم وحين التفت مستفسرًا بنظرة، عاجلته بضيق تكز على أسنانها:

. مش عايزة أقعد معاهم

التقط فارس طرف الخيط ونبأه حدثه أنه قد فهم سبب ما يراه من نزق، مال برأسه للجانب قليلًا وبصوت اكتسى بحنانه الفطري:

. هسلم على عمو رائد بس

أومأت لمى برأسها إيجابًا وتبعته مضطرة، تقدم فارس مصافحًا رائد وعمد إلى تجاهل نسمة التي شغلت نفسها قصدًا بضياء الذي تحمله بين ذراعيها غافلة عن المراهقة التي تشيعها بنظرات

غِل قرأها فارس جلية وكأنها غريمتها في قلبه، أنهى الحديث سريعًا مع رائد الذي دعاهما للجلوس فاعتذر متذرعًا بالعمل، احتوى كف ابنته واصطحبها خارجًا وقد عزم أمره على إعادة ترتيب أوراقه من جديد.

***

عاد لجلسته جوار نسمة بعدما ودع فارس، منذ فترة وهو يلحظ نظراته المهتمة بشقيقته ولا يُنكر أنه يتمنى لها رجلًا مثله حتى وإن كانت هي قد أغلقت قلبها على حب قد رحل دون

رجعة، نظر بعبث لنسمة المتشاغلة بالصغير وكفه تشير لظهر الآخر المنصرف:

. ابن حلال قوي

رفعت نظرة خاطفة له وعادت للصغير تكمل ادعاءها بعدم الاهتمام بينما رائد منحها الفرصة كما رغبت والتفت للأخرى المتجهمة، يراها صامتة بشرود حزين رغم محاولتها مجاراتهم في الحديث، علم من شقيقته بخبر فسخ خطبتها ولم يهتم بمعرفة السبب غير أن حزنها يؤلمه وهو تعود منها دائمًا على تبادل الداعبات، حرك

كفه أمام عينيها السابحة في الفراغ دون هدف

فانتبهت ليبادر:

. رحتي فين؟

ابتسمت ريم رغمًا عنها فلطالما كان رائد بمثابة

أخٍ أصغر لها وشعرت دومًا أن الله عوضها بخفة

ظله عن شقيق لم تمتلكه يومًا:

. أنا معاكم أهو؟

بادلها رائد الابتسام يكمل دعابته:

. لأ إنتِ سايبة قلبي وحيد وسرحانة

انطلقت ضحكتها الصافية لمرحه وقد انشغلت قليلًا عن جرح قلبها الغائر، التفت رائد للأخرى الصامتة بخجل، منذ حضر ولم تنبس ببنت شفة مكتفية بتبادل الابتسامات مع صديقتيها دون اشتراك حقيقي بالحديث، لا ينكر اشفاقه عليها عندما علم قصتها من شقيقته، سخرية مريرة استقرت بنفسه عندما لاحظ ما تحويه تلك الطاولة من آلام بين ضلوع محيطيها، وهي كانت في عالم آخر من ضيق نفسها الذي لم تستطع التخلص منه، طالما كانت تكره النادي ولم تحب العودة له يومًا لولا

إلحاح السيد رفعت عليها بأن تدفع ريم للخروج من عزلتها ما دلفته مرة أخرى فهو كان دومًا يذكرها بالفارق الجلل بينها وبين صديقتيها، كانت تشعر فيه بكونها عالة عليهما ورغم أنهما لم يشعراها بهكذا فارق يومًا لكنها كانت تراه في كل خطوة تخطوها داخله بداية من البوابة التي لا تستطيع عبورها دون إحداهما كمرافق مرورًا بعائلتيهما اللتين كانتا دومًا حاضرتين دون عائلتها وانتهاءً بحلوى تشتهيها ولا تستطيع التصريح بذلك انتظارًا أن تشتهيها إحدى صديقتيها فتبتاعها لكلتاهما وخجلًا كانت

ترفض في البداية واثقة من إلحاح الأخرى عليها، بالمدرسة كان الفارق يتلاشى وبالجامعة كانت تستطيع تجاهله لكن بالنادي كان دومًا فوق قدرة تحملها، أخرجها من شرودها صوت ضياء الذي بدأ بالتذمر بين ذراعي نسمة فامتدت كفها لحقيبة الصغير تعد وجبته وهي توضح:

. أكيد جاع

ورائد الذي كان يتابع شرودها وتباين ملامحها بين حزن وعبوس التفت للصغير يحمله عن شقيقته ورغمًا عنه اختطفت ملامحه الملائكية ركنًا بقلبه وكأن الله وضع بعينيه ضياءً يمتد لقلب

من ينظر خلالهما فيسلبه من صاحبه طواعية، داعب رائد وجنة الصغير بظهر سبابته ليبتسم وتتسع ابتسامة رائد لبسمته البريئة، خلال ذلك كان نور ونادين قد أنهيا تدريباتهما وحضرا، جلست نادين جوار نسمة من الجهة الأخرى ونور وقف جوار رائد يتابع مداعبته لضياء وقد عقد حاجبيه في طفولية، انتهت هند من إعداد وجبة ضياء ونهضت تلتقطه من كف رائد ليستغل نور الفرصة ويقفز للجلوس فوق ساقي خاله الذي داعب خصلاته الثائرة، شعر رائد

بالصمت الذي غرق فيه الجميع فلم يعجبه، نقل نظراته بين ثلاثتهن وقال مؤنبًا:

. مش عيب أبقى قاعد في وسطكم وسنجل؟

ضحكت كل من نسمة وريم لجملته بينما اكتفت هند ببسمة خفيفة ولم ترفع نظرها عن صغيرها وهو يكمل دعابته:

. إنتو مش ناوين تجوزوني؟

وريم نطقت من بين ضحكاتها التي فقدت السيطرة عليها:

. عايزنا ندورلك على عروسة؟

صوت اعتراضي صدر عنه وهو يعود برأسه للخلف وينقل نظراته بين الجميع مؤكدًا:

. أنا هدور بنفسي

كان غافلًا عن الصغير العابس وقد بدأت غلالة دموعه في التكون، همس باسم رائد في حزن فأولاه رائد اهتمامه ليُتبع نور سؤاله بصوت مختنق:

. لما تتجوز هتخلف نونو وتحبه أكتر مني؟

ألجم السؤال لسان رائد عن الجواب، اختنقت انفاسه عندما أدرك ما يعانيه الصغير ولم يستطع إلا أن يحتويه بين ذراعيه دون قدرة على النطق،

ونسمة لم يكن حالها بأفضل من شقيقها وهي تدرك أن طفليها وبصورة آلية اتخذوا من شقيقها أبًا بديلًا لكن ذلك الأب لن يكون دائمًا لهما شاءت أم أبت يومًا ما ستكون له زوجه وأولاد منها يمتكلون به من الحق ما ليس لها أو لأولادها وتلك سنة الحياة التي لن تستطيع إغفالها.

***

ودعتا نسمة وشقيقها وعادتا سويًا إلى بيت عائلة ريم، استقبلتهما السيدة رقية بلهفة شوقًا

للصغير الذي اندفعت تحمله من بين ذراعي هند وتطبع عدة قبلات على رأسه وهي تنهرهما على التأخير:

.كل ده بره ضياء وحشني

ضمته لأحضانها تحت نظرات هند وريم وهي تكمل بتقرير:

. مالوش خروج معاكم تاني ده ضعيف ميستحملش نوادي

ابتسمت ريم لحنان أمها الفطري وهي تسأل عن والدها لتأتيها إجابة السيدة رقية وهي تصحب ضياء لغرفتها:

. طلع مع العمال فوق السطح بيوضب الأوضة ثم أتبعت غاضبة قبل أن تغلق باب غرفتها بوجههما:

. أنا عارفة كان لازمتها إيه من أصله؟

تبادلت هند وريم الابتسامات والتفتتا تصعدان لسطح البيت، كانت ليلة صيفية هادئة تتلألأ فيها النجوم وسط دُكنة السماء والسيد رفعت يتوسط سطح البيت يُعد أكواب الشاي لعدة عمال يشتغلون داخل الغرفة الوحيدة بالسطح وبعضهم فوق سقفها، تقدمت هند من السيد

رفعت تسأله وقد عجزت حروفها عن ايصال امتنانها:

. حضرتك بتعمل إيه يا عمي؟

صب السيد رفعت الشاي بالأكواب الزجاجية بالتساوي وهو يجيب:

. بندهن الأوضة وهنعمل عزل للسقف والحيطان

لا تستطيع بضع كلمات تتفوه بها أن تعبر عن شكر لن يفي هذا الرجل حقه، تنحنحت حرجًا وقد عجزت أمام عطاء تلك الأسرة:

. مكانش له لزوم

نهض السيد رفعت يوزع أكواب الشاي على الرجال ثم عاد يضع الصينية فوق أحد كرسيين بالسطح وهو يخبرها بمنطقية:

. يا بنتي ضياء لا هيستحمل حر صيف ولا برد شتا في الأوضة دي

ربت على كتفها وقد أخفضت نظرها خجلًا وهو يكمل:

. لولا إني فاهم بتفكري إزاي ما كنتش وافقت

رفعت نظراتها الشاكرة له وقد طوقها كرمه عندما أتبع:

. في كل الأحوال البيت هيفضل بيتك

التقطت ريم طرف الحديث وهي تتجول بالسطح تطالع السماء مستمتعة بالنسمات الصيفية اللطيفة:

. الجو والمنظر هنا يجنن

التفتت لهند تقترح وقد شعت ملامحها بالحماس:

. إحنا ممكن نعمل هنا برجولة ونزرع الروف كله

تجولت بالمساحة الواسعة أمامها تفكر وتكمل اقتراحاتها:

. وممكن نفرش الأرض نجيل صناعي وضياء يبقى عنده جنينة يلعب فيها

ابتسمت هند لخيال صديقتها الذي بدأ يداعب خيالها هي الأخرى، رغم سوء الوضع ظاهريًا لكن في باطنه يحمل لها الراحة فهي ولأول مرة منذ ولدت تمتلك قرارها وتستمتع بالحرية بعيدًا عن كل من آذاها.

**

تتعاقب الأيام ومعها يقترب أكثر من فهم ابنته التي ابتعد عنها طويلًا فمنذ أن أحضرها لتعيش في كنفه وقد عاهد نفسه أن تكون أهم شخص بحياته ولن يقدم يومًا على فعل يؤذيها، رغم عزمه الأكيد الزواج من حب فقد الأمل به

طويلًا ثم عاد بأسوأ طريقة ممكنه لكنه عاد ولا يستطيع تجاهل فرصته التي منحها له القدر وإن كانت على طبق من ألم، اصطحب المراهقة المتمردة إلى المركز التجاري عازمًا على قضاء باقي يومه معها حتى موعد عمله بالمساء، تناولا وجبة الغداء بمطعم فاخر ثم قضيا الباقي من الوقت في التسوق الذي يمقته، دلفت لمى إلى متجر شهير لبيع مستحضرات العناية بالبشرة وأخذت تستشير والدها في الاختيار بين الروائح المختلفة وبالنسبة له فجميعهم سيان، فتَحت غطاء أحد العبوات وقربته من أنف والدها:

. إيه رأيك في دي يا بابي

لم تنتظر إجابته لتغلقها وتفتح أخرى تقربها من أنفه:

. ولا ريحة دي أحلى؟

والحقيقة أنه لم يلحظ فارقًا جللًا بين كلتاهما لكنه لم يرغب بإفساد متعتها:

. الأتنين حلوين نقي اللي عجباكِ أكتر

استجابت لمى فاختارت إحدى الرائحتين وابتاعت المجموعة كاملة تحت دهشة فارس فالثلاث عبوات تحملن نفس اللون بذات

الرائحة وإن اختلفن في الحجم لم يستطع منع نفسه من التساؤل:

. إيه دول؟

انفرجت أهداب لمى دهشة من والدها الذي يبدو أن آخر معلوماته في العناية بالبشرة توقفت عند رغوة الحلاقة الرجالية وأجابت بمنطقية:

. شاورجيل وبادي لوشن وبادي ميست

هز فارس رأسه مدعيًا الفهم لكنه في الحقيقة قد فهم الأولى فقط وتغافل عن أهمية الاثنين الأخيرين، بعدها دلفت لمى لمحل بيع الملابس الرياضية فابتاعت حذاءً رياضيًا جديدًا وتنقلت

بين محال بيع الملابس تجرب بينها في سعادة تحت أنظار فارس الحنونة، دلفت غرفة تبديل الملابس تجرب أحد الفساتين وخرجت لتجذب نظرات والدها المحبة كان الثوب الأبيض الصيفي يناسبها تمامًا تمتد أكمامه حتى منتصف ذراعيها ويضيق عند الوسط ليتسع دائريًا حتى ينتهي أسفل ركبتيها ويحمل وردات حمراء صغيرة مرتكزة في المنتصف ثم تتفرق تدريجيًا للأعلى فتنتهي عند صدر الثوب وللأسفل حتى قبل الركبتين تاركة باقي اللون الأبيض للظهور، كانت كوردة صغيرة تتفتح يومًا بعد يوم برعايته،

اقترب فارس يحتوي رأس ابنته بحب ويطبع قبلة على جبينها وهو يهمس:

. ده حلو عليكِ قوي

ابتسمت لمى لحنان والدها ودلفت تبدل ملابسها مرة أخرى وتنصرف بصحبة فارس الذي أنهكه التسوق ولا يزال أمامه ليلة عمل ممتدة حتى الصباح.

دلفا للمنزل وقد عزم على الحديث مع ابنته فاليوم أو غدًا لابد لها من معرفة نواياه خاصة وهي تلحظ اهتمامه بنسمة، يعلم أن مهمته معها صعبة لكن أفضل الطرق للوصول لهدفه

هو أقصرها، احتوى كف ابنته يجلسها على الأريكة جواره وهو يخبرها أن هناك ما يرغب بالحديث فيه، وهي تذكرت ما رأته بالنادي وعادت نيران الغيرة تشتعل بقلبها، رأت تردد والدها في بدء الحديث وعقلها المتمرد قادها ليعيد ترتيب يومها من جديد، كانت النزهة ما هي إلا رشوة من والدها لتغض الطرف عما رأته صباحًا وربما هي مقدمة ليطلب منها العودة للحياة مع والدتها حتى يستقر له المقام مع تلك الدخيلة، غضبها انطلق توفر على والدها بداية حديث وتُفجر بوجهه ما يؤرقها:

. حضرتك عايز تتجوز طنط نسمة

لا يعلم أيفرح لفطنة ابنته التي اختصرت عليه طريقًا طويلًا أم يحزن لهجومها وذلك الغضب الذي لا يُنكر أنه توقعه، كان قد عزم على عدم مراوغتها فابنته لم تعد تلك الصغيرة التي سيعدها بقالب من الحلوى فترضى وتُقر بما يرديه، هز رأسه إيجابًا مؤكدًا لها ملاحظتها وهي لم تنتظر تفوهه بكلمة، انفجر بكاؤها دفعة واحدة:

. إنتَ قلت لي إني كفاية

وفرت من أمامه إلى غرفتها صافعة الباب خلفها، شهق فارس فملأ صدره بالهواء، كيف

يشرح لابنته الفرق بين الزوجة والابنة وكيف يُحدثها عن حب يحمله لمن يرغبها زوجة ولن يغنيه يومًا عن حب ابنته، نهض يجر قدميه يشعر أنه يسير معها على حد السيف إن مال يمينًا نحرها وإن مال يسارًا نحر قلبه، فتح باب غرفتها بهدوءٍ حذِر ودلف ليجدها جالسة على الفراش تضم ساقيها إلى صدرها وتدفن رأسها بركبتيها منتحبة، جلس أمامها وربت على ساعدها برفق لترفع عيناها المنتفخة له، ابتلع فارس لعابه ونطق بصعوبة:

. ممكن تسمعيني؟

لم تجبه إلا بنظرات حزينة ودموع لم تتوقف

ليكمل فارس:

. في حاجة مهمة لازم تعرفيها

مسح دموعها عن إحدى وجنتيها بإبهامه:

. مفيش حد مهما كانت غلاوته عندي أهم منك

نطقت لمى من بين دموعها:

. أمال ليه عايز تتجوز؟

لا يستطيع أن يخبرها بحبه للأخرى وكونه لم يصدق عودتها له، مسح على شعرها بحنان:

. سنة الحياة؛ في يوم إنتِ كمان هتتجوزي وتسيبيني

وكأن جملته التي أراد بها أن يجعلها تتقبل الواقع كانت زر عودة بكائها الذي انفجر مرة أخرى وصوتها المتقطع بشهقات يعبر عن مخاوفها:

. يعني حضرتك هتسيبني وأرجع أعيش مع مامي

سحبها فارس بغتة يزرعها فوق صدره ويحتوي ضعفها، لا يعلم كيف وصلت لتلك النتيجة التي لم تجُل بخاطره يومًا لكن عليه توقع أي شيء من صغيرته التي ما شعرت يومًا بالأمان، ربت على ظهرها بدعم يطمئنها:

. ده لايمكن يحصل

شدد من ذراعيه حولها يمنحها أمانها المفقود:

. إنت مش هتبعدي عني غير لبيت جوزك

رفعت لمى رأسها تستقبل أمانها من نظرات

والدها الذي أضفى بعض المرح:

. ولا حتى لبيت جوزك لسة ما اتخلقش اللي

يستاهلك

ابتسمت لمى برقة وعادت تستفسر:

. يعني لما تتجوز طنط نسمة هنروح نعيش معاهم

إحنا الاتنين

ابتسم فارس لتفكير ابنته وهز رأسه نفيًا:

. أكيد لأ

ضيقت حاجبيها بعدم فهم مكملة:

. هييجوا كلهم يعيشوا معانا هنا؟

ربت فارس على وجنتها بحنان وهو يبتسم:

. الكلام ده سابق لأوانه

طالع ساعته فلم يجد أمام موعد عمله غير نصف الساعة ليكمل سريعا:

. أنا لسة مفاتحتش طنط نسمة في الموضوع

احتضن كفها بين كفيه يمنحها أهمية تستحقها:

.كان لازم إنت تكوني موافقة الأول

تعلقت عيناها به وهو يكمل:

. مفيش خطوة هاخدها إنت مش هتكوني مرتاحة فيها يا لمى

أومأت لمى برأسها في راحة وهو نهض يستعد للمغادرة:

. أنا رايح الشغل ما تسهريش كتير

هزت رأسها في طاعة وهو طبع قبلة على رأسها وانصرف إلى عمله وقد حدد مهمته الجديدة والتي يعلم أنها الأصعب تلك المرة.

***

تمر أيامها وهي تنحت الصخر لتجد لنفسها وصغيرها موضعًا بالحياة، قطعت علاقتها بكل من تعرفهم سابقًا عدا شقيقها وصديقتيها اللتين كانتا أكثر من أهل لم تنل منهم يومًا غير الخذلان لكن ذلك الخوف الذي يتعاظم داخلها كل يوم وهي ترى زحف اللون الأزرق إلى شفتي صغيرها يزداد فينهش روحها، كان موعده الشهري مع طبيبه المعالج، أجرت الفحوصات التي يطلبها الطبيب بشكل دوري لتحديد مدى تطور حالة قلب ضياءها العليل، لم تُثقل تلك

المرة على صديقتها وآثرت حضورها وحيدة، أنهى الطبيب فحصه وطالع التقارير الجديدة أمامه، تنهد يسرد الحقيقة أمامها وهي احتوت صغيرها بين أحضانها تحميه من القادم الذي يلقيه الآخر على مسامعها:

. للأسف مش هنقدر نستنى على العملية أكتر من كده

شددت هند من ضم ضياء لصدرها تهز رأسها نفيًا وكأنها لا تفهم ما يعنيه الطبيب ليوضح أكثر:

. ضياء دلوقت عنده 6 شهور الانتظار أكثر من كده هيدخلنا في مضاعفات

انقبض قلب هند لما سمعته وهمست:

. مضاعفات إيه؟

عدل الطبيب من وضع عويناته الطبية وهو يضع الحقيقة كاملة أمامها:

. لو اتأخرنا هندخل في تضخم القلب وارتفاع ضغط الشريان الرئوي وقتها النهجان هيزيد والطفل يلاقي صعوبة في التنفس ووزنه ميزيدش وإحنا في غنى عن كل ده

هزت هند رأسها بفهم وقد بدأت غلالة دموعها تتكون لكن ضياءها الضعيف يحتاج لقوتها، نهرت نفسها فقد ودعت ضعفها بغير رجعة

وهي تسأل:

. العملية بتتعمل فين؟

وضع الطبيب الفحوصات جانبًا وأجاب:

. القلب المفتوح بيتعمل في مستشفيات قليلة

تناول أحد البطاقات من جانبه ومنحها إياها مكملًا:

. إنتِ عارفة إن لازم عناية مركزة وتمريض على مستوى عالي

تناولت منه البطاقة التي تحوي اسم مشفى استثماري كبير وهو يوضح:

. أنا بتعامل مع المستشفى دي علشان أكون ضامن نسبة نجاح عالية

ثم استطرد مؤكدًا:

. بأمر الله طبعًا لكن بناخد بالأسباب

هزت هند رأسها في فهم وقد علمت أن تكلفة الجراحة تفوق قدراتها بمراحل وهو ما لاحظه الطبيب فطمأنها:

. في جمعيات خيرية على تواصل دائم معايا لو مش هتقدري تتحملي التكلفة بلغيني

نهضت هند تلملم شتاتها تحتوي ضياءها بين ذراعيها متشبثة به، استجمعت قوتها لترد على الطبيب:

. هبلغ حضرتك هعمل إيه في أقرب وقت

ابتسم الطبيب مودعًا وهي خرجت وقد عزمت على اشعال حربًا كانت تتقيها لكن لا سبيل أمامها سوى خوضها.

الفصل العشرين

ويحدث أن تثقلك وطأة مخاوفك فتعدو فِرارًا،

مهلًا،

هل جربت المواجهة

لربما خلف الشبح البادي يقبع الأمل.

**

بصبر وروية ترسم طريقها بالحياة، ليلتها الأولى بغرفتها التي استأجرتها بالسطح، استطاعت شراء فراش يسعها هي وطفلها عازمة على إكمال ما تحتاجه تباعًا، رغم عرض ريم وأهلها المساعدة بشراء غرفة كاملة لكنها رفضت فيكفي ما بذلته تلك الأسرة من أجلها، صوت وقع أقدام أتاها من الخارج لتدلف ريم إلى الغرفة لاهثة من أثر ما تحمله، وضعت المروحة التي كانت تُثقلها جوار باب الغرفة واتجهت للمنضدة الوحيدة أسفل النافذة فوضعت غلاية للمياه، تنحنحت هند بخجل من صديقتها:

. لزومه إيه ده بس؟

توجهت ريم حيث ضياء المستلقي على الفراش تداعبه بينما تجيب بمنطقية:

. يا بنتي الدنيا حر مش هتعرفوا تناموا من غير مروحة

حملت ضياء الذي ابتسم لمداعبتها إياه وهي تكمل:

. والكاتل علشان لو حبيتي تعملي لضياء رضعة باليل وهم أصلًا زيادة عندنا

همست هند بدعواتها الشاكرة لصديقتها التي حملت ضياء وخرجت تتنسم هواء الصيف

اللطيف وهند تبعتها تطالع حُلكة السماء بذهن شارد أخرجها منه صوت ريم التي جلست على مقعد متهالك بينما تتحدث:

. بكرة وأنا راجعة من الشغل هجيب طقم حلو نقعد عليه

عادت هند خطوتين لصديقتها باعتراض:

. كفاية يا ريم

لوحت ريم بكفها تنهي اعتراض صديقتها مؤكدة:

. أنا مش هجيبهم لك؛ أنا عجبني الجو هنا وهبقى أطلع أخلص شغلي

هزت هند رأسها يأسًا من رفض عطاء صديقتها وأسرتها، أولتها ظهرها وعادت تتطلع لظلمة الليل والأفق الممتد أمامها، امتزجت البنايات بين عالية ومتوسطة مع أضواء شوارع القاهرة بضوضائها التي لا تصل أذنيها وسط السكون المحيط بها، هدوءها الظاهر ناقض قرع طبول الخطر داخلها، صخب أفكارها بين خوف وأمل وحيد عليها التمسك به، حربها التي عزمت على خوضها صباحًا دون تأجيل وإن فتحت بوجهها أبواب جحيم كانت تتجنبه لكن وجب

عليها انقاذ قلب ضياءها الذي لم يعد يمتلك المزيد من الوقت.

**

في الصباح ودعت طفلها الذي استقر بحضن السيدة رقية ككل يوم، استقلت عدة مواصلات تقطع طريقها الطويل حتى القاهرة الجديدة، ومضات من حياتها معه ظلت تطاردها بينما تتطلع إلى الزحام عبر حافلة الركاب التي تقلها، ترجلت من الحافلة عند أول الشارع المؤدي إلى مجموعتهم، لتبدأ خطواتها الوجلة بالطريق الذي تطأه لأول مرة بحياتها وشمس الصيف الحارقة

تلفح وجهها بالشارع الواسع الخالي من الأشجار، صحراؤه اشبه بتصحر روحها على مدار سنوات زواجها منه، تخطت البنايات الصغيرة على جانب الطريق حتى وصلت للبناية الأعلى، طالما شعرت بضآلتها وسط تلك العائلة وهو لم يتوانَ عن تعميق ذاك الشعور الذي عاودها وهي ترفع عينيها تطالع المقر الفاخر فتنعكس أشعة الشمس على مرايا الواجهة لترغمها على خفض نظراتها، توقفت أمام بوابة المبنى التي ما توقعت يومًا أن تعبرها، استجمعت كل شجاعة ممكنة لتتقدم من موظف

الأمن، وبقوة ظاهرية استدعتها وثبات مدفوع بقلب أم مرتعب نطقت مناقضة اهتزاز روحها:

. بلّغ حسام بيه إن مدام هند منتصر عايزة تقابله.

دقائق الانتظار التي مرت عليها حتى حصلت على الموافقة زلزلت ثباتها الواهي، برودة مكيف الهواء المركزي التي لفحت وجهها عندما دخلت للمبنى أرسل قشعريرة باردة لسائر جسدها وهي تحاول السيطرة على ضربات قلبها المتسارعة استعدادًا لهجومها الذي أعدت له منذ عزمت الحضور، سكرتيرته الخاصة كانت بانتظارها

عقب خروجها من باب المصعد لترافقها حتى باب مكتبه الذي فتحته لها تدعوها للدخول، خطوتين خطتهما للداخل أغلقت بعدها السكرتيرة الباب، دارت بنظرها في الغرفة الفاخرة؛ مساحتها تفوق الحجرة التي استأجرتها بأربع أضعاف رغم ذلك تشعر باختناق انفاسها داخلها وهو كان يجلس خلف مكتبه يتطلع إليها بصمت أرهبها لكنه لم يثنها عن عزمها، تقدمت بعزم فقد فات أوان التراجع لتقف في مواجهته مباشرة لا يفصل بينهما سوى مكتبه وهو رفع نظره يمعن النظر بها لأول مرة منذ

فارقها بالمشفى قبل ستة أشهر، يستطيع أن يقرأ شيئًا تغير بها رغم رعبها الجلي منه وإن حاولت مداراته، منحها نظرة متسائلة يرغب بمعرفة ما بجعبتها وهي لم تتأخر كثيرًا في النطق:

. ابنك

كلمة واحدة رغم اهتزاز صوتها الواضح لكنها وصلته قوية تحمل خوف أم لتزيد:

. ولا حضرتك ناسي إن عندك ابن

هو لم ينسَ يومًا فهناك في نقطة ما بعمق عقله يعلم أن لديه طفلًا وإن واراها إدراكه وأهال عليها تراب الانكار متناسيًا، نبرتها المهاجمة

بخوف على عكس عادتها معه بثت به بعض من قلق لم يمنح الفرصة بتسلله إلى ملامحه فتلك التي لم يسمح لها يومًا بالاطلاع على ضعفه لن ترى منه الآن غير جموده الذي تمسك به وهو يسأل:

. ماله؟

برود ملامحه ساعد هند على الاحتفاظ بوضع الهجوم، استندت بكفيها إلى المكتب تميل للأمام وانفعال صوتها يشي بما يجيش بصدرها:

. محتاج قلب مفتوح

تلك التفاصيل الطبية التي ذكرها له الطبيب يوم مولد طفله وأغفل سماعها بعد صدمته الأولى عاد ليتذكرها وتلك المضغة بين جنبيه تنبض بارتباك وهي تكمل كلماتها المهددة:

. وبأسرع وقت لو حضرتك ما اتكفلتش بالعملية

ابتلعت لعابها ورفعت كفيها تضرب بكلتاهما على المكتب وقد ارتفع صوتها عليه للمرة الأولى بحياتها:

. هخرج من هنا على السوشيال ميديا أطلب تبرعات لحفيد الإمبراطور علشان يعمل العملية اللي أبوه رفض يتكفل بيها

لم يرف له جفن لتهديدها الأجوف هي تعلم قبله أنه يستطيع منعها عن أي شيء يمسه وإن لم يؤذها هو فإن الإمبراطور لن يتوانى عن ذلك إن مُست سمعته لكن الحقيقة التي تخبره بها تضع على كتفيه ذنب فقدان طفل لن يستطيع حمله فوق كاهله تلك التي عاشرته لثمان سنوات لم تستطع خلالها النفاذ إليه لازالت لا تدرك أن مشكلته لم تكن يومًا بالمال، هو تخطى وجودهما

بقوة أكبر منه دفعته للابتعاد ارتباكًا ورغمًا عنه لم يجد ما يمكنه فعله سوى الهرب ليستطيع مواصلة حياته، تطلع إلى ملامحها المتحفزة بغضب رغم محاولتها الغرة للثورة إلا أنها فاشلة في إخفاء وهنها على عكسه تمامًا فقد احترف الثبات الذي حافظ عليه وهو يستفسر بنبرة باردة:

. العملية امتى؟

نظراتها المتشككة بجدية سؤاله منحته الفرصة تلك المرة للهجوم:

. مالك مستغربة ليه؟

استهزاء صوتها صاحب تشكك ملامحها:

. بالبساطة دي؟

نهض بعنف يتكئ بكفيه على المكتب فيواجهها بذات التحفز:

. فكريني بيوم طلبتي فيه فلوس من يوم ما عرفتك ورفضت

والحقيقية التي لا تُنكرها أنه لم يحدث بل إن بذخ العيش الذي عاشته معه ربما كان ميزته الوحيدة، تطلعت لعمق عينيه التي وازت عينيها، لقد عجزت عن فهمه يومًا، تلك العينين التي ما منحتاها منذ عرفته سوى جليدية تقبض قلبها

وتبحث فيهما الآن عن أية عاطفة تسير خلفها ولا تجد وعنه فقد كان يتطلع إلى تلك اللبؤة التي انتفضت بعد ثُبات تدافع عن صغيرها لآخر رمق، لا ينكر أن ثباتها الواهي أعجبه وإن لم تستطع مس روحه قط، أعاد سؤاله عليها بثبات ليث:

. العملية امتى؟

هدأ وجيب قلبها وإن ظلت على وقفتها وهي تجيبه بنبرة لانت ببعض اطمئنان:

. الدكتور لسة محددش

استقام بظهره يضع كفيه بجيبي بنطاله وبذات الجمود الذي حافظ عليه في مواجهتها:

. لما يحدد المعاد بلغيني

هزت هند رأسها براحة، لم تكن تتصور أن مهمتها معه ستكون بتلك السهولة، لا تُنكر أن شك نسمة به قد أربك ظنها حوله، التفتت تغادر وقد أيقنت أن حدسها تجاهه قد أصاب للمرة الأولى ربما منذ عرفته، الرجل الذي عاشرته لثمان سنوات ورغم كل ما يحمله من مساوئ ليس بقاتل وهذا ما منح قلبها بعض الراحة، وهو راقب انصرافها بأعين زجاجية يجيد

استدعاءها عند الحاجة، تلك التي اختارها بعناية فشلت في التسلل لأبعد من جلده يومًا ربما إن حاولت العبور داخله لكانا بموضع آخر اليوم لكن أوان ذلك الحديث قد فات.

**

خرجت من مقر المجموعة وقد أدركت أنها لم تستطع فهم زوجها السابق يومًا أو توقع ردة فعله أرهقها التفكير حوله فإن فشلت في ذلك وهي زوجته فحتمًا لا جدوى من المحاولة الآن كل ما يهمها أن صغيرها سيخضع للجراحة في

الوقت المناسب ما عدا ذلك بلا قيمة، استقلت الحافلة عائدة حيث عملها الذي تأخرت عليه، دلفت مكتبها تعد الدقائق بانتظار موعد فتح عيادة الطبيب لتحدد معه موعد الجراحة، عقلها الذي شرد بعيدًا حيث ضياء وخوف يطبق على صدرها مما ينتظر جسده الضعيف منعها من رؤية محمود الذي دلف إلى مكتبها وعلامات استياءه بادية بعقدة حاجبية وصوته الذي أتاها موبخًا:

. الساعة داخلة على واحدة ممكن أعرف حضرتك كنتِ فين من الصبح

رفعت نظرها له فواجهت غضب نظراته قبل أن تخفضهما وهي توضح:

.كان عندي مشوار ومستأذنة من مدام نسمة عقد كفيه خلف ظهره مغتاظًا من تخطيها إياه، نبرته الحادة التي يحادثها بها للمرة الأولى منذ بداية عملها بالشركة زادت من ضيقها وهو يتبع:

.كان المفروض تبلغيني علشان الشغل ميتأخرش فتحت الحاسب الآلي تستعد لبدء عملها وعيناها تتجول فوق مكتبها بحثًا عن أي جديد:

. مش هروح قبل ما أخلص كل حاجة، فين الملفات؟

ابتلع ارتباكه يطبق شفتيه لوهلة قبل أن يلين صوته بتردد:

. هبعتهالك

التفت منصرفًا يتعجب من نفسه، أي عمل تم تأخيره بسببها بل وأي ملفات سيمنحها إياها، لقد ظل سنوات يقوم بعملها ببداية تأسيس الشركة وكل ما تقوم به الآن يستطيع هو انجازه بكبسة زر إن اقتضى الأمر فلمَ الثورة على تلك المسكينة بل وما الداعي لغضبه الذي ضبط

نفسه متلبسًا به وهو يمر منذ الصباح ذهابًا وإيابًا يطالع مكتبها الخالي، وهي شاهدت انصرافه بدهشة متخطية ضيقها من نبرته فقلبها ينوء بحمله ولا طاقة لها بالمزيد.

***

عادت الحياة كما كانت فمثلها لا تعرف الانكسار وإن تلقت طعنة الغدر بعمق قلبها، تقضي يومها بعملها صباحًا ومساءً تنعم بسند عائلتها وصديقتيها، بدأت يومها في الصباح الباكر ككل يوم متخذة طريقها إلى الجامعة، تخطو بثبات بين أروقتها وكأن تلك الأروقة لم

تشهد يومًا تسليم قلبها لغير مستحقه، وحين اقتربت من باب مكتبها توقفت استجابة للصوت المنادي باسمها لتلتفت توليه وجهها باستفهام، اقترب عصام يتطلع إلى هيئتها الواثقة بجدية وقد أذهله سرعة تخطيها لما حدث:

. العميد كان بيدور على حضرتك

هزت ريم رأسها بفهم وتركته محولة طريقها حتى مكتب عميد الكلية بخطوات ثابتة وهو راقب انصرافها إعجابًا بقوتها.

طرقت ريم باب الغرفة حتى أتاها الإذن بالدخول فدلفت تتخذ المقعد أمام المكتب:

. حضرتك طلبتني يا دكتور

هز الرجل رأسه إيجابًا يتناول مظروفًا ويمنحها إياه موضحًا:

. في مؤتمر كمان أسبوع واخترتك تمثلي الكلية فيه

هزت ريم رأسها اعتراضًا تحاول الاعتذار:

. أنا عندي أبحاث المفروض أسلمها وفي زملا يقدروا يمثلوا الكلية

قاطع الرجل الذي اشتعل رأسه شيبًا اسهابها في الاعتراض، هو اختارها خصيصًا لأنها الأكفأ والأهم أنه يعلم حاجتها للانغماس في العمل

فهي وإن كانت تتمسك بقوتها إلا أنه يرى بعين الأب ما تخفيه خلف هذا القناع الهش، رفع سبابته ينهي حديثها بشكل قاطع:

. إنتِ اللي هتروحي

تراجع بجسده يستند إلى ظهر مقعده ويكمل:

. المؤتمر هنا في إنتركونتيننتال يعني اعتبريها فسحة لمدة 3 أيام

هزت ريم رأسها استجابة لطلبه، التقطت المغلف الذي يحوي الدعوة للمؤتمر ونهضت تهم بالانصراف وقبل خروجها ناداها:

. دكتورة ريم

التفتت تستفهم سبب النداء فمنحها بسمة أبوية طالما رأتها على وجهه وهو يكمل:

. أنا واثق إنك قدها

وعنها فقد منحته بسمة شاكرة وانصرفت تتمسك بما تمتلكه وتواري ذلك الشعور الموحش بالخيانة خلف أستار من قوة نسجتها حول نفسها.

**

كان يتمنى لها الأفضل لكنه لم يكن يعلم أن أمنيته تلك ستتحقق بأقرب مما يتوقع والأصعب أن يكون هو المكلف بمهمة إخبارها وهو يعلم مقدار صعوبة ما سيتفوه به، لقد أخبر الآخر أن مهمته وإن لم يراها هو مستحيلة لكنها ربما في عرف شقيقته دربًا من الجنون والعاشق كان يدرك ما يعنيه ويصر على طلبه، وهو مؤمن بمشروعيته وقد عزم على تأدية مهمته وإن تلقى ثورتها، أنهى يومه وككل يوم ذهب لبيتها وكعادته طرق الباب بطرقات منغمة صاحبها رنين الجرس ليأتيه صوت نور من الداخل يهتف باسمه في

سعادة، فتح نور الباب فتلقفه رائد يرفعه بذراع واحدة أعلى كتفه فيتدلى رأس الصغير خلف ظهره وتنطلق ضحكاته السعيدة، منح نادين قبلة على وجنتها وأنزل نور أرضًا ونزل على ركبتيه يواجهه:

. إنت إيه اللي مصحيك لحد دلوقت

أشار له الصغير بكفه ليقترب وكأنه سيُدلي بسر خطير، أطاعه رائد يقرب أذنه من فم نور الذي همس:

. ماما سمحت لنا بساعة زيادة علشان نلعب معاك

فرّج رائد جفنيه مدعيًا الدهشة وهو يبدي سعادته:

. ده إحنا لازم نستغل الساعة دي بقى ونخلص كل اللعب بسرعة

هز نور رأسه إيجابًا وانطلق يحضر ألعابه ويضعها أمام رائد الذي تبعه وجلس يربع ساقيه ويساعد نور في بناء سيارته الجديدة بقطع المكعبات، امتدت الجلسة حتى خارت قوى رائد، مد جسده على الأرض جوار نور الذي لم يمل مقترحًا على الصغير:

. الساعة خلصت يا بطل إيه رأيك نكمل بكرة

لوى نور شفتيه اعتراضًا:

. إنتَ هتمشي؟

هز رائد رأسه نفيًا:

. هتكلم شوية مع ماما الأول، بس إنت المفروض تنام دلوقت

اقترب نور منه بمكر يحاول المفاوضة:

. طيب هنام بس خليك نايم معانا

طالع رائد ساعته وقد تأخر الوقت حقًا ولم يعد به طاقة للقيادة حتى منزل عائلته، هز رأسه إيجابًا يمنح نور موافقته فرغمًا عنه لا تصمد

إرادته أمام ذلك الطفل ونور طبع قبلة سعادة على وجنته وانطلق إلى غرفته للنوم فرحًا وعنه فقد طلب من أمه إعداد الطعام فهو يتضور جوعًا وحدسه يخبره أنه من الأفضل ألا تكون حاضرة لحواره مع نسمة خاصة في هذا التوقيت، نادى شقيقته التي حضرت تجاوره على الأريكة بصالة بيتها، ودون مقدمات استجمع كلماته وألقاها دفعة واحدة بوجهها:

. فارس طلب إيدك مني

تفرقت أهداب نسمة غضبًا وانتفضت واقفة:

. إنتَ اتجننت؟

جذب رائد كفها فأجبرها على الجلوس مرة أخرى:

. إيه المشكلة؟

تلجلجت نسمة بكلماتها ارتباكًا:

. إزاي تكلمني في حاجة زي كدة

بدأت غلالة الدموع في التكون وهي تكمل كلماتها المتقطعة باضطراب:

. إزاي هو يجرؤ أصلا

ورائد كان يتوقع كل ذلك ويعد ردوده المناسبة، حافظ على هدوء أعصابه وهو يخبرها:

. لا هو عيب ولا حرام؛ الراجل دخل البيت من بابه

أشفق رائد عليها عندما عكس انفعال صوتها ما تعانيه وهي تجاهد في النطق:

. بابه مقفول أصلا

لانت نبرته بحنان وهو يهمس:

. افتحيه

هزت نسمة رأسها نفيًا وقد بدأت مقلتيها تذرف دموعها:

. إنت مش فاهم حاجة

ربت رائد على كتفها بعطف يعلم ما تعانيه لكنها تغفل عن الكثير:

. فاهم بس مش موافق

عزم أمره على عرض حقائق تغفل عنها وسط انغماسها بالمسئولية:

. متظلميش نفسك وتظلمي ولادك

فرجت نسمة شفتيها ذهولًا عند ذكر طفليها تعجبًا من منطقه:

. أظلم ولادي لما ما جيبلهمش جوز أم!

اقترب رائد يحتوي كفها بين كفيه بدعم وهو يوضح وجهة نظره:

. ولادك صغيرين محتاجين نموذج لأب

هزت رأسها اعتراضًا فأكمل يمنعها الحديث:

. أنا مهما كنت في حياتهم في النهاية ضيف بييجي وقت وأمشي

أغمضت عينيها بألم وخطين دموعها يحفران طريقهما على وجنتيها وهو يلقنها الحقيقة التي تنغرس بجرحها لكنه عزم على علاجه وإن اضطر لفتحه مرة أخرى:

. نور لسة صغير هييجي وقت ويحتاج راجل يشد عليه ويوجهه

فتحت عينيها التي احتقن بياضهما فتحول إلى الأحمر وغضبها من منطقه بلغ مداه:

. ونادين أجيب لها راجل غريب؟

زفر أنفاسه ببطء يكمل الصورة أمامها:

. وقتها مش هيكون غريب

ربت على كفها بدعم وقلبه ينفطر عليها، يعلم يقينًا أنه ليس من العدل أن تكمل شابة مثلها عمرها بين ضفتي الوحدة والألم:

. إنتِ رافضة الفكرة ككل مش الشخص

شهقت فملأت رئتيها بالهواء وهي تزفر الحقيقة

كنصل تنحر به عنقها:

. ولادي أبوهم مات ومفيش حد هيعوضهم عنه

غص حلقه مرارة وهو يقر جزئيًا ما تقوله:

. صح، لكن ممكن حد يقوم بجزء من الدور

يشيل معاكِ ويخفف عنك

هزت رأسها بعنف فتطايرت خصلات شعرها

الكستنائي حول وجهها وهي تهمس بصوت

مختنق:

. ما اقدرش

سحبت كفها من بين يديه واندفعت لغرفتها

وقد اكتفت من الحديث.

وهو كان يتوقع هروبها ويعلم أن طريق الآخر

لقلبها وعر، خرجت السيدة زينب التي كانت

تستمع لحوارهما تواجه رائد بلوم:

. ما قلتليش ليه؟

طالعها رائد بيأس يخبرها بتقرير:

. الموضوع يخص نسمة

ثم يكمل توضيحه مشيرًا حيث هربت الأخرى:

. وآديكِ شايفة مش موافقة

همت السيدة زينب بالنهوض وقد عزمت الدخول لابنتها:

. أنا هقنعها

أسرع رائد يقف بمواجهة أمه فتدخلها الآن يعني أن شقيقته ستتمسك برفضها فهي وأمه كقطبي مغناطيس متنافرين، ربت على عضدي أمه برفق يمنعها الدخول:

. بلاش دلوقت

رفعت السيدة زينب نظرها لابنها باستفهام وهو يثنيها عن عزمها برفق:

. الموضوع مش سهل عليها، بلاش نضغط أكتر علشان ما تعندش

هزت السيدة زينب رأسها استجابة وقد بدى عليها الاقتناع فعادت تجلس ليطمئن رائد إلى تأجيل عراك بين شقيقته وأمه لا طاقة له بفضه الآن وعنها فقد لاذت بغرفتها تُحكم إغلاق بابها عليها تستنجد به ليرشدها السبيل، جذبت منامته تبحث عن عبقه بها فلم تجده، فتحت خزانة ملابسه وامتدت كفها إلى زجاجة عطره تنثر منها على المنامة فتجدد رائحته المتوارية بفعل الزمن، ضمتها لأحضانها واستلقت على

الفراش تواجه مكانه الخاوي بحثًا عن ذراعيه تحتويها بحنان، أغمضت عينيها تسبح معه ممنية نفسها أن تفيق فتجد رأسها فوق صدره وكل ما مر بها كان محض كابوس وانتهى.

الفصل الحادي والعشرين

يُسقط قانون الدنيا الجرائم بالتقادم

ويُسقط الله ذنوب العصاة بالتوبة

لكن؛

ماذا عن إثم قلبك الذي ترك ندبته بقلبٍ محب؟

وماذا إن أديت عقوبتك كاملة؟

ألا تستحق العفو!

**

كان يتوقع مكالمة رائد التي أتته صباحًا تحمل رفضها، لكنه لن ييكر خطأ الماضي مجددًا، عزم على طرق باب قلبها مرة أخرى بنفسه ويعلم أن مغلاقه قد اعتراه الصدأ بفعل الزمن، في موعد تدريبات طفليها الذي حفظه عن ظهر قلب كان أمام طاولتها، صافح رائد الذي هم بالمغادرة ليمنعه فارس موجهًا حديثه لنسمة التي ردت سلامه بخفوت متجاهلة النظر إليه:

. ممكن نتمشى شوية؟

نقلت نظرها بينه وبين شقيقها الذي يشجعها بنظراته، ليست غرة وبعد طلبه الصريح تعلم ما

سيتفوه به، منحت رائد نظرة غيظ فالاتفاق على لقاء كهذا بينهما واضح ونهضت تنوي انهاء ما يعتقد الآخر أنه لا يزال عالقًا بينهما، سارت جواره بالطرقات الممهدة وهو عاد بذاكرته للقائهما الأول بذات النادي عندما أسره لون عينيها المماثل للعشب الذي يخطون خلاله، وخصلاتها الكستنائية التي كانت تنساب بنعومة حول وجهها الملائكي فتختطف نبضات قلبه، ربما مرت السنون وتغير كلاهما، صارا أكثر نضجًا بعدما صقلتهم الحياة لكنه لا زال يرى بها تلك المراهقة الرقيقة التي تتحول

وجنتاها إلى الأحمر بكلمة، رفعت نسمه نظرها إليه بتحدٍ وهي توفر عليه مقدمة لا تليق بهما:

. أعتقد رائد بلغك رفضي

هز رأسه وهو يمنحها ابتسامة متفهمة، المراهقة الصغيرة نضجت وتحولت إلى أنثى تواجهه بعنفوان، لين صوته وصلها وهو يقر:

. وأنا مصر على طلبي

عاجلته بانفعال واضح وقد ارتفع صوتها قليلًا:

. وأنا مصرة على رفضي

خطى بغتة يتوقف أمامها فيجبرها على التوقف ورفع نظرها لتواجه زيتون عينيه وهو يبوح بما يعتريه:

. نسمة أنا بح.....

أوقفته بإشارة حادة بسبابتها مع نبرتها الحاسمة:

- مش مسموح لحد غير نادر يقولي الكلمة دي

تهدج صوتها بألم عميق عند ذكر زوجها الراحل، ألم فراق ولوعة عشق واشتياق فاحت بنظراتها ووصلت كسهم بقلبه يحرقه غيرة وألمًا ،ألم منها و عليها

قسوتها معه دفعته للقسوة عليها ليهدر بحقيقة يراها تُنكرها ويضعها فجة قاسية أمام عينيها:

- نادر مات

صرخت بعنف وسبابتها تضرب صدرها تكاد تخترقه عند موضع القلب:

- نادر عايش جوايا

سبحت بنظرها في الفراغ وذكرياتها معه تتراقص أمام عينيها كحقيقة:

- عايش في ضحكة نور ونظرة نادين

بسمة حنين ارتسمت على شفتيها وطغى شوقها على صوتها وهي تكمل:

- عايش بكل حاجة قدمها لي وعلمها لي طول عشر سنين

أغمضت عينيها وقد تشبعت روحها بلحظاتها معه فلم تترك موضع قدم لآخر:

- نادر عايش بكل لحظة حلوة عشتها معاه

كل كلمة منها تغرس خنجرًا بصدره وتضغط علية أكثر فتدمي قلبه، صدر صوته نازفًا بقلة حيلة يُقر حقيقة ينشدها:

- أنا عايز اتجوزك

رفعت نظرها إليه:

- اتأخرت

واضحة باترة لمح بها سخرية دفينة وأثر جرح قديم تسبب به دون قصد،

حاول تبرئة ساحته ويعلم فشل محاولته قبلها

. مكانش بإيدي

سخريتها واضحة تلك المرة لتقص عليه الحقائق:

- مكانش بأيدك تروح تخطب وتتجوز

و يعلو صوتها استنكارا بينما نظرتها تحرقه:

- إيه شربوك حاجة أصفره؟

تغاضى عن سخرية النبرة وعزم على إكمال الصورة التي يعلم وصولها إليها منقوصة ،واصل دفاعه عن نفسه يلّوح بكفه وقد ارتفع صوته بانفعال:

. أنا اتقدمت لك ومامتك موافقتش

اتسعت حدقتيها قليلًا إثر مفاجأته وهو يكمل:

. قالتلي إنها لا يمكن توافق علي جوازك قبل ما تخلصي دراسة

أخفض نظراته أرضًا يعترف بذنبه فالجاهلة أمامه كانت تستحق توضيح لكنه لم يستطع الإخلال بوعده الذي قطعه على نفسه أمام والدتها:

. واحترامي لصلة القرابة بينا مكانش ينفع أكلمك تاني من وراكم

تجاوزت مفاجأتها فهي تعلم للمرة الأولى أن فارس تقدم لخطبتها بالفعل وإن تذكرت احساسها في هذه الفترة أن والدتها على علم بالشرارات المتولدة بينهما، لا تشك في صدقه على الاطلاق لكنه أعادها لجرح مراهقتها، تمسكت بثباتها أمامه وهي تسأل:

. و إيه الجديد ؟؟

التفتت توليه جانب وجهها تنظر للأفق الممتد

وصوتها المتحدي يقر حقائق كانت:

. ما ده كان ردي عليك لما كلمتني

نبرتها المتحدية تحولت لأخرى ساخرة وهي

تتذكر رده وتصديقها له بسذاجة تُحسد عليها:

. و كان ردك حستنى ولا نسيت؟

اخفضت نظراتها تتذكر وقع ما كان عليها

. عمرك فكرت في مشاعري لما عرفت إنك

خطبت بعد كام شهر من كلامنا؟

لأول مرة منذ بداية الحديث تنظر لعمق عينيه تتذكر ما كان بينهما، فتاة غرة مراهقة وشرارات انجذاب لقريبهم الضابط الوسيم، حلم يراود الكثيرات،

لليال تخيلت نفسها تُزف إليه بفستانها الأبيض وحلته الرسمية يقف بها شامخًا، تحسدها رفيقاتها على زوجها الوسيم الذي يتسلمها من يد شقيقها ويُقبل جبينها.

لم تسعها الدنيا وحلقت للسماء يوم صارحها بحبه ورغبته بها زوجة

خجلت وتوردت لأول كلمات غزل تتلقاها في حياتها

صمتها أخبره أنها تبادله المشاعر،

طمأنته أنها لا تعترض على فارق السن لكنها أكيدة أن أحدًا لن يوافق على ارتباطهما وهي لا زالت في المرحلة الثانوية،

وقتها كان جوابه أنه على استعداد لانتظارها حتى آخر العمر لكنه فقط يحتاج للتأكد من موافقتها التي منحته إياها

مرت الأيام سافر لعمله وعاد، رأته على استحياء وسط العائلة وتبادلا الشرارات مرة أخرى،

النظرات العاشقة من جهته والخجلة المطَمئِنة من جهتها

كدت بدراستها فهي كانت ترغب بالتفوق حتى تضمن موافقة أمها علي الخطبة على الأقل

لتُصدم بعد أشهر بسيطة بخبر خطبته

وتظل بعدها تعاني إثر جرح قلبها

تتحرق لسؤاله عن سبب كل ما حدث ودون إرادة خرج سؤالها متأخرًا لثمانية عشر عامًا:

- ليه؟

هزة رأسه الخفيفة ونظرة عينيه أخبرتاها أنه لم يفهم مقصدها لتوضح:

- لما أنت مش هتقدر تستنى قلتلي حستنى ليه

لم تكن تنتظر الإجابة فهي تعلم أن عدم انتظاره كان من أكبر العطايا التي منحها لها لتكتشف بعد فترة ليست بالوجيزة أن مشاعرها ما كانت إلا فورة مراهقة دغدغها بغزله ووسامته، همّت بالمغادرة فجذب ساعدها يبقيها فلم يبرئ ساحته بعد، عدَلت عن عزمها وواجهته تربع ذراعيها أمام صدرها بانتظار الإجابة التي تعلم

أنها لن تشكل فارقًا، وهو عاد بذاكرته للماضي حيث التزم بوعده لوالدتها بالبُعد وقلبه لا زال على عهده معها بالانتظار:

.كنت هستنى فعلًا ما كنتش بكذب

تأمل عشب عينيها الذي أسره منذ اختطفت نبضات قلبه فور أن رآها يحاول العودة للماضي ويرسل لها اعتذارًا تستحقه عن اختيار لم تكن هي من ضمنه ورغم خسارته لن يختار سواه لو عاد به الزمن:

. بعد 6 شهور اكتشفنا مرض والدتي

ضيقت حاجبيها باستغراب فما تعلمه أن والدته تُوفيَّت بالسرطان بعد وقت ليس بالقصير لكنها لم تدرِ علاقة ذلك بهما قبل أن يوضح:

. وقتها المرض كان في مراحل متأخرة

تهدج صوته بالحزن وهو يذكر لها آخر أمنيات والدته من وحيدها:

.كان طلبها الوحيد تشوف ولادي قبل ما تموت

كز على أسنانه يكبت انفعاله الذي بلغ مداه وهو يتذكر تكرار طلبه على والدتها مرة أخرى:

. رجعت طلبتك تاني من والدتك وقابلني نفس الرفض

مال بجذعه للأمام يُقلص فارق الطول ورسائله الصادقة تصلها واضحة دون أن يُفلت عينيها:

. ما سبتش فرصة مكلمتهاش ووالدتي ألحت عليها مكانش قدامي غير إني أبعد

وقتها اشتد المرض على والدته وزاد إلحاحها هي الأخرى، اختار بعقله أول فتاة رآها مناسبة بمحيطه ليدفع ثمن ذلك الاختيار للباقي من عمره لكنه مُنع من تقديم اعتذارًا واجبًا:

. بعدها طلبت منها تحلني من وعدي علشان أكلمك لمرة أخيرة

أفلت عينيها وهو يطالع شمس المغيب خلفها

عندما أدرك أن والدتها لم تفِ بوعدها معه كما

فعل ليصرح لها بما كان:

. رفضت وقالتلي إنها هتشرح لك كل حاجة

هزت نسمة رأسها نفيًا برفض، والدتها كعادتها

سلبتها أبسط حقوقها بالمعرفة وهو التقط

تعبيرات وجهها ووصله جهلها السابق بما سمعت

ليكمل:

. أمي اتوفت ولما عندها شهرين

استطاع كبح الألم الذي شق صدره عندما تذكر الثمن الفادح الذي دفعه لقاء تحقيق آخر أحلام والدته لكنه ظهر رغمًا عنه بصوته:

. أنا غلطت ودفعت التمن غالي

عاد صوته ليكسوه الصدق وهو يُقر بذنبه وخسارته:

. خسرتك

زفر أنفاسه وهو يستدرك:

. وكنت هخسر بنتي

عاد بنظراته يبحث بعينيها عن بريق لأمل كان قد فقده لسنوات راضيًا بعقابه لكن القدر منحه الفرصة لتدارك ما كان فلمَ تضن عليه بها، زيتون عينيه الذي توهجت خيوطه البنية أسفل أشعة الشمس منحها حبه خالصًا وصوته يرجوها:

. اديلنا فرصة

شهقت فملأت صدرها بالهواء، اعتذاره وإن منحها تبريرًا لكنه جاء بعد فوات الأوان فقلبها تشبعت حجراته حبًا تكتفي به، هزت رأسها نفيًا تسلبه أملًا زائفًا:

- لو فاكر إني ممكن استبدل نادر تبقى غلطان

عاد كيانها لمن أغناها عن الجميع تُكمل غافلة

عن الشقوق التي تُحدثها كلماتها بقلبه:

- نادر مكانش زوج وبس

شردت مع طيفه الذي يحيطها كلما ذكرته

فيسلب لبها عن العالم وهي تكمل:

- نادر كان أب وزوج وصديق وحبيب

وهو صمت يتلقى سهامها بصدره ويقر بأن

الراحل قد جعل مهمته شاقة وإن لم يعترف

بالمستحيل.

وهي التفتت منصرفة تغلق ملفًا قديمًا وتهيل التراب على جثة كان يود احياءها وما لميّت من عودة لينادیها بعد خطوتين فتلتفت برأسها ويقر نيابة عنها:

. إنتِ محتاجة وقت

لم يندهش لحياد ملامحها فأتبع وقد اتخذ قراره الذي لن يعدل عنه تلك المرة:

. والمرة دي أنا هستنى ومش هيأس

أولته ظهرها تُكمل طريقها عائدة حيث الطاولة وهو رغم يقينه من صعوبة طريقه لقلبها إلا أنه

عزم على إزاحة شبح زوجها السابق الحائل بينهما.

**

مرت الأيام الثقال منذ تحدد موعد جراحة صغيرها وحتى ليلتها معه بالمشفى قبل الجراحة بيوم، رحلة من الفحوصات اللازمة قبل الجراحة التي تكفل بها والده دون ظهوره وهذا يكفيها، في الصباح كانت تهرول بغرفتها في محاولة لتهدئة بكاءه جوعًا وعطشًا وهي رغمًا عن قلبها الممزق تمنع عنه طعامه، حضرت إحدى

الممرضات فدست إبرة التغذية بكف ضياء الرقيقة، وألبسته زي العمليات الذي غاص به جسده الضعيف، لعبة مصدرة أصواتها المحببة للصغير لم تكن كفيلة بتهدئة بكاءه وهو يترك أحضان والدته إلى الفراش المتحرك وهي انتُزِع قلبها معه وهي تسير جوار الفراش تمسك كفه بيدها وبالأخرى تحاول إلهاءه باللعبة دون جدوى حتى وصولها للشارة الحمراء فمنعتها كف الممرضة عن الاستمرار ليختفي الصغير خلف الباب المغلق، استندت بظهرها إلى الحائط في تيه، أنفاسها المختنقة تبحث عن

الهواء دون فائدة، اقتربت ريم التي رافقتها منذ الصباح تلتقط كفها وتربت عليه وهي طالعتها كطفلة ضلت طريقها، انتبه كلاهما لصوت أحد أفراد الأمن:

. ممنوع الانتظار هنا

أومأت ريم برأسها إيجابًا وربتت على ظهر صديقتها بدعم تعيدها إلى الغرفة، دلفتا فجلست هند على المقعد بمواجهة النافذة ونظراتها الشاردة تتطلع إلى السماء ترجو الخلاص من ساعات انتظار قادمة لا قبل لها

بتحملها، اقتربت ريم تربت على كتفها وتمد يدها إليها بمصحف:

. خلي ثقتك بربنا كبيرة

تعلقت نظرات هند بعيني صديقتها المطمئِنة وتناولت المصحف تفتحه وتبدأ بالقراءة همسًا، طرقات خافتة على باب الغرفة الذي فتحته ريم لتجد نسمة التي حضرت لمؤازرة صديقتها وخلفها محمود يستأذن بالدخول، فور علمه من نسمة بسبب غياب الأخرى والوضع الصحي لصغيرها أدرك سبب ذلك الحزن الذي يظهر خلف نظراتها وإن حاولت اخفاءه، الحزن الذي

شغل تفكيره كثيرًا وكان يظن أنه بسبب طلاقها وتوديعها لرغد العيش مع زوجها السابق، دار بنظره في الغرفة فلاحظها وقد أولتهم ظهرها وانفصلت عن العالم متوحدة مع القرآن الذي تهمس به في خشوع، لاحظ خلو الغرفة من أي شخص عدا الثلاث صديقات؛ والد الطفل غائب عكس ما توقع ولا ظهور لأي من عائلته أو عائلتها فاستأذن بخفوت:

. هجيب حاجة وراجع

قادته قدماه حتى مقصف المشفى، كما علم فإن الجراحة ستستغرق ساعات ووحده الله من يعلم

بما سيحدث بعدها، اختار بعض من العصائر والكعك المغلف وعاد للغرفة يمنحهم لنسمة التي شكرته، استشعر الحرج من وجوده وسطهن فاستأذن موجهًا كلماته لنسمة:

. أنا في الكافيتيريا لو احتاجتوا حاجة كلموني

القى نظرة عابرة على المنفصلة عنهم وهي لا تزال على حالها دون انتباه لما حولها وانصرف عائدًا للمقصف.

جلس على أحد الطاولات وقد أحضر قدحًا من القهوة يرتشف منه ببطء وذهنه مشوش بالكثير من الأسئلة التي لا يصل لإجاباتها،

المشفى الاستثماري الكبير مناسب تمامًا لحفيد الإمبراطور لكنه لا يفهم سر غياب حسام على الأقل، رفع قدح القهوة يرتشف منه وهو يهز رأسه استغرابًا من نفسه، للمرة التي فقد عدها يضبط نفسه متلبسًا بالتفكير بها، تجاهل ما قد يحمله ذلك من معنى مخبرًا نفسه أن ما تحمله من أسرار خلفها هو ما يثير فضوله متناسيًا أنه لم يكن بالمتطفل على أسرار الآخرين يومًا.

على الجانب الآخر كان هو متجمدًا خلف مكتبه بانتظار مكالمة هامة، ارتفع رنين هاتفه ففتح الخط ليأتيه صوت محدثه واضحًا:

. الولد دخل العمليات دلوقت

انقبضت كفه على الهاتف ورد بصوت جامد:

. لما يخرج كلمني

أتاه رد محدثه الموافق قبل أن يغلق الخط ويعود لجمود جسده، هناك في نقطة ما داخل قلبه وخزة تنبض بالقلق رغمًا عنه، مرت ساعة من الانتظار وهو يشعل تبغه ينفث به ارتباكه الذي لا يفهمه، ساعة أخرى وقد فقد القدرة على الثبات، التقط مفاتيحه وقاد سيارته دون هدف واضح، وجد نفسه أمام أحد المطاعم الذي يقع فوق هضبة مرتفعة نسبيًا، صف سيارته وترجل

يسير على الطريق الممهد صعودًا يجر قدميه وقد عقد حاجبيه بضيق من نفسه يعتريه لأول مرة، وصل للمطعم فجلس بطاولة نائية يطالع المسطح الأخضر البادي نزولًا حتى الطريق، قدح قهوة يليه كوبًا من الشاي وسيجارة تتبع أخرى وأفكاره تدور في فلك واحد، إن كان قلقًا على طفله الآن فلمَ لا يقو على التواجد جواره، عقله المشتت جذبه لمنطقة راحته فتواجده لن يشكل فارقًا للصغير، هو قدّم بالفعل ما يمتلك تقديمه وليس لديه المزيد الذي قد يفيد الطفل في شيء، أربع ساعات أخرى

أكملت الست ساعات اللازمة للجراحة، نفض عُقبُ السيجارة من كفه بعدما لسع الرماد أصابعه وهو غافل عن اكتمال احتراقها، بعدها ارتفع رنين هاتفه ليلتقطه بأصابع غفل عن ارتعاشها وهو يسمع الطرف الآخر:

. الولد في العناية المركزة

أنهى المكالمة دون رد وعاد نظره الثلجي رغم حرارة الجو يطالع الفراغ أمامه لوقت امتد حتى المساء.

في المشفى كانت هند تتلقى خبر خروج طفلها من الجراحة بقلب وجل، حضرت إحدى

المرضات فانتفضت هند تتعلق بساعدها ونظراتها تستنطقها والأخرى ربتت على كفها مبتسمة:

. الحمد لله خرج بالسلامة

لأول مرة منذ انتزعوه من بين أحضانها تستطيع التقاط أنفاسها براحه، لهفتها ظهرت جلية بصوتها:

. عايزة أشوفه

ابتسمت الممرضة مرة أخري تمنحها بعض الراحة:

. أول ما دكتور العناية يسمح هبلغك

اقتربت كل من ريم ونسمة من هند، ريم تحتضنها بمباركة والأخرى تربت على كتفها بدعم:

. حمد لله على سلامة ضياء

التفتت هند إلى نسمة وقد انفلتت دموعها التي كبتتها منذ الصباح، جذبتها نسمة لتحتضنها بدعم هي الأخرى وهند التي انهار تماسكها تمامًا تزرف دموع فرحة مختلطة بالخوف على صغير هو كل ما تمتلكه بالدنيا، عند الباب كان هو يراقب المشهد بعدما علم من الممرضة بخروج الصغير، اقترب من ثلاثتهم ولأول مرة تلحظ

هند وجوده بالمشفى، رفعت رأسها تمسح دموعها ونسمة تلتفت إلى محمود:

. تعبناك معانا النهاردة يا بشمهندس

ابتسم محمود بود يهز رأسه نفيا:

. مفيش تعب المهم سلامة ضياء

وجه كلماته تلك المرة للصامتة التي فهمت من فحوى الحديث أنه كان حاضرًا منذ البداية:

. عايزة حاجة قبل ما أمشي؟

هزت هند رأسها نفيًا بامتنان:

. شكرًا يا باشمهندس

وهو حيا ثلاثتهن مودعًا قبل أن يوجه كلماته لهند:

. لو احتاجتي حاجة كلميني

شكرته بإيماءة من رأسها قبل أن ينصرف، بعدها كانت ريم تتناول علبة عصير وتمنحها لهند التي رفضت:

. مش هقدر قبل ما أشوفه

حاولت نسمة الاعتراض فهي لم تتناول سوى الماء منذ الصباح لكنها أصرت وتركتهما:

. هشوف الممرضة اتأخرت ليه

بعد انصرافها التفتت نسمة تطرح السؤال الذي شغل بالها منذ الصباح:

. مفيش حد من أهلها جه؟

هزت ريم رأسها نفيًا بأسى وهي تجيب:

. هي مقالتش لحد

زفرت أنفاسها حزنًا على حال صديقتها وهي تضيف:

. لحد دلوقت رافضة تكلم مامتها يادوب أخوها اللي بترد عليه

مع نهاية جملتها كانت هند تندفع إلى الغرفة

تلقي بجسدها على أحد المقاعد، تستند بمرفقيها

إلى ركبتيها واضعة رأسها بين كفيها وتنطق يأسًا:

. بيقولوا مش هشوفه قبل ست ساعات تانيين

اقتربت نسمة تربت على كتفها برفق:

. هم أدرى بمصلحته

تناولت علبة العصير ومنحتها إياها مصرة:

. لما يفوق هيحتاجلك قوية

رفعت هند رأسها فمنحتها نسمة نظرة مشجعة لتلتقط علبة العصير وترتشف ببطء، طالعت الساعة وعادت لصديقتيها:

. الوقت اتأخر روحوا انتو

التقطت ريم طرف الحديث وقد استندت إلى ظهر المقعد بأريحية:

. أنا هبات معاكِ

وجهت نظرها إلى نسمة مكملة:

. روحي إنتِ علشان ولادك

هزت نسمة رأسها بتفهم وهي تودع صديقتيها:

. هتصل بيكم كل شوية

وتركتهما مغادرة فالتفتت هند إلى صديقتها معترضة:

. ملوش لزوم تباتي

هزت ريم رأسها نفيًا بحزم فبقائها ليس من أجل صديقتها فقط ولكنه من أجل صغير اختطف قلبها عنوة ورغمًا عنها لن تستطيع الرحيل قبل الاطمئنان عليه.

في المساء سمح الطبيب لهند برؤية الصغير لدقائق معدودة، رافقتها إحدى الممرضات بعدما ارتدت الزي المُعَقم، وعند باب غرفة

الرعاية الفائقة منحتها الحذاء البلاستيكي واصطحبتها حيث فراش الصغير الغافي بفعل الأدوية، شهقت حتى كادت أنفاسها تتوقف وهي ترى صغيرها مختفي أسفل الأسلاك الملتصقة بصدره الضعيف، اللاصقة الطبية بمنتصف صدره مشيرة لجرحه، وتلك الأنابيب الخارجة من الجسد النحيل حاملة بقايا دماءه، جهاز وريدي غُرس برقبته وآخر بذراعه الصغيرة وذلك الأنبوب الملتصق بأنفه، كعادتها مع حالات مماثلة أخذت الممرضة تمنحها بعض الطمأنينة ببساطة:

. هو فاق من البنج بس اديناله منوم تاني

ابتلعت هند لعابها بصعوبة وقد تعلقت عيناها بصغيرها دون قدرة على الرف:

. الحمد لله الحالة مستقرة واترفع من على التنفس الصناعي

تجمدت هند على وقفتها حتى ربتت الممرضة على ظهرها تدفعها للمغادرة، تطلعت إليها في رجاء خافت بالبقاء فهمته الأخرى فأجابت:

. وجودك هنا مش هيفيده هو هينام للصبح

عادت تربت على ظهرها برفق لتطيعها هند عائدة إلى الغرفة حيث أمامها المزيد من ساعات الانتظار التي لا تنتهي.

**

عند منتصف الليل كان لا زال يتجول بسيارته دون هدى، توقف بالسيارة أمام المشفى الكبير وكفيه تقبض على المقود، نظراته الزجاجية مثبتة على نقطة وهمية أمامه دون أن تعكس تضارب أفكاره، التقط هاتفه يتصل بآخر وما إن فُتح الخط حتى نطق بحزم:

. أنا برة

ترجل من السيارة بعدما أغلق الهاتف ليجد الآخر بانتظاره وقد أعد ترتيباته كما أمره، الغرفة خالية تمامًا إلا منهما والصغير الغافي، لأول مرة تقع عينيه على طفله الوحيد منذ ولد، كفيه منقبضان بعنف جوار جسده حتى كادت أظافره أن تخترق لحمه، أوداجه منتفخة تنبض بالتوتر إثر كزه على أسنانه وشفتيه التي انطبقتا على بعضهما بقوة، لم يستطع تبين ملامح الصغير التي اختفت أسفل كل تلك الأسلاك والشرائط اللاصقة التي تغطي جسده الضعيف، لدقائق

تجمدت قدماه وهو يطالعه ثم التفت منصرفًا دون كلمة لمرافقة.

**

يوم طويل مر عليها وهي ترافق صديقتها بالمشفى عادت بعده لبيتها فاندفع صغيرها إلى أحضانها وهي احتوته بشوق ليهمس الصغير:

. اتأخرتي ليه؟

رتبت خصلاته التي استطالت مؤخرًا في حنان وهي تعتذر:

. أنا آسفة يا نوري

طبعت قبلة على وجنة الصغير وهي تكمل:

. هغير هدومي ونقعد مع بعض شوية

تخطته باتجاه غرفتها ليأتيها صوته متسائلًا:

. هو رائد مش جاي؟

تعلُق طفلها بشقيقها يزداد وهي لا تستطيع منعه عن تعويض مشروع وإن خشيت عليه صدمة متوقعه، التفتت تهز رأسها نفيًا بحنان وتوضح:

. عنده شغل

بعد دقائق كانت جوار الصغير تساعده في تركيب أحجية أحضرتها حديثًا له بينما نادين تطالع جهازها اللوحي، رفعت نسمة نظرها إلى ابنتها لائمة:

. وقت التاب زاد عن الأول

انتبهت نادين إلى والدتها وهي توضح:

. بتسلى يا ماما إحنا في الأجازة

هزت نسمة رأسها نفيًا بعدم رضا:

. في حاجات تانيه تتسلي بيها ده غير وقت النادي

لم ترد نادين وإن امتعضت، طالعت نسمة ساعتها وعادت توجه كلماتها للطفلين معًا:

. يالا معاد نومكم جه

طبع نور قبلة على وجنة أمه ونهض تبعته شقيقته التي وجهت نسمة كلماتها لها:

. سيبي التاب هنا

أطاعتها الصغيرة وخطت إلى غرفتها نزقة بينما نسمة تلتقط جهاز ابنتها وتتصفح مواقع التواصل بين صفحات عامة ومحادثات بينها وبين رفيقاتها، أغلقت الجهاز ووضعته جانبًا بعدما اطمأنت لخلوه مما يدعو للقلق، لولا حنان

نادر على ابنته ما وافقت على امتلاكها لجهاز ذكي في هذه السن الصغيرة، حضرت والدتها التي كانت تشاهد ما يحدث لتجلس بمواجهتها ويصدر صوتها حاملًا بعض اللوم وإن قصدت النصيحة:

. صاحبي البنت

طالعت نسمة أمها بحياد، كعادتها تتخذ دور الناصح وتعتبرها غير أهل للتصرف وإن انتصف عقدها الرابع، بعد ما علمته من فارس حاولت تجنب الحوار معها لكنها لازالت مصرة على اعتبارها طفلة، بادلتها لومًا بآخر:

. وإنتِ مصاحبتنيش ليه؟

بُهتت السيدة زينب للوم ابنتها التي باحت لأول مرة بما تضمره لسنوات منذ وفاة والدها وهي بعمر الرابعة عشر لتفقد معه الحنان، كانت بأشد الحاجة وقتها لمن يحتوي شتاتها وانتظرت والدتها لتقترب لكن الأخرى لم تفعل يومًا، صدر صوتها حزينًا وهي تبوح بأمنيتها:

. عمرك ما قربتي مني

منحت أمها نظرة عتاب تكمل:

. على طول تتصرفي بالنيابة عني

بادلتها والدتها عتابًا بآخر وهي تدافع عن نفسها:

. أنا أم بتدور على مصلحة بنتها وتعملها

رفعت نسمة كفها تشير لصدرها بيأس من والدتها:

. من غير ما تعملي اعتبار لوجودي؟

أكملت السيدة زينب دفاعها دون أن تستطيع فهم سبب استياء ابنتها لقد أنفقت عمرها في سبيل حماية طفليها عقب وفاة زوجها فما الخطأ الذي ارتكبته لتقابل بجحود ابنتها التي كانت

مراهقة غافلة عن نفوس البشر حولها، تهدج صوتها بحزن حاولت ألا تبديه وهي تقرر:

. إنت كنتِ صغيرة

نهضت نسمة تخطو ببطء نحو النافذة وقد شردت بما علمته مؤخرًا:

. وده يديلك الحق ترفضي فارس من غير ما أعرف إنه اتقدملي؟

قامت السيدة زينب تخطو تجاه ابنتها التي توليها ظهرها وقد علمت سبب كل ذلك النزق، لا تتعجب إن قص على ابنتها كل ما كان بينهما واستماتتها في الحيلولة بينه وبينها ليبرئ نفسه

أمامها، وللحق لا تلومه فخطأه الوحيد كان توقيته الغير مناسب:

. مكانش ينفع اسيبه يشغلك عن مستقبلك

عادت بذاكرتها لتلك السنوات التي مرت عليها عصيبة بين وحدتها بعد رحيل زوجها، تصديها للطامعين بها وتحملها للمز المحيطين بل ومراهنة البعض على فشلها وهي التي قبلت التحدي وأقسمت أن يتعجب الجميع من نجاح طفليها ليظهر ذلك الشاب بحياة ابنتها وإن كان سليم الغرض لكنها لم تكن لتسمح بارتباطها في هاته

السن الحرجة، رفعت كفيها بقلة حيلة وصوتها يرتفع وهي تقرر دفاعًا عن نفسها :

. ما كنتش هسمح بارتباط وإنتِ بتدرسي

التفتت نسمة بعنف تواجه والدتها وقد ضاقت نظراتها غيظًا توجهها لنقطة الخلاف:

. وما قلتيليش لية؟

تقدمت خطوتان وصوتها تحول للتحدي وهي تكمل:

. مش يمكن كان رأيي يكون نفس رأيك؟

ضيقت السيدة زينب عينيها اندهاشًا، في نفسها تعترف أنها فشلت في إيجاد لغة مشتركة بينها وبين ابنتها طوال تلك السنوات، أجابت سؤالها بآخر:

. ولما هو نفس رأيي زعلانه ليه؟

لوحت نسمة بذراعيها في الهواء يأسًا وهي تقرر ما تنكره عليها أمها:

. علشان كان من حقي أعرف

دارت بخطواتها بالغرفة وهي تعود بذاكرتها لتلك الفترة من حياتها ووالدتها تتعمد نقل أخباره

وسط أخبار العائلة الواحد تلو الآخر وكأنها تستمتع بعذابها:

.كنتِ بتفكري في إيه وإنتِ بتنقلي أخباره، فارس خطب....اتجوز.....مراته حامل....خلف بنت

التفتت تواجه والدتها مرة أخرى تنظر بعمق عينيها وتكمل:

. عمرك حسيتِ بيَ بعد كل خبر منهم

ضمت قبضتها تضرب بها صدرها وتتذكر سنوات جرحها التي عاشتها وحيدة دون قدرة على البوح:

. عمرك شفتِ دموعي بعد كل ليلة تجيبي فيها سيرته

ربعت ذراعيها تحتضن نفسها بدعم كانت تبحث عنه يومًا ولم تحصل عليه، تلتقط أنفاسها وتكمل البوح بمعاناتها:

. سنين عايشة الجرح وأنا نفسي أفهم ليه قرب وليه بعد

اقتربت السيدة زينب من ابنتها تربت على كتفها وتعيدها لنقطة اتفاق:

. ما تنكريش إن ده كان الصح

أغمضت نسمة عينيها بألم تعلم أن والدتها محقة ولولا ما فعلته لما قابلت حبها الحقيقي، هزت رأسها موافقة وكلماتها لازالت تلوم:

. بس لو كنتِ قلتيلي كنتِ جنبتي قلبي جرح كبير خبيته عنك

ابتسمت السيدة زينب بحنان وهي تكمل:

. بتقولي كدة علشان كبرتي لكن وقتها مشاعر المراهقة كانت هتصوريني الشيطان اللي فرق بينكم

أولتها ظهرها وقد صعُب عليها الاعتراف بخطئها فهمست:

. يمكن غلطت وما قربتش منك

ابتلعت لعابها وتلك المرة نصيحتها خرجت

صادقة فوصلت ابنتها دون لوم:

. ما تكرريش غلطي مع بنتك

عادت تواجهها وتوجه نظرها للمثال الصادق

أمامها ربما رغبت في سلك طريق آخر غير ما

اتخذته هي قبل سنوات:

. وما تدفنيش نفسك في الماضي وتضيعي

المستقبل

اقتربت تعيد التربيت على كتفها بحنان:

. فكري في طلب فارس

ابتسمت نسمة بسخرية رغم حنان والدتها البادي وهي تسألها:

. مش ده اللي رفضتيه؟ دلوقت عايزاني أفكر؟

تجاوزت السيدة زينب سخرية ابنتها تحاول غمرها بحنان وإن تأخر:

. رفضته علشان الوقت مش الشخص

شردت نسمة وقد اختنقت مرة أخرى من مجرد الفكرة فلا تستطيع تخيل نفسها بين أحضان رجلًا غير حبيبها الراحل، همست وقد بدأت غلالة دموعها في التكون:

. صعب

رفعت السيدة زينب كفها تربت على وجنة ابنتها وتمنحها بسمة مطمئنة:

. بس مش مستحيل

وانصرفت لتتركها تصارع أفكارها فما بين حبيب راحل وآخر عائد بقوة تتأرجح هي على الحافة.

**

صباح اليوم التالي ورغم ليلتها الطويلة بالمشفى برفقة صديقتها إلا أنها كانت بكامل أناقتها بأول أيام المؤتمر الذي أعدت كلمتها به سابقًا، ودعت صديقتها بعدما اطمأنت من الطبيب على استقرار وضع الصغير وتوجهت إلى الفندق الذي يستضيف المؤتمر، أنهت كلمتها وسط تصفيق الحضور وترجلت عن المنصة تاركةً المؤتمر كله فلا طاقة لها بمجاملات مفتعله، انتقلت للمركز التجاري الملاصق للفندق عازمة على قضاء بعض الوقت قبل العودة للمشفى.

تجولت بالمركز التجاري حتى دلفت أحد محال لعب الأطفال فالصغير عندما يفيق سيحتاج لكثير من الإلهاء حتى يتناسى ألمه، اختارت عدة ألعاب بعضها أشكال لحيوانات تصدر أصواتًا محببة وبعضها تضيء في الظلام وتوجهت إلى عامل الحسابات، أخذت دورها بانتظار الدفع فأتاها صوته مبتهجًا من خلفها:

. يا محاسن الصُدف

التفتت تواجهه مندهشة من وجوده لتطالع العلبة الكبيرة التي رفعها قليلًا يضيف بمرح:

. طب أنا بجيب لنور بامبلبي

ابتسمت تطالع الألعاب الصغيرة المناسبة لعمر ضياء وهي توضح:

. وأنا بجيب لضياء

حان دورها فوضع لعبة نور جوار ما اختارته من ألعاب وبلطف أزاحها ليدفع الحساب كاملًا وسط ذهولها، خرجا سويًا فالتفتت له معاتبة:

. ممكن أفهم دفعت ليه؟

منحها نظرة عابثة بطرف عينه وهو يشير بأصبعه ويضيف:

. بصي يا دكتورة أمي علمتني طول ما في بنت معايا ما تفتحش شنطتها

ثم استدرك مازحًا وهو يكمل سيره:

. إلا لو هتطلع روج

ابتسمت لأسلوبه الفكاهي الذي عمد لأن يشبه أحمد السقا في أحد الأفلام الشهيرة وهو طالع هيئتها الرسمية حيث ارتدت فستان باللون الأزرق الملكي يحتضن جسدها في رقي وينسدل حتى أسفل الركبتين يعلوه سترة صيفية باللون الوردي بالكاد تصل لأسفل الصدر وعلى يمين ياقتها ترتاح وردة بلون الفستان، أنهى تأمله وعبر عن إعجابه صراحة:

. بس إيه الشياكة دي يا دوك؟

رفعت ريم كفيها لتمسك بياقة سترتها وتبادله الحديث بدعابة:

. طول عمري شيك

أومأ رائد برأسه موافقًا وهو يقودها حيث الدور الأعلى فسألت مندهشة:

. إحنا رايحين فين؟

التفت رائد للخلف حيث كان على درجة أعلى من السلم المتحرك وهو يخبرها بفكاهته:

. جعان وعازمك على الغدا

ضحكت ريم لإجابته فهي كانت ترغب بالعودة لهند:

. طب إنت جعان أنا كنت ماشية

ضم رائد شفتيه بامتعاض مفتعل وهو يخبرها:

. ما بحبش آكل لوحدي

ثم أحنى جذعه قليلًا وكأنه يخبرها سرًا:

. هأكلك أكلة محصلتش

هزت ريم رأسها بيأس من رفض عرضه فتبعته حتى المطعم، اختار رائد أحد الطاولات المطلة

على بانوراما المركز التجاري وتناول قائمة الطعام من يد ريم وقرر مناقشتها:

. أنا بقى نفسي في الكوارع إيه رأيك؟

علامات الامتعاض التي ظهرت على وجه ريم أخبرته بإجابتها قبل أن تنطق بها وهي تهز رأسها نفيًا:

. ما بحبهاش

أخفض رائد رأسه ويرفع عينيه ناظرًا لها بتوجس:

. طب طاجن عكاوي؟

ضحكت ريم لسؤاله المتشكك والذي كان في محله فهي ليست من هواة تلك الأطعمة:

. الكلام الكبير ده أنا مليش فيه

ضحك رائد وأضاف يأسًا منها:

. طب ريّش

رفع سبابته محذرًا وهو يضيف بفكاهة:

. أظن دي عادي أوعي تقولي ما بحبهاش

أومأت برأسها إيجابًا تكتم ضحكتها وهي تجيب:

. دي عادي

طلب الطعام؛ طاجن من الكوارع له وطبق من الريّش خاصتها، وهي تناولت طلبها باستمتاع بينما رائد حاول دعوتها للتجربة وضع قطعة من الكوارع بالطبق ومد كفه إليها:

. تدوقي؟

هزت رأسها نفيًا برفض واضح وهي تطبق فمها على قطعة اللحم به دون النظر لتلك التي تتراقص بالصحن ويدعوها لتجربتها قبل أن يعيده أمامه ويكمل:

. البرنس بيعملها أحلى هبقى أخليكِ تجربيها من عنده

ابتسمت ريم لأوهامه فوالديها حاولا كثيرًا دفعها لتجربتها دون جدوى بينما هو يتخيل أنها ستجربها ببساطة يُحسد عليها، قطع أفكارها رنين هاتفه، التقط رائد منشفة ورقية يمسح يديه ويطالع الهاتف معلقًا:

. دي صاحبتك

فتح الخط فأتاه صوت شقيقته لاهثًا بخوف:

. إلحقني يا رائد ماما تعبانة قوي

الفصل الثاني والعشرون

اطرق جدار اليأس بمعول الأمل لتهدمه

فيكفي في الظلام أن تضيء شمعة تبدده

**

. الحقني يا رائد ماما تعبانة قوي

انتفض عن مقعده يشير للنادل بإحضار

الحساب وهو يجيبها بقلق:

. مالها؟

انتقل قلقه لمرافقته فالتقطت حقيبتها ونهضت تتابع حديثه بالهاتف وهو يلقي ببعض النقود على الطاولة ويسرع باتجاه السلم المتحرك، انتبهت لحقيبة الألعاب التي نسيها فحملتها وأسرعت خلفه بعد أن أنهى المكالمة مع شقيقته، وصلت بالقرب منه عند بداية السلم فعاجلته بالسؤال:

. في إيه؟

لم ينتظر تحرُّك السلم البطيء وقفز فوق الدرجات يختصر الطريق ويجيبها:

. ماما تعبانة

حاولت اللحاق به لكن ضيق ثوبها مع حذائها ذو الكعب المرتفع لم يسعفاها فتبعته عن بعد نزولًا حتى موقف سيارات المركز التجاري، كان قد اقترب من سيارته عند دلوفها للموقف بينما سيارتها تقف في الاتجاه المعاكس، رفعت صوتها وهي تتخذ طريقها لسيارتها:

. هحصلك بعربيتي

رفع كفه مشيرًا لها حين انطلق بسيارته بأقصى سرعة ممكنة داخل الموقف، في الطريق ضغط رقم الطبيب الخاص بوالدته يستدعيه في زيارة منزلية، وصل منزل نسمة فضغط جرس الباب

لتفتحه شقيقته متعجلة، دلف سريعًا حتى الفراش حيث تستلقي السيدة زينب بإعياء واستفسر من شقيقته:

. ما كلمتنيش بدري ليه

تبعته نسمة حتى غرفة والدتها تقص عليه ما حدث:

. أنا لسة راجعة من الشغل، نادين بتقولي إنها كانت تعبانة من الصبح ويادوب لسة بكلمها لقيتها داخت كلمتك على طول

مع نهاية كلمتها كان جرس الباب يرتفع فأوضح رائد:

. ده الدكتور أنا كلمته

ارتدت نسمة حجابها وفتحت الباب لتواجه ريم بدهشة من حضورها، أفسحت الطريق مرحبة بصديقتها لتدلف ريم وتضع حقيبة الألعاب الكبيرة جوار الباب، تنحنحت حرجًا وهي تسأل:

. سلامة طنط

فغرت نسمة فاهها اندهاشًا دون استيعاب كيف عرفت بمرض والدتها، عندها اندفع الصغير فور أن رأى ما تحويه العلبة، وانطلق صوته بسعادة:

. جبتي لي بامبلبي؟

مسدت ريم شعر نور ببسمة حنون وأوضحت:

. خالو رائد اللي جابهولك

التقطت نسمة طرف الخيط، رفعت حاجبها بمكر وسألتها:

. إنتو كنتوا مع بعض

تجاوزت ريم حرجها وردت بصوت حيادي:

. اتقابلنا صدفة في سيتي ستارز

هزت نسمة رأسها إيجابًا مع ارتفاع رنين جرس الباب مرة أخرى، تنحت ريم جانبًا مع نور

الذي انشغل بمحاولة اكتشاف لعبته الجديدة

واستقبلت نسمة الطبيب تقوده حيث غرفة

والدتها، ترك رائد الغرفة يمنح الطبيب الفرصة

وتوجه حيث صالة البيت يلقي بجسده على

الأريكة بإرهاق لاحظته ريم لتبادر:

. طنط عاملة إيه؟

اعتدل وقد انتبه لوجود ريم، هز رأسه بأسى

وأجاب:

. مش قادرة ترفع راسها

لاحظ نور يحاول تشغيل لعبته الجديدة فتذكر ما

حدث وعاد بنظره إلى ريم معتذرًا:

. آسف إني مشيت كدة

هزت ريم رأسها تنفي عنه حاجته للاعتذار ومنحته نظرة متفهمة حين خرج الطبيب بصحبة نسمة فنهض رائد يسأل عن والدته ليوضح الآخر:

. الضغط عالي قوي

منح رائد الوصفة الطبية وأكمل:

. أنا ادتلها قرص دلوقت والدوا ده تمشي عليه مع أدويتها

التقط رائد الوصفة الطبية واصطحب الطبيب

حيث باب البيت بينما الآخر يصافحه

ويضيف:

. أشوفها الأسبوع الجاي في العيادة علشان نقرر

هنستمر على إيه من الأدوية

هز رائد رأسه إيجابًا وودع الطبيب ثم التفت إلى

شقيقته:

. هنزل أجيب الدوا

نهضت ريم تستأذن بالانصراف:

. أنا كمان يادوب ارجع لهند المستشفى

ودعتها نسمة بود والتفتت تعود لوالدتها المريضة

بينما رائد وريم ترجلا حتى سيارة ريم، حاول رائد

استعادة مرحه رغم قلقه على أمه المريضة

فخرجت نبرته حزينة رغمًا عنه وهو يودع ريم

التي اتخذت مقعد القيادة:

. ليكِ عزومة تانية عندي

ابتسمت ريم بود وهي تودعه وتنطلق بسيارتها،

بالأعلى كانت نسمة قد أعدت كوبًا من عصير

الرمان لوالدتها ودلفت تجاورها، ساعدتها على

الاعتدال في نصف جلسة وحثتها على الشرب،

هي وإن كانت لم تحصل على صداقتها يومًا

لكنها لا تنكر ما حظيت به من رعاية خاصة بعد وفاة والدها وبعد أن وُضعت بذات الوضع تعلم كم كان هذا صعبًا على امرأة بعمر أمها الذي كان يقارب عمرها الآن، ارتشفت السيدة زينب القليل من مشروبها وهي تتطلع إلى القلق الواضح على ابنتها وتعترف لنفسها بفشلها في الاقتراب منها يومًا، احتوتها بنظرة معتذرة وهمست:

. اعذريني لو غلطت في حقك

ربتت نسمة على كف والدتها المستريح جوارها على الفراش ومنحتها بسمتها:

. قرارك كان صح

رغم كل ما حدث تعترف أن قرار أمها كان الصواب وإن أخفقت في طريق الوصول إليه، هزت السيدة زينب رأسها موافقة تخفض نظرها أرضًا واستدركت كلمات ابنتها:

. لكن معرفتش أصاحبك

زفرت نسمة أنفاسها فما كان قد كان ولا داعي لفتح جراح الماضي من جديد:

. مفيش داعي تلومي نفسك

عادت السيدة زينب بنظرها مرة أخرى تحتوي نظرات ابنتها في محاولة لتدارك أخطاءها الماضية:

. الحياة بدون شريك صعبة

أخفضت نسمة عينيها فلا طاقة لها بفتح ذاك الحديث مجددًا بينما والدتها تضيف وقد اسندت رأسها لظهر الفراش تشرد بالماضي:

. مش هتحسي بده غير بعدين

عادت لنسمة تمنحها خلاصة تجربتها مشفقة عليها من مستقبل عاشته قبلًا:

. ويمكن وقتها يكون فات الأوان

لم تجبها ابنتها إلا بنظرة مرتبكة، أمها مثالًا حيًا أمامها لشكل حياتها القادم، تُقسم أنها نجحت في مهمتها معها وشقيقها لكن تُرى أي ثمن تكبدته في سبيل ذلك!

***

مرت ليلتها طويلة تناجي الله أن يرد طفلها إليها مرة أخرى دون أن يُغمض لها جفن في الصباح ودعت صديقتها وقادتها قدماها حتى غرفة الرعاية ترابط أمام بابها حتى سمح لها الطبيب بإلقاء نظرة أخرى على ضيائها، في المساء كان قلبها قد هدأ وجيبه بعودة صغيرها إلى أحضانها،

نُزعت الأنابيب عن صدره تاركة ندباتها، اللاصقة التي تتوسط صدره لازالت مكانها تشطر قلبها لنصفين، وجهاز الوريد بذراعه وإن تبدل مكانه، أخبرتها الممرضة أنه تحت تأثير المسكنات لتجاوز آلام صدره مع بعض التعليمات عن وضعية النوم الصحيحة، حمدت الله أن مرت الجراحة بسلام فالقادم وإن كان صعب لكن الأصعب قد ولى، طرقات على باب الغرفة أخرجتها من شرودها بالصغير العائد، نهضت لتواجهه بهيئته الكلاسيكية،

دهشتها لحضوره ظهرت جلية على قسمات وجهها وهو ما لاحظه ليتنحنح حرجًا:

. ضياء عامل إيه؟

تجاوزت دهشتها تفسح الطريق له للمرور وهي تهمس بالحمد، دلف للغرفة فلاحظ الصغير على الفراش، وضع بعض الحقائب البلاستيكية التي أحضرها على المنضدة الوحيدة بالحجرة وأشار إليهم موضحًا:

. معرفش إيه اللي ينفع ضياء فلو حابة تبدلي حاجة قولي

انتبهت هند لما تحويه الحقائب من حفاضات للأطفال وبعض الوجبات المعدة مسبقًا، أخفضت نظرها حرجًا:

. تعبت نفسك يا باشمهندس

هز محمود رأسه نفيًا بارتباك لقد حاول منع نفسه عن الحضور لكن الصوت داخله الذي يهمس بأن هذا ما هو إلا واجب تجاه زميلة عمل فاز بالنهاية، قطع حديثهما وصول ريم برفقة السيدة رقية التي دلفت باشتياق واضح للصغير واندفعت تطبع قبلة على جبينه قبل أن تنتبه للواقف بحرج واضح وتراه لأول مرة،

عادت لهند تحتضنها ونظراتها تستفسر عن الضيف لتتولى ريم مهمة التعريف بينهما، وعندها حيا محمود السيدة رقية واستأذن بالانصراف، فور خروجه جذبت السيدة كف هند فأجلستها على أحد المقاعد وجلست جوارها وهي تسأل بصوت منخفض:

. متجوز؟

هزت هند رأسها نفيًا بدهشة بينما ريم ضحكت من أمها فكل ذكر بالغ عاقل في محيطها يُعتبر عريس محتمل، تجاهلت السيدة رقية ضحكات

ريم بينما تكمل استجواب هند ببسمة فهمتها الأخرى:

. طب مفيش حاجة كدة

ضحكت هند تلك المرة وهي تهز رأسها نفيًا مجددًا بينما ريم نطقت جاهدة من بين ضحكاتها:

. إيه يا ست الكل حطيتي هند في دماغك

لوحت السيدة رقية بكفها لابنتها دون اهتمام وهي تستند بظهرها لمقعدها:

. ملكيش دعوة إنتِ

وهنا تبادلت هند وريم الضحكات وريم تضرب كفًا بكف فطالما اعتبرت أمها هند كشقيقتها فلن يهدأ لها بال سوى بإيجاد زوج المستقبل.

***

هو رجل عشق امرأة واحدة بكل كيانه، اعتقد يومًا أنه يستطيع تخطيها وفشل حتى أيقن تغلغلها بين ثنايا قلبه، آمن بضياعها وسلّم بقدره طائعًا حتى مُنح حبه قُبلة الحياة التي تضن بها عليه، يعلم صعوبة طريقه لقلبها المغلق على آخر وينوي خوض السبيل مهما طال الوقت.

دلف غرفة ابنته التي عزم على مصادقتها وجعلها شريكة بقراراته كما بيته، فالشابة الصغيرة قوية الملاحظة لكن خيالها المراهق يتلاعب بها في كل وقت وهو ما لن يسمح به بعد اليوم، جلس جوارها فتركت هاتفها المحمول الذي كانت تتصفح مواقع التواصل الاجتماعي عليه وانتبهت لوالدها، أمسك فارس كفها برفق وألقى إليها بالخبر الذي يحمله ويجب أن تعلمه منه أولا:

. أنا اتقدمت لطنط نسمة

أخفضت لمى نظراتها دون رد حين اتبع فارس:

. وهي رفضت

رفعت لمى عينيها مرة أخرى لوالدها ولاحظت الحزن بصوته:

. حضرتك زعلان

هز فارس رأسه نفيًا وهو يكمل:

. كنت متوقع

ابتسم بحنان يربت على وجنة ابنته:

. أي واحدة مكانها هتخاف

فغرت لمى فاهها دهشة ونطقت باستنكار:

. تخاف من حضرتك

ضحك فارس بخفوت يعيد هز رأسه نفيًا ويوضح لابنته:

. تخاف من حياة جديدة عليها وعلى ولادها

نهض فارس يزيح الستار عن نافذة الغرفة فيسمح لأشعة الشمس بالتسلل إليها ثم التفت إلى ابنته:

. علشان كدة عايزك تساعديني

نهضت لمى وهي تشير إلى نفسها وتبوح بسؤالها مندهشة:

. أنا؟

استند فارس بجذعه إلى إطار النافذة يربع ذراعيه أمام صدره ويهز رأسه إيجابًا وهو يوضح:

. طنط نسمة محتاجة تحس إننا هنكون عيلة متفاهمة

ضيقت لمى حاجبيها بعدم فهم وهو يلفت نظر ابنته لمضايقاتها الخفية لنادين دون لوم:

. محتاج إنك تقربي من نادين

اعتدل في وقفته يقترب خطوتين منها:

. إنتو سنكم قريب وتقدروا تكونوا أصحاب

هزت لمى رأسها إيجابًا وقد فهمت مغزى والدها فلا تنكر في نفسها أن غيرتها من الأخرى قد دفعتها لافتعال الأزمات مع نادين وشقيقها حتى باتت نادين تتجنب لقاءها أو الحديث معها حينها اقترب فارس منها يربت على وجنتها بحنان:

. أنا متأكد كمان إنك لو قربتي من طنط نسمة هتحبيها

احتوى فارس كتفيها يعلم ما كانت تعانيه ابنته كضلع زائد بأسرة أمها وهو ما لن يسمح

بتكراره مرة أخرى في سبيل تكوين أسرة حتى لو كانت مع من لم يعشق غيرها يومًا:

. أنتِ أهم فرد في عيلتي يا لومي، هتساعديني؟

ابتسمت لمى بحب ونظراتها تمنحه موافقتها رغم خوفها من أن يستبدلها والدها بأخرى إلا أنها لا تمتلك سوى أن تنهل من أمانه الذي يغدقه عليها يومًا بعد يوم.

***

مر أسبوع بكل ما به من آلام وخرج صغيرها من المشفى بسلام، اصطحبتهما ريم للمنزل حيث كانت السيدة الحنون بانتظار ضياء الذي

تلقفته من بين يدي هند بشوق تغمره بدعواتها وتصدر أوامرها بشكل لا يبيح النقاش:

. ضياء مش هيبات فوق السطح دلوقت خالص

همت هند بالاعتراض فعاجلتها السيدة رقية:

. مش عاجبك اطلعي إنت فوق وسيبيه

والتفتت مغادرة حيث غرفتها وأكملت دون انتظار رد الأخرى:

. ده لسة قايم من مرض محتاج رعاية

ابتسمت هند بأسى؛ إلى متى ستظل تنعم بحنان أم ليست لها وهل سيأتي اليوم الذي تضجر فيه

تلك الأسرة بما تقدمه، أخرجها من شرودها

تربيت ريم على ظهرها تقودها حيث غرفتها:

. ارتاحي شوية الأسبوع كان صعب عليكِ

هزت هند رأسها إيجابًا واستلقت على الفراش

وهي تهمس بارهاق:

. شوية وهطلع فوق هيثم جاي يشوفني

جلست ريم على فراشها المواجه لفراش هند،

رغم ما عانته صديقتها من خذلان عائلتها

لكنها ترى اصرار هند على تنحيتهم بعيدًا عن

عالمها مبالغ فيه خاصة مع اتصالات والدتها

المتكررة بما ترجوها أن تحث هند على الحديث

معها والأخرى على موقفها، همست ريم بسؤالها عن شقيق الأخرى:

. قولتيله؟

هزت هند رأسها نفيًا فحتى شقيقها الذي تسمح له بالتواصل معها على فترات لكنها تُبعده هو الآخر عن تفاصيل حياتها، أكملت ريم بلوم:

. ليه؟

أغمضت هند عينيها بألم تستعيد ما عانته طوال حياتها بالقرب منهم:

. أنا كدة مرتاحة

انتقلت ريم لتجلس جوار صديقتها تربت على كفها وتكمل:

. مامتك هتتجنن عايزة تسمع صوتك

زفرت هند أنفاسها بغضب بينما الأخرى تُكمل الطرق على باب قلبها علّها تفتحه مرة أخرى:

. متحمليهاش ذنب مش بتاعها

فتحت هند عينيها تطالع صديقتها دون رد، هي دون دراية منها أسقطت جُل غضبها على خنوع أمها الدائم لكن هل كانت تستطيع الانتفاض حقًا، وهي هل انتفضت إلا عنوة بعدما أُلقيت وطفلها بعرض الطريق ولولا تلك الأسرة وحده

الله يعلم ما كان سيئول له مصيرهما، نهضت بتثاقل وقد أتعبها التفكير وخطت نحو الباب تقر لصديقتها:

. أنا طالعة لو ضياء احتاجني ناديلي

هزت ريم رأسها بتفهم تمنح الأخرى الفرصة للاختلاء بنفسها، وهند صعدت حيث غرفتها، جلست على أحد المقاعد تتطلع إلى شمس الشفق حين دلف شقيقها متذمرًا:

. السلم عالي قوي

التفتت هند إليه حين جاورها وهو يكمل:

. بقى بعد الشقة اللي يرمح فيها الخيل تعيشي فوق السطح؟

نهضت هند تداري غضبها من نظرة شقيقها المادية لكل شيء، رغمًا عنها تشفق عليه فهي تدرك أي حرمان يحياه في كنف والدها، تجاهلت الرد على تعليقاته وهي تسأل:

. تشرب شاي؟

هز هيثم رأسه إيجابًا وتبعها إلى الغرفة يجلس على الفراش الوحيد بها بينما هند توليه ظهرها، انتهت من إعداد كوبين من الشاي والتفتت لتلحظ شقيقها وهو يعبث بمحتويات حقيبتها:

. خلاص معادش فيه

انتفض هيثم يسحب كفه بذعر وقد اتسعت حدقتاه دهشة من تعليق شقيقته ليسأل بخزي:

.كنتِ عارفة؟

هزت هند رأسها إيجابًا وهي تمنحه كوب الشاي خاصته وتجلس جواره:

. وساكتة

أخفض نظراته خجلًا من شقيقته التي وضعت كوبها جانبًا وربتت على كتف شقيقها تحثه على تعديل مساره:

. إنتَ فرصتك أحسن مني

رفع هيثم عينيه إليها وقد ألجمه الخجل وهي تكمل:

. اشتغل وابعد عنه

ابتسم هيثم بسخرية فسنوات حرمانه التي عاشها لا يستطيع أي عمل تعويضها بينما هند ترى سخريته واضحه فتنير له طريقًا كان مظلمًا أمامها يومًا فشقيقها الذي عانى كثيرًا بسنوات دراسته وبالكاد حصل على شهادة متوسطة يمتلك من المهارة كنجار ما يؤهله للكسب الحلال:

. إنت لسة صغير ومعاك صنعة تقدر تبني نفسك بيها

هز هيثم رأسه إيجابًا دون اهتمام فشقيقته التي تخلت عن رغد العيش وتبدي سعادتها بغرفة فوق السطح لن تدرك نهم نفسه للمال الذي حُرم منه طوال حياته الماضية.

***

بعدما مر به العمر وأدرك أنه قد أدى ما عليه من أمانات لأصحابها، قام بدوره كأخ أكبر وأب بديل على أكمل وجه ممكن فلا عيب من التفكير بما فاته خلال رحلة واجبه تلك، خاصة

وأن صورتها باتت تداعب خياله، وهي تعمل بشرود، وصوتها يهمس بالآيات دون أن يصله واضحًا، حتى صورتها وهي تزرف دموعها خوفًا وفرحًا عقب خروج طفلها من الجراحة، نظراتها الخجلة وملامحها الهادئة بحزن؛ كل هذا دفعه للتفكير فيما أهمله طويلًا، كان قد طوى الفكرة طي النسيان فأعادها خيالها للصحو من جديد، لم ينم ليلته فور أن عقد العزم على المضي قدمًا، دلف للشركة التي جاوز غيابها عنها العشرة أيام فتخطى مكتبها الذي بات يثير غضبه بخلوه منها، طرق باب مكتب نسمة فسمع إذنها

بالدخول، دلف يحاول مداراة ارتباكه أمامها، جلس يمسح عن جبهته عرقًا وهميًا فهو لم يجد غيرها ليتحدث معها في هكذا موضوع، لاحظت نسمة تردده وصمته على غير عادته:

. خير يا باشمهندس

ابتلع لعابه وكرجل عملي يعلم أن الخط المستقيم هو أقصر الطرق بين نقطتين بدأ حديثه مباشرة:

. في موضوع ملقيتش غيرك تساعديني فيه

تركت الملف الذي كانت تتصفحه وانتبهت لحديثة:

. تحت أمرك

يعلم قربها منها ويجهل أي معلومات عن عائلة الأخرى أو محل سكنها لذا فهي الوحيدة أمامه، ألقى بالخبر بوجهها فارتفعت حاجباها دهشة من مفاجأته:

. أنا نويت اتجوز

الفصل الثالث والعشرون

دقة..دقة

تدور عقارب الساعة

يطرق الأمل أبواب القلوب المتعبة

فيفتح طريق الرجاء

لسرب الفراشات المحلقة

***

قالوا يومًا إن أردت أن تذيع سرًا أخبره لامرأة واهمس لها بكونه سرًا، وهي لم تتمالك فرحتها حين أسر لها شقيقها بعزمه على الزواج والحقيقة أنها لم تفشِ سره لأحد؛ فقط شقيقتيها وزوجها وابنها البكر "محمود" الذي اسمته تيمنًا باسم شقيقها الأكبر لكنها لن تكترث لما سيفعله فكيف لها أن تُنفذ ما أرادت دون معاونتهم، منذ الصباح الباكر جندت شقيقتيها الأصغر هنا وغنى في مهمة شاقة، جمعن أثاث البيت بالكامل بمنتصف الصالة وقمن بتغطيته، ابنها البكر كانت مهمته إحضار سباك لمراجعة

وصلات المياه وتغيير التالف منها ثم إحضار كهربائي لعمل مماثل قبل أن يبدأ النقّاش الذي اتفق معه زوجها عمله في اليوم التالي في دهان حوائط البيت القديم.

أنهى محمود عمله وعاد ككل يوم إلى منزله ليواجه الفوضى، وقف بمنتصف صالة بيته يطالع شقيقاته الثلاث بذهول، خطى خطوتين ناحية حلا أكبرهن والتي تصغره بثلاث سنوات فقط، ضم شفتيه بلوم تبع لوم نظراته وهو يقرعها بلطف:

. أنا غلطان إني قلتلك

انطلقت غنى نحوه بمرح تتعلق بذراعه وترفع نظراتها إليه بلوم هي الأخرى:

.كنت عايز تخبي عليَ يا حوده

سحب ذراعه من شقيقته ببطء يلتفت لثالثتهن ويسأل:

. ممكن أفهم بتعملوا إيه هنا انتو التلاته

اقتربت هنا منه تربت على كتفه بحب وتوضح:

. شوية سباكة ونجارة وبكرة النقاشة

عاد بنظراته يواجه حلا بغيظ فقطعت سؤاله بتقرير:

. افرض العروسة وأهلها حبوا يشوفوا الشقة

مش المفروض تكون جاهزة؟

ضرب محمود كفًا بكف وهو يوضح بملل:

. هي العروسة لسة خدت خبر أصلا؟

خطت حلا نحو شقيقها تتعلق بذراعه وتقوده

نحو الشرفة وهي تقول:

. وماله نبدأ من دلوقت علشان ناخد وقتنا

عند باب الشرفة التفتت إلى شقيقتيها:

. اعمليلنا شاي يا غنى وإنت يا هنا شوفي محمود

الصغير اتأخر ليه

كانت تريد الانفراد بشقيقها وقد كان، حلا هي أقربهن له بالعمر ومن شهدت تضحياته عقب وفاة والدهما وهي بعمر الرابعة والعشرين وقتها كانت خطبتها على زوجها معلنة بينما شقيقها كان قد اقترب من إعلان خطبته على حب عمره؛ زميلته بالجامعة التي نبض قلبه لها وأنفق سنواته عقب تخرجه في سبيل ادخار ما يستطيع بدء حياته به حتى حدث ما حدث وتُوفيَّ والدهم لتفقد الأسرة راتبه فالمعاش الذي مُنح بعدها لأمه وشقيقاته لا يكفي لسد جوعهم

لأسبوع واحد وقتها حمل هو على عاتقه مسئولية الأسرة دون كلل.

جلست حلا بالكرسي المواجه لشقيقها تتطلع إليه بينما يتطلع هو إلى الطريق وتتذكر عندما أسرَ لها باعتذاره من حبيبته وتخليه عن زواجه منها لأجلهم وقتها لامته على خذلانه لمن انتظرته سنوات لكنه كان واضحًا معها فبالنسبة له الأفضل أن يحررها من حبه على أن تنتظره إلى ما لا يعلم؛ جملته التي طُبعت بذاكرتها لا يزال صداها يتردد حتى الآن ليعلن أي قلب يمتلك ذلك الرجل:

. لو واحدة فيكم مش هرضالها كده

دلفت غنى فوضعت كوبيّ الشاي على المنضدة الصغيرة بينهما وأشارت لها حلا بالعودة إلى الداخل فأطاعتها لتختلي بشقيقها فهي تعلم ما يؤرقه حقًا:

. مكشر ليه بس

انتبه محمود من شروده على صوت شقيقته، يعلم أنها أكثر من تفهمه بينهن فأوضح دون مواربة:

. لزومها إيه المصاريف دي

ابتسمت حلا بحنان رغبة في تخفيف توتره:

. ما تشيلش هم إحنا هنتصرف

ضرب بكفه على سور الشرفة بغضب وهو يرى شقيقاته مصرات على ما رفضه لسنوات:

. بيوتكم أولى مش هتصرفوا عليَ

ضم قبضته يدق بها أعلى السور وهو يؤكد كلماته:

. أنا هشرحلها امكانياتي ناسبها خير مش مناسب كل واحد يروح لحاله

امتدت كف حلا تمسك بقبضته المضمومة تثبتها بدعم وعيناها ترسل عرفانها بجميله ذلك الغاضب منحها يومًا ما كان يدخره لخطبته في

سبيل إكمال تجهيزات زفافها التي لم يمهل القدر والدها ليكملها ويأبى الآن منحها الفرصة لسداد جزء من دينها نحوه:

. بيوتنا دي لولاك مكانتش اتبنت

ربتت على كفه بحنان وهي تكمل:

. إحنا مهما عملنا مش هنرد جزء من اللي عملته لينا

هم محمود بالاعتراض لتوقفه بإشارة من سبابتها وتكمل بتقرير:

. النقّاش جاي بكرة واتفقت مع نجار يشتري الأوضة الكبيرة

اتسعت حدقتي محمود بدهشة وشقيقته تضعه أمام الأمر الواقع وتعرض مخططها كاملًا:

. وبحق الأوضة هيدهن أوضة الأطفال ويجددها

أمسكت كوبًا من الشاي فناولته إياه وتناولت الأخر تستند بظهرها إلى المقعد وتلقي نظرة على باقي الأثاث القديم فهي تنوي بيعه هو الآخر وشراء أرائك جديدة لكنها لن تصرح بذلك فشقيقها سيرفض حتمًا إن علم بتحملهن لفارق السعر، يكفيه أن تقبل ما تفوهت به حتى الآن على مضض، ففي بعض الأحيان يجب أن تتصرف نيابة عمن تحب فقط لأنك واثق من أنه

لن يتقبل عونك وهو في أمس حاجته إليه وهو ما عزمت عليه حلا وشقيقتيها.

***

وسط تلاطم أمواج الحياة يمنحنا القدر فرصة ثانية للبدء من جديد، وهي ترى فرصة صديقتها سانحة لحياة أفضل، أنهت لقاءها مع محمود وتوجهت حيث منزل عائلة ريم كانت الزيارة بالأساس للاطمئنان على الصغير العائد من المشفى لكن الله منحها الفرصة لتحمل معها النبأ السار، صافحت السيدة رقية ثم دلفت الغرفة التي تضم صديقتيها وضياء، جلست

نسمة وقد اطمأنت على استقرار وضع الصغير، وجهت نظرها لهند وأفصحت عما بجعبتها:

. باشمهندس محمود عايز يتجوزك

انفرجت جفنيّ هند بدهشة بينما ضحكت ريم بسعادة:

. الحاجة رقية مكشوف عنها الحجاب

ونسمة كانت تتابع توالي التعبيرات على وجه صديقتها بين دهشة تبعها عقد حاجبيها بضيق دون أن تنطق بكلمة لتكمل لها نسمة الصورة:

. هو طلب مني عنوانِك بس أنا قلت له يستنى ترجعي ويتكلم معاكِ

نهضت هند تتجه نحو النافذة الوحيدة بالغرفة

تشرد بنظرها في الفضاء:

. ملوش لازمة الكلام

عقدت ذراعيها أمام صدرها وهي تكمل:

. مش هرجع للسجن بعد ما بقيت حرة

نهضت نسمة التي تجهل طبيعة علاقتها بزوجها السابق ورغم ذلك تتوقع أنها لم تكن بأفضل حال، اقتربت لتضع كفها على كتف هند مقررة:

. الجواز عمره ما كان سجن

شهقت هند فملأت صدرها بالهواء بينما نسمة تكمل:

. إنتِ محتاجة بداية جديدة

رفعت هند نظرها للسماء وزفرت أنفاسها بضيق قبل أن تنطق:

. أنا بدأت فعلا أنا وابني بس؛ مش محتاجة زوج يتحكم فيَ

سحبت نسمة كفها تخفض نظراتها وقد تذكرت زوجها، يبدو أن ما عاشته صديقتها قد شوه مفهوم الزواج لديها بينما هي لم تكن تتمنى سوى بقاءه وليحترق العالم بعدها:

. الزوج لما بيكون صح بيكون نعمة

اقتربت ريم التي كانت تتابع حديث صديقتيها

فجاورت هند تطالع جانب وجهها:

. متاخديش قرار متسرع

التفتت هند لها ولازالت على عقدة حاجبيها

بينما ريم تكمل:

. اتكلمي معاه واشرحيله ظروفك واعرفي ظروفه

لوت هند شفتيها بسخرية أوضحتها كلماتها:

. ولما يعرف ظروفي ويستقل بيَ علشان مليش

حد يقف له

لوحت ريم بكفها في الهواء تنفي هوان صديقتها في عين نفسها:

. متسمحيلوش إنتِ مش قليلة

هنا عادت نسمة للتدخل من جديد تدفعها نحو تحكيم عقلها:

. لو راجل بجد مش هيعمل كدة

التفتت هند لها فأكملت ما اختبرته مع الآخر وتعلمه سابقًا من حديث زوجها الراحل عنه:

. ومحمود ابن أصول

اقتربت نسمة أكثر تنظر بعمق عينيها وتحدثها بمنطقية:

. الحياة صعبة وإنتِ محتاجة سند

بادلتها هند نظرة تحدي وهي تسألها:

. وإنتِ مش محتاجة سند؟

بُهتت نسمة للسؤال، تراجعت خطوة للخلف تخفض نظرها أرضًا:

. أنا وضعي مختلف

تقدمت هند الخطوة التي تراجعتها الأخرى وقد اندفعت بكلماتها دون تعقل:

. ليه؟ علشان قادرة تصرفي على نفسك؟

ضربت صدرها بقبضتها وقد ضاقت بتحكم كل رجل مر بحياتها في سبيل نفقتها التي تجرعتها

إهانة:

. أنا هصرف على نفسي

دارت بالغرفة ترفع ذراعيها بمحاذاة كتفيها وتكمل:

. ولا علشان إنتِ بيزنس ووومان وأنا السكرتيرة

رفعت نسمة نظرها الجريح لصديقتها التي لم تفهم مقصدها، التقطت حقيبتها وقد شعرت أنها أدت مهمتها ولا تستطيع إضافة المزيد:

. أنا اتأخرت على الولاد

وجهت حديثها لهند تنهي النقاش:

. معتقدش إني عاملتك كسكرتيرة قبل كدة

توجهت صوب الباب وقبل انصرافها أضافت:

. لحد ما ترجعي الشغل فكري كويس

وانصرفت تتبعها ريم حتى باب البيت حيث

اوقفتها تربت على كتفها:

. متزعليش منها

هزت نسمة رأسها بتفهُّم توضح مقصدها لريم:

. أنا مقصدتش اللي فهمته

أومأت ريم برأسها إيجابًا تعلم سلامة مقصد نسمة وتثق به، ودعتها وعادت للغاضبة بالداخل تقرعها على ما فعلت بثالثتهن:

. جرحتيها

جلست هند على الفراش بيأس وقد شعرت بسوء كلماتها بعد ما تفوهت بها والأخرى تؤكد على مقصد نسمة الذي وصلها جليًا:

. هي كانت بتحب جوزها

جلست على الفراش المواجه لها تكمل بتقرير ما تعلمه عن صديقتيها:

. إنتِ مش طايقة طليقك

أخفضت هند نظرها أرضًا وقد ندمت على تسرعها بينما ريم تكمل:

. بلاش تخلي تجربة فاشلة تدمر الباقي من حياتك

عادت تتعلق بعيني ريم والأخرى تدفعها للمحاولة:

. أدرسي الشخص نفسه وخدي وقتك وقرري

استلقت هند على الفراش وأغمضت عينيها في محاولة لتصفية ذهنها، منذ قابلت ذلك الرجل بالعمل وهي ترى جديته ولم تلحظ أي اهتمام بها كامرأة سوى حين كان صغيرها بالمشفى وهو

ما فسرته بشهامة زميل عمل لا أكثر فما الذي دفعه الآن لطلب زواجها بل ولِمَ لم يتزوج مثله حتى هذه السن.

***

ظهرت نتيجة نهاية العام ورغم عدم رضا والدها عن علاماتها المتدنية إلا أنها حمدت الله أن نجحت دون حاجة لدور ثانٍ بعد أن طاب لها المقام في كنف فارس، ككل يوم في إجازتها الصيفية تحضر لتدريب التنس الذي تعشقه، أنهت تدريبها وخرجت من الملعب لتجد نادين التي أنهت بدورها تدريبها في الاسكواش

وخرجت من الملعب المقابل، توجهت لمى نحوها تنوي فتح صفحة جديدة مع الفتاة التي تعترف أنها لم تكن سببًا بأية مشكلة لولا غيرتها هي من وجودها وأسرتها بمحيط فارس، تصافحت الفتاتين ووقفتا تتجاذبان أطراف الحديث حين حضر فارس وسرّه ما رأي من بداية صداقة، جاورهما وصوته يحيطهما بحنان أبوي:

. خلصتوا يا بنات

هزت كلتا الفتاتين رأسها قبل أن تنطق لمى بذعر تشير بسبابتها لنقطة أمامها:

. إيه ده

انتبه كلٌ من فارس ونادين لما تشير له الأخرى فإذا بنور يطرح طفل يماثله بالعمر أرضًا ويجثو فوقه يكيل له اللكمات بغضب واضح، انطلقوا نحوهما فرفع فارس الصغير عن الطفل المستلقي أرضًا ونور يحاول التملص من ذراعي فارس القويتين يرفرف بذراعيه وساقيه في الهواء ويكيل للآخر سبابًا طفوليًا، تراجع فارس وهو يحمل الصغير عدة أمتار والفتاتين خلفهما ثم أنزله أرضًا ونزل يجلس على ركبته ليواجه وجه نور الغاضب، عدّل فارس من ملابسه وهو يسأل الصغير عما حدث والآخر يعرب بغضب:

. ولد وحش

أمسك فارس بكتفي الصغير يريد الاستيضاح:

. عمل لك إيه؟

هنا انفجرت دموع نور التي كبتها طويلًا وهو ينطق من بين شهقاته:

. قال لي ربنا مش بيحبك علشان معندكش بابا

احتوى فارس وجنة نور بكفه يمسح دموعه بإبهامه وقلبه يتمزق شفقة عليه، سحب رأسه لصدره يربت على ظهره بكفه الأخرى ويمنحه كلمات يعلم أنها لن تجدي في مواساته:

.كلامه غلط إنت ربنا بيحبك

رغم تعاطفها مع دموع الصغير وألمه إلا أن وخزة الغيرة بداخلها لازالت تنبض وهي ترى والدها يمنحه بعض الحنان وهو يكمل:

. وربنا بيحب بابا علشان كدة كان عايز يدخله الجنة بسرعة

ونادين التي كانت ترى انكسار شقيقها وألمه سالت دموعها الصامتة بحزن تشاركه فقده ومصابه، انتبهت لمى لدموعها فأشفقت عليها هي الأخرى فتلك الصغيرة التي فقدت الأب للأبد بينما هي من تخبطت فقط لأنها افتقدته

لبعض الوقت، اقتربت تحتوي كتفي نادين في مواساة وتحمد الله أنها لازالت تنعم بأب وأم وإن توارت الأم بحياتها لكنها تعلم بوجودها، كان نور قد هدأ نشيجه واعتدل يمسح المتبقي من دموعه حينما صرخ إثر حجر ألقاه الطفل الغاضب من اعتداء نور عليه ليرتطم بجبهته مخلفًا خطًا من الدماء السائلة، صرخت نادين باسم شقيقها بينما فارس حمل نور بين ذراعيه وقد أخرج محرمة قماشية من جيبه يضغط بها على الجرح في محاولة لوقف الدماء النازفة، جرى ثلاثتهم فلمحتهم نسمة عن بعد وقد

نهضت فزعة من المنظر؛ فارس يهرول حاملًا نور بينما لمى ونادين تهرولان خلفه في محاولة لمجاراة خطواته مروا جوارها فلاحظت خط الدماء السائل من جبهة ابنها لتضربها ذكرى خط مشابه مسحته يومًا عن جبهة والده، تجمدت قدماها وشهقت صدمة حتى تجاوزوها جميعا مبتعدين لتنتبه أخيرًا تلتقط حقيبتها بعجالة في محاولة للحاق بهم، وصلوا حيث سيارة فارس، أمر لمى ونادين بالركوب سريعًا بالكرسي الخلفي فأطاعتاه ليضع الصغير مستلقيًا؛ ساقاه فوق ساقي أخته وجذعه بحضن

لمى، نبهها فارس أن تحافظ على المحرمة فوق الجرح، احتوت لمى نور الذي تمكن منه الدوار وبدأ رأسه يثقل فوق صدرها، أسرع فارس يلتف حول السيارة ليتولى القيادة وقبل ركوبه لمح نسمة الواقفة بذهول تتابع المشهد وكأنه لا يخصها، انتبهت على صوت فارس الذي علا باستعجال:

. اركبي

وكأنها كانت بانتظار كلمته، أطاعته فاستقلت المقعد جواره وعيناها متعلقة بابنها بالمقعد الخلفي لم ترفا حتى وصولهم لأقرب مشفى،

صف فارس السيارة ودار حولها يحمل نور مرة أخرى ويهرول ناحية الاستقبال وثلاثتهن تبعنه بآلية، عند دلوفهن للمشفى كان فارس قد اختفى مع نور بغرفة الفحص، دقائق مرت حتى خرج يرافقه الطبيب وقد طمأنه على وضع الصغير وتوجه لمن توقع أنها الأم يعيد كلماته لطمأنتها:

. الجرح بسيط خيطت 3 غرز تجميل

قطع حديثهم خروج الممرضة توجه كلامها لفارس:

. يا أستاذ؛ ابنك بينادي عليك

تخطته نسمة للداخل تبعها فارس والطبيب والفتاتين، أمسكت نسمة بكف نور المستلقي على الفراش فإذا به يهذي بكلمة واحدة:

. بابا

فرت دمعه من مقلتي نسمة وأدتها بكفها سريعًا ورفعت نظرها للطبيب الذي أوضح:

. هو دايخ من الخبطة، كتبتله مسكن النهاردة وبكرة إن شاء الله هيكون بخير

هزت نسمة رأسها إيجابًا وهمت بحمل الصغير فأزاحها فارس بلطف يحمله عنها ومن ثم توجه

حيث بيت نسمة، حمل نور مرة أخرى وتطلع إلى لمى يحادثها بلطف:

. خليكِ هنا مش هتأخر

صعد حتى باب البيت فمدت نسمة ذراعيها تحمل عنه الصغير، ود لو حمله حتى غرفته لكنه لم يرغب بالضغط عليها مدركًا ما قد يجول بخاطرها في تلك اللحظة، وضع نور بين ذراعيها ومنحها نظرة مراعية:

. لو احتجتوا حاجة كلميني

هزت نسمة رأسها إيجابًا وهمست بشكرها فلولاه اليوم لكانت لا تزال متجمدة جوار ابنها

الجريح، ودعته وأغلقت باب البيت الذي لم تستطع السماح له بدخوله فمنزل نادر لن تطأه قدم غريب قط خاصة وأن هذا الغريب يريدها زوجة.

***

انتهى ثالث أيام المؤتمر، ألقت كلمتها الختامية وانصرفت بعد أن ودعت الحضور، عند باب القاعة كان بانتظارها يستند إلى الحائط المواجه ويعبث بهاتفه الجوال، فور أن رآها اعتدل يدس الهاتف بجيب بنطاله الجينز ويتجه نحوها، تطلعت

له ريم بدهشة من وجوده أزالها بجوابه دون سؤالها:

. معاد غدايا وإنتِ قلتِ المؤتمر 3 أيام

ابتسمت ريم بود تكمل له بسؤال:

. وجاي تعوض العزومة؟

أشار لها بالسير فسارت جواره، يجيبها بمرح:

. لأ العزومة مرة تانية النهاردة هآكل خفيف دلفا للمركز التجاري الملاصق للفندق وريم تضحك مستفسرة:

. وإيه الخفيف بتاعك بقى

منحها رائد نظرة وعاد ينظر للأمام يوضح بخبرة:

. بصراحة نفسي في تاكو سالاد بس أحسن

مكان بيعملها ملوش فرع هنا

قادها خلال أروقة المركز حتى وصلا أحد

المطاعم المجاور لقاعات السينما فأشار لها

بالجلوس وجلس بالمقعد المواجه لها يكمل

حديثه:

. المطعم ده بقى عليه فطيرة بالسجق حلوة قوي

ضحكت ريم من تعبيراته وداعبته:

. ده أنتَ خبرة في المطاعم

استند بظهره للمقعد ورفع كفه يشير للنادل ويجيبها:

. عازب بقى

أحضر النادل الفطيرة فاستمتعت ريم بمذاقها عقب انتهائهما طلب رائد فنجانين من القهوة، ارتشف القليل وقد حل الصمت على الجلسة، نقر بأصابعه على المنضدة يطالع واجهة قاعة السينما ودعايات الأفلام المعروضة بها وهمس:

. أنا زهقان

لمحت ريم ما ينظر له، التقطت فنجان قهوتها وهي تنفي ما يفكر به:

. مش هدخل سينما

عاد بنظره إليها يمعن النظر بعينيها وشفتيها المرتفعة قليلًا بامتلاء ترتشف القليل من قهوتها:

. ما تيجي نتجوز

غصت ريم بقهوتها ولم تتمالك نفسها من الضحك:

. مش هتبطل هزار؟

ملامحه الهادئة بسلام نفسي يحتاجه ويجده جوارها أربكاها؛ هي اعتادت على مزاحه معها منذ زمن لكن اليوم ترى شيئًا اختلف به، رفع

يده يستدعي النادل ليدفع الحساب ومن ثم سألها:

. مروّحة؟

هزت رأسها إيجابًا ونهضت معه حينما أكد رائد على انصرافه أيضًا، نزلا حتى موقف السيارات فودعها عند سيارتها واستقل سيارته يتبعها عن بعد دون أن تلحظه، وصلت أسفل البناية فصفت سيارتها، انتظر رائد بضع دقائق ليتأكد من وصولها للبيت ثم ترجل وصعد خلفها يضغط جرس الباب، فتحت ريم الباب ففغرت فاهها مصدومة من وجوده ليأتيها سؤاله:

. عمي رفعت موجود؟

حضرت السيدة رقيه من خلفها بينما ريم

لازالت على وقفتها تمسك بمقبض الباب دون

رد، تجاوزتها أمها تسأل الطارق باهتمام:

. إنتَ مين يا ابني شكلك مش غريب

مد رائد كفه للسيدة يصافحها بود ويعرف نفسه

لترحب به الأخرى:

. أهلا يا ابني نسمة معاك؟

تنحنح رائد يجلي صوته ويعيد سؤاله:

. الحقيقة لأ؛ عمي رفعت موجود؟

رفعت السيدة رقية صوتها تنادي زوجها الذي حضر يقف خلف ريم التي نُحتت على وقفتها، مد رائد كفه فصافح الرجل معتذرًا:

. أنا آسف إني جاي من غير معاد بس عايز حضرتك في موضوع مهم

أفسح السيد رفعت له الطريق يقوده حتى صالة البيت حيث واجهه في جلسته تبعتهما السيدة رقية بدهشة وريم التي لا تزال على صدمتها، تنحنح رائد مرة أخرى ووجه كلماته إلى السيد رفعت باحترام:

. أنا جاي أطلب من حضرتك إيد ريم

رمشت ريم بذهول وفاهها لايزال على وضعه منفرجًا؛ لم يكن يمزح إذًا وما رأته بعينيه وكذبته كان حقيقيًا، أتاها صوت والدها واضحًا:

. إنت فاجئتني يا ابني

انحنى رائد قليلًا للأمام باحترام يشبك أصابع كفيه ويؤكد كلمات السيد رفعت:

. عارف ومنتظر رد حضرتك في الوقت اللي تحدده

ألقى نظرة على المصدومة جوار والدها وعاد بنظره للسيد رفعت يستأذنه:

. ممكن أتكلم مع ريم شوية

هز السيد رفعت رأسه موافقًا وأشار لزوجته فنهضت ترافقه، التفت رائد لريم التي تحاول استيعاب ما حدث توًا:

. هتفضلي فاتحة بقك كتير

ازدردت ريم لعابها ببطء تحاول السيطرة على أعصابها الهاربة وتهمس:

. طول عمري ببصلك كأخ

عاد رائد لمرحه المعتاد:

. لأ من النهاردة مسمحلكيش

زفرت ريم بضيق تعبر عما بداخلها دون تزيين كما اعتادت معه:

. يا رائد إنتَ أصغر مني

استند بظهره إلى الأريكة يرفع ساقًا فوق أخرى ويجيبها ببسمة واثقة:

. طب دي حاجة حلوة جدًا

ابتسمت ريم تلوح بكفيها بعدم فهم وهي تسأله:

. إزاي بقى يا أستاذ

أخفض رائد ساقه عن الأخرى وانحنى بجذعه للأمام مخفضًا صوته وقد غلبت روح الفكاهة على نبرته:

. أصغر منك بيوم يعرف عنك بسنة

صدحت ضحكة ريم رغمًا عنها فكبحتها وسألت:

. هي مش كانت أكبر؟

لوح رائد بذراعه في الهواء مشيرًا للفراغ خلفه:

. ده كان زمان الجيل دلوقت اتغير خالص يا لينا

رغم ارتياحها لمرحه لكنها حاولت إعادة الحديث لجديته فسألت:

. ليه دلوقت ما كنت قدامك من زمان؟

منحها مرادها واستدعى بعض الجدية يجيب بهدوء:

. ما كنتش بفكر في الجواز ولما فكرت لقيت فيكِ اللي عايزه

نظرتها المتسائلة منحته الفرصة ليكمل:

. رقيقة، ناجحة، واثق في أخلاقك، عقلك كبير وأهم نقطه بتفهمي قفشاتي وتردي عليها

لم تتمالك نفسها وابتسمت بخفوت مرة أخرى

يبدو أن رائد لا يستطيع أن يكمل جملة دون

مزح ليؤكد مجددًا:

. آه أنا مش عايز واحدة فصيلة

شهقت ريم ثم زفرت أنفاسها ببطء وهمست:

. طب وفرق السن

عاد رائد لجديته يقر لها بملل من تكرار تلك

النقطة:

. إنتِ محسساني إنهم خمسين سنه مش تلات

سنين عمي

أغمضت ريم عينيها تكمل بمنطقية:

. إنت تقدر تتجوز واحدة أصغر مني بعشر سنين

رفع رائد سبابته يشير لها بحسم:

. صح؛ إنتِ صح

ثم أشار لصدره مؤكدًا:

. أنا أقدر اتجوز واحدة أصغر منك بخمستاشر سنة

استند بظهره مرة أخرى للأريكة يربع ذراعيه أمام صدره ويسألها بمنطقية:

. بس تفتكري هتقدر تديلي كل اللي قلتلك إني محتاجه ولقيته فيكِ

نهض يهم بالانصراف ويمنحها الفرصة للتفكير

انحنى برأسه قليلًا يضيف بثقة:

. خدي وقتك وهتصل أسمع الموافقة

رفعت نظرها إليه وهمست بآخر هاجس يطاردها:

. ومامتك ونسمة رأيهم إيه؟

دس كفيه بجيب بنطاله يجيبها دون تردد:

. تفتكري هفاتحك وهم مش موافقين؟

كاذب هو ويعلم، هو لم يخبر أحدًا بعزمه قط فالمبرمج الشاب الذي فكر في قراره كثيرًا وجد نفسه ينطق به وينفذه دون تخطيط على عكس عادته لكنه لن يتراجع بعد الآن، التفت منصرفًا يودع السيد رفعت لدى الباب وينطلق حيث لديه مهمة جديدة ولا خيار أمامه سوى النجاح بها.

الفصل الرابع والعشرون

بين منع وعطاء تدور أقدارنا

وأجملها ما حسبناه حرمانًا

فيذهلنا بعطائه

***

على حين غرة يفاجئنا القدر بما لم نتوقعه، هكذا

كان حالها عقب حضوره المباغت وانصرافه

السريع، ظلت على جلستها بصالة بيتها غارقة وسط دهشتها وتشتُّت أفكارها حوله، دلف والدها عقب توديعه لرائد فجاورها يربت على كتفها برفق:

. إيه رأيك؟

التفتت لوالدها بشرود تهمس:

. في إيه؟

ضحك السيد رفعت من رد فعل ابنته الذي يلاحظه منذ دلف رائد لبيتهم وأجابها ساخرًا:

. في مشكلة الشرق الأوسط

ثم أتبع يلوح بكفيه محاولًا السيطرة على ضحكاته:

. في طلب رائد، هكون بسألك عن إيه؟

ابتلعت ريم لعابها تحاول تجميع كلماتها الهاربة، أخفضت نظرها وهمست بهاجسها المكرر وكأنها تحدث نفسها:

. ده أصغر مني بتلات سنين

أمعن السيد رفعت النظر بابنته يقرر نيابة عنها:

. يعني مش شايفة فيه الراجل اللي يملى عينك

رفعت ريم نظرها فجأة وجرى الرفض على لسانها:

. ما اقصدش

منحها نظرته الخبيرة بها يسبر أغوارها فأخفضت نظرها خجلًا تتبع رفضها بتوضيح:

. أقصد إني بعامله كأخ وصديق

عاد السيد رفعت برأسه للخلف يقر عن ابنته ما يغيب عنها من تفاصيل:

. بس هو مش أخوكِ

مال برأسه يمينًا يتبع بحسم:

. ومفيش حاجة اسمها صداقة بين راجل وست

ربت على كتفها بحنان يكمل لها الصورة:

. جايز يكونوا مش فاهمين إيه اللي بيقربهم من بعض فبيسموه صداقة

علم أنها بحاجة للوقت حتى تتضح لها كامل الصورة:

. فكري كويس وخدي وقتك

ونهض يستأذن في الدخول لهند التي ارتدت حجابها ومنحته الإذن بالدخول، جلس على فراش ريم المجاور لفراشها يخبرها بما وصله من معلومات:

. ماما رقية قالت لي على المهندس اللي متقدملك

أخفضت هند رأسها خجلًا دون رد بينما السيد رفعت يكمل:

. أنا خدت عنوانه من نسمة وسألت عليه

رفعت هند نظرها دهشة من تصرفه، تلك الأسرة لم تتوانَ عن بث الطمأنينة بقلبها وكأنها ابنتهم حقًا، لاحظ السيد رفعت دهشتها فابتسم بحنان يتبع:

. طول ما إنتِ في البيت ده تبقي زي ريم بس عريس ريم مش محتاجين نسأل عليه

ابتسمت هند وهمست بخفوت:

. عريس ريم!

أشار السيد رفعت بأصابعه دون اهتمام

وأكمل:

. تبقى تحكيلك بعدين خلينا في عريسك

مال للأمام قليلًا يخبرها بما توصل له:

. أبوه مات من زمان ووالدته اتوفت من 5 سنين

أخفض رأسه يناظرها من أسفل ويكمل:

. عنده تلات اخوات بنات وكان رافض الجواز

لحد ما آخر أخت اتجوزت من أقل من سنة

استند بكفيه إلى ركبتيه ونهض عن الفراش وهو يتبع:

. تأكدي إنك مش هتخرجي من البيت ده غير وإنتِ راضية وسعيدة

وتركها وانصرف بعد أن أجلى أهم سؤال كان يجول بخاطرها، الحجة لعدم زواجه منطقية وتتماشى مع ما رأته من شهامته، لكن خوفها من تبدل حياتها القادمة خاصة مع حالة صغيرها الذي لا زال يحتاج للكثير من الرعاية يدفعها للتريث والتمسك بما كانت قد رسمته لنفسها.

عقب انصراف السيد رفعت دلفت ريم وهي لازالت على شرودها به، تتذكر لقاءاتهما القليلة وإن زادت بالعام الأخير بحكم قربها بصديقتها، جلست على فراشها تسترجع مداعباته التي لم تفشل يومًا في انتزاع ابتساماتها حتى في أقسى لحظاتها، مزحه معها بأنها كسرت قلبه بخطبتها السابقة، هل يكون والدها على حق ويكون المزح مرآة لما أخفى القلب حتى عن صاحبه، أخرجها من شرودها صوت هند وهي تلوح بكفها أمام وجهها:

. الموضوع شكله فيه عريس فعلًا

انتبهت لهند تهمس من بين شرودها:

. رائد

جلست هند جوارها وقد اتسعت ابتسامتها

وهي تؤكد:

.كنت حاسة

ضيقت ريم حاجبيها باستغراب:

. إزاي ده أصغر مني!

ربعت هند ساقيها فوق الفراش تواجه صديقتها

وتقر:

. نظراته، اهتمامه وحتى هزاره كان بيقول إنك مميزة عنده

ضمت ريم ساقيها لصدرها تحتضنهما، تستند بذقنها إلى ركبتيها وتتذكر آخر ترك ندبته بقلبها:

. ماهر كان أصغر مني

ناظرتها هند بلوم تعيد عليها كلماتها التي ألقتها على مسامعها من قبل:

. متخليش تجربة فاشلة تتحكم في الجاي من عمرك يا دكتورة ولا إيه؟

رفعت ريم نظرها لصديقتها بينما هند تكمل:

. ماهر مشكلته مكانتش السن، هو كان عنده هدف حتى لو كان أكبر كان هيتصرف بنفس الطريقة

هزت ريم رأسها إيجابًا باقتناع لكن الفكرة لازالت تؤرقها، نهضت هند تتجه لضياء على الفراش المقابل وقد بدأ بالتململ من بُعد والدته، منذ خروجه من غرفة الرعاية المركزة عقب جراحته وقد أصبح ملتصقًا بها أكثر من ذي قبل وكأنه يستغيث بأمه من آلامه ويحتمي بصدرها من غيابها عنه مرة أخرى، بينما ريم اضجعت تسبح بأفكارها نحوه وقد أربكها كل

ما حدث اليوم فأغمضت عينيها في محاولة لتصفية ذهنها علّها تصل إلى قرار يريح قلبها الغض.

***

ترك الذاهلة ببيتها عقب عرضه المفاجئ وتوجه حيث بيت شقيقته، يعلم أنه تسرع بخطوته دون علم والدته وشقيقته لكنه غير نادم عليها ففي كل الأحوال كان سيخطوها طالما عقد العزم، رن جرس الباب لتفتح نادين ومن خلفها شقيقها، طبع قبلة على وجنتها ثم جثى على ركبتيه ليكون بمحاذاة وجه الصغير وطبع قبلة

على ضمادة جبهته، منذ حادثته بالنادي قبل يومين وهو منزوٍ عن الجميع ينأى بنفسه عن الحديث وحتى عن اللعب كما تعود ورائد يلاحظ تبدله وينوي منحه ما يستطيع من الحب الذي يفتقده لكنه الآن أمام جولة لا سبيل لديه سوى الفوز بها، رفع نظره إلى نادين يسألها:

. ماما وتيتة فين؟

والصغيرة أجابته مشيرة إلى صالة بيتهم:

. في الليفينج

توجه حيث أشارت بعدما نهض وبعثر خصلات نور كما يحب كلاهما، وجد شقيقته ووالدته

مجتمعتان وكأنهما بانتظاره، جلس بمواجهتهما ونقل نظره بينهما بروية قبل أن يعلن:

. أنا قررت أتجوز

انتبهت كلتاهما إليه وقد علت علامات الفرحة وجهيهما، تهللت أسارير السيدة زينب تسأله بلهفة:

. يبقى أدور لك على عروسة

ابتسم رائد بتفهم يتوقع رد فعل والدته ومستعد له، حافظ على هدوءه وأجاب:

. أنا خلاص لقيتها

زادت لهفة السيدة زينب تسأله بتعجل:

. مين؛ نعرفها؟

هز رائد رأسه إيجابًا يغمض عينيه بابتسامة هادئة ويؤكد:

. تعرفوها وبتحبوها

كان السؤال تلك المرة من نسمة التي شعرت بالجواب قبل أن يؤكده رائد باسمها:

. ريم

وعندها علت علامات الصدمة وجه السيدة زينب وقد تلاشى تهللها السابق، نهضت بعنف من جلستها تهتف بسخط:

. صاحبة أختك الكبيرة!

نهض رائد يواجهها بثبات وهو يهز رأسه إيجابًا ويجيبها بسؤال:

. إيه المشكلة؟

انفلت عقال غضب والدته وهي تلوّح بذراعيها في الهواء تشير لابنتها الجالسة بصمت تراقب المواجهة المحتدمة:

. دي أختك بنتها قربت تبقى طولها

حافظ رائد على هدوءه رغم براكين الغضب المتقدة بداخله، دس كفيه بجيبي بنطاله يواجه والدته بذات السؤال:

. بردو إيه المشكلة؟

علا صوت والدته أكثر وقد زاد من غضبها عدم اكتراثه بحديثها معلنة رفضها القاطع قبل أن تتركهما وتغادر للغرفة:

. أنا لا يمكن أوافق على الجوازة دي

زفر رائد أنفاسه بيأس يتابع مغادرة والدته الثائرة، نقل نظره لشقيقته الصامتة على الأريكة يسألها بضيق:

. ساكتة ليه؟

رفعت نسمة نظرها إليه وقد أشفقت على قلبه، رغم ذلك أغمضت عينيها تعلن موقفها الذي يستسيغه عقلها:

. علشان أنا كمان مش موافقة

جلس رائد يواجهها وبدأت علامات ثورته في الظهور لقد كان يتوقع أن تدعم موقفه أمام والدته لا أن تتخذ موقف معاكس، أشار بسبابته حيث اختفت والدته خلف باب غرفتها ونطق باستنكار:

. هتقولي نفس الكلام الفارغ بتاع دي أكبر منك؟

هزت نسمة رأسها نفيًا بابتسامة حزينة، زفرت أنفاسها تشفق عليه وعلى صديقتها مما قد يواجهانه تخبره بما عانته الأخرى بصمت:

. ريم لسة خارجة من تجربة قاسية

هز رائد رأسه بعدم فهم وهي تكمل:

. الصدمة كانت كبيرة عليها مش هتستحمل أي هزة تانية

أشار رائد لصدره بغضب وهو يستنكر:

. إنتِ متخيلة إني ندل!

هزت نسمة رأسها نفيًا بحسم وهي تؤكد:

. أكيد لأ؛ بس هتكون حساسة لأي تصرف أو تعليق سواء منك أو من أي حد

وأشارت برأسها إلى غرفة والدتها مكملة:

. خصوصًا الست الوالدة

شهق رائد فملأ صدره بالهواء ثم زفر أنفاسه دفعة واحدة يسألها بسخط:

. يبقى مش شيفاني راجل

نهضت نسمة تجاوره وتربت على كتفه بحنان مشفقة عليهما معًا:

. يا حبيبي إنتَ أحسن راجل في الدنيا

ترأف بقلبيهما وتوضح له ما يغفله:

. بس ماهر كان أصغر منها استغلها وهز ثقتها بنفسها

نهض رائد يوليها ظهره يرفض سماع المزيد:

. مش عايز اسمع حاجة عنه

خطى نحو النافذة يطالع شمس الشفق التي أوشكت على المغيب وهو يكمل:

. مش علشان خطوبة اتفسخت هتوقف حياتها

تقدمت نسمة من شقيقها وقد وصلها إحساسه

تسأله بحنان:

. ده حب بقى؟

تنهد رائد براحة وقد شعر أنه ضم شقيقته إلى

صفه وهو يهمس:

. مش عارف

رفعت نسمة كفها إلى كتفه تدير جسده

ليواجهها وتسأل:

. يعني إيه مش عارف

رفع رائد نظره إليها بتردد هو فشل في إيجاد تعريف لإحساسه بصديقتها:

. لما فكرت في زوجة ملقيتش غيرها في تفكيري رغم إن في بنات كتير حواليا

أمعن النظر لشقيقته يستعيد تسلل خيالها إليه في خلواته، توقه لمداعبتها واشتياقه لابتسامتها:

. في بينا كيميا وتفاهم أول مرة أحسه مع واحدة

ابتسمت نسمة بسعادة إن لم يكن ما يذكره شقيقها حبًا فما هو الحب إذًا، اقتربت منه تحتضنه بمباركة:

. مبروك يا حبيبي

همس رائد وهو يحتوي شقيقته ويغمض عينيه بقلق:

. طب والحاجة زينب

ابتعدت نسمة عن شقيقها تبتسم في محاولة لتلطيف الأجواء:

. ربنا يعينكم عليها

هز رائد رأسه إيجابًا ولم تتجاوز بسمته شفتيه فلا زال أمامه شوطًا جديدًا مع والدته سيرجئه ليوم آخر، تراجع خطوتين ينادي نور الذي حضر فانحنى رائد يبعثر خصلاته ويأمره:

. روح غير هدومك علشان نخرج

رغم لمحة السعادة التي لمحها رائد وسرعان ما اختفت والصغير يلتفت ملبيًا طلبه إلا أن غياب انطلاقه يؤلمه، التفت إلى نسمة مؤكدًا:

. مش عاجبني من ساعة اللي حصل

هزت نسمة رأسها إيجابًا تؤكد ما يعانيه الصغير الذي أدرك معنى فقد والده متأخرًا:

.كل يوم بيحس باحتياجه لنادر أكثر

اقترب رائد من شقيقته يمسك عضدها برفق:

. مش عايز أضغط عليكِ

يكره دفعها لقرار كهذا يجب أن تكون بكامل اقتناعها به ويشفق عليها قضاء المتبقي من عمرها وحيدة:

. مش هو بس اللي محتاج لأب

أمسك بعضديها بكلتا كفيه وهو يؤكد:

. إنتِ كمان محتاجة لزوج وفارس يستحق فرصة تعلم أن الآخر لا تشوبه شائبة وربما ما فعله مع صغيرها ما كان نادر ليفعل أكثر منه لكن لا حيلة لها مع قلبها الذي يأبى القبول بآخر،

تنهدت تزفر انفاسها بحيرة وشقيقها صمَت يكفيه أنها لم تثر مجددًا عند ذكره للفكرة، التفت

يتجه لنور الذي أنهى ارتداء ملابسه واصطحبه في نزهة علّه يستطيع تخفيف ما يعانيه من فقد.

***

مر أسبوع على خروج صغيرها من المشفى وبصعوبة استطاعت تركه مع السيدة رقية حتى تتمكن من الذهاب لعملها الذي غابت عنه لما يقارب الثلاثة أسابيع، في موعدها كانت خلف مكتبها وقلبها يقرع بين جنبيها انتظارًا للقاء مرتقب بعد طلبه الذي وصلها، وهو كان ينتظر تلك اللحظة بعد ما افتقد وجودها بالعمل في الفترة الماضية، عمل بنصيحة نسمة وانتظر

لقاءها قبل الحديث رسميًا مع ذويها الذين لا يعلم عنهم شيئًا حتى الآن.

دلف مكتب السكرتارية وجلس على المقعد أمامها يستند بساعده للمكتب ويلقي عليها التحية:

. حمد لله على السلامة

رفعت نظرها بخجل تهمس بالرد وقد أربكها حضوره والحال لديه لم يكن بأفضل فعلى كبر عمره لم يخض هكذا اضطراب من قبل، رفع كفه يمسح على لحيته ويبتلع لعابه لتتحرك حنجرته

وتجذب عينيها فتخفضهما سريعًا قبل أن يلحظها وهو يسأل:

. نسمة بلغتِك بطلبي؟

هزت رأسها إيجابًا وكلماتها تفر منها، لا تدري أين ثورتها التي واجهت بها صديقتيها ولمَ أطفأ حضوره بركان رفضها وهو يسألها عن رأيها فتهمس بكلمات محايدة:

. لسة مكونتش رأي

هز محمود رأسه إيجابًا يعلم أنه مبهم بالنسبة لها وهي كذلك وكلاهما بحاجة للاقتراب من بعضهما أكثر:

. عايزة تتكلمي في إيه؟

رفعت نظرها إليه وهمست بالسؤال الذي دار بخلدها كثيرًا ولم تجد له إجابة:

. اتقدمت لي وإنتَ متعرفش عني حاجة تقريبًا

نقر محمود بأصابعه على سطح المكتب يجيب بمنطقية:

. المعلومات الأساسية عارفها

ثم رفع نظره يطالع ملامحها البريئة المشوبة بالقلق ويكمل:

. والفترة اللي فاتت كانت كفاية أحكم على الأخلاق والشخصية

ثبت عينيه بخاصتها يتبع بسؤال:

. عايزة تقولي حاجة أنا معرفهاش؟

أخفضت هند نظراتها وهي تهز رأسها إيجابًا وتخبره بما سيعلمه حتمًا إن استمر على عزمه:

. أنا مأجرة أوضة عايشة فيها أنا وضياء

ضيق محمود حاجبيه بعدم فهم وانطلق السؤال المبهم لديه على لسانه:

. وأهلك؟

ابتلعت هند لعابها تهمس بنصف حقيقة:

. حصل خلاف مع والدي بعد طلاقي

منحها نظرة مستفهمة أتبعها بسؤال:

. ممكن أعرف سبب الخلاف؟

وهي لن تبوح بالحقيقة فيكفيها ما نالته من ذلك الرجل حتى الآن ومن أمامها يكفيه أقل القليل

إن أراد زواجها أو لا داعي:

. كان عايزني أرجع لوالد ضياء وأنا كنت رافضة

هز محمود رأسه بتفهم وإن لم يقتنع بالإجابة يدرك أن الرجل ربما أراد الحفاظ على بيت ابنته

لكن ما الذي دفعها لترك بيت أسرتها هذا ما لا يفهمه، تجاوز تلك النقطة يستدرك بسؤالها:

. عايزة تقولي حاجة تانية؟

رفعت هند عينيها إليه بتحدٍ تخبره بإصرار غير قابل للجدال:

. لو حصل نصيب مش هسيب الشغل

دهش محمود لنبرة التحدي بصوتها وأرجعها إلى خوفها على ابنها مما دفعه لتبديد ذلك الخوف فمنذ فكر بها كزوجة عزم على اعتبار الصغير كولده تمامًا:

. لو قلقانة من مصاريف ضياء ف...

رفعت هند سبابتها تمنعه الاسترسال وأشارت بالنفي الذي أوضحته:

. ضياء والده متكفل بكل مصاريفه

الشيء الذي تفاجأت به قبل خروجها من المشفى بيوم حيث فاجأها زوجها السابق بمهاتفة يخبرها أنه قام بفتح حساب لولدها بأحد المصارف سيضع به شهريًا ما يكفيه ويزيد وسيرسل البطاقة البنكية لها ورقمها السري لتستطيع السحب وقتما شاءت وهو ما لم تكن تتوقعه منه، لكنها مع ذلك لن تترك عملها فبعد أن ذاقت طعم الاستقلال وكونها تمتلك

مالها الخاص لن تخضع مرة أخرى لسلطة رجل تحت مسمى النفقة، أتبعت كلماتها تؤكد رغبتها:

. بس مش هسيب الشغل

هز محمود رأسه إيجابًا رغم عدم إدراكه لسبب ذلك الإصرار لكن الطلب في النهاية ليس بالصعب بالنسبة له:

. معنديش مشكلة

استند بظهره إلى المقعد يستأنف ما يود لها أن تعرفه:

. عايزك تعرفي إن امكانياتي مش كبيرة

أمسك بأحد الأقلام يلفه بين أصابعه وهو يكمل:

. أنا عايش لوحدي في بيت أهلي وبنوضب الشقة حاليًا على خفيف

رفع نظره لها موضحًا:

. لو حصل نصيب فاللي أقدر عليه هو أوضة نوم جديدة لكن باقي العفش نبقى نجدده بعدين

هزت هند رأسها بتفهم فما يتحدث عنه كان يفوق أحلامها دون أن يدرك، رغم ما تشعر به من راحة الحديث معه لكن شبح الخوف يدفعها

للتريث، ابتلعت لعابها تطلب منحها مزيدًا من الوقت:

. أنا محتاجة وقت أفكر

هز محمود رأسه إيجابًا ونهض يقف ويستند بكلتا يديه للمكتب، يميل بجذعه ليشرف عليها من علو رغم الكثير من الغموض حولها إلا أنه لا ينكر انجذابه إليها ربما كان بسبب الغموض وربما هو فضوله لكشف المزيد من أسرارها، كلماته منحتها ما أرادت وقد حدد خطوته القادمة:

. خدي وقتك ومستني الرد

وتركها وانصرف عازمًا على الخوض أكثر بحياتها.

***

عقب نهاية يوم عمله عزم على اتخاذ الخطوة التي أجلها بطلب من نسمة، حصل على عنوان منزل عائلتها من ملفها بالشركة وتوجه للعقار بالحي الشعبي الذي تقطنه أسرتها، تجاوز دهشته عندما علم العنوان فقد كان يتوقع أن من تزوجت من ابن الامبراطور ربما تقاربهم في الثروة أو تقل عنهم بالقليل خاصة وأن هيئة هند توحي بأنها من الطبقة المتوسطة على أقل تقدير

ولكن ليس مع هذا الفارق الجلل الذي لاحظه عندما دق جرس الباب لتفتح له من توقع أنها والدتها، سيدة ستينية أكل الدهر على عاتقها وشرب ترتدي عباءة بيت مهلهلة وتلف رأسها بوشاح تلاشى لونه الأصلي بفعل الزمن، تنحنح قليلًا يحاول التأكد من صحة العنوان:

. بيت أستاذ سعد منتصر؟

هزت المرأة رأسها إيجابًا بتوجس وهو يسأل مجددًا:

. هو موجود؟

عادت المرأة تهز رأسها دون رد فزوجها لا يملك أصدقاء تسأل عنه وجميع معارفه ابتعدت لسوء خلقه ومن أمامها يبدو وجيهًا أكثر من اللازم حتى يجمعه بزوجها أي شيء والآخر استغرب صمت المرأة فتكلم معتذرًا:

. آسف إني جيت فجأة؛ ممكن أقابل أستاذ سعد

هزت المرأة رأسها إيجابًا ودلفت تنادي زوجها الذي حضر مستغربًا الضيف المجهول، بُهت محمود لهيئته التي لم تكن بأبعد من زوجته، فالرجل حضر بمنامة قديمة لم يرَ محمود مثلها غير

بأفلام الأبيض والأسود، مد كفه يصافح الرجل ويعرفه بنفسه:

. ممكن أتكلم مع حضرتك في موضوع

صافح الرجل محمود دون اهتمام يسأله عن سبب حضوره ومحمود اعتذر كون الموضوع يستدعي دخول البيت ولا يصح فتحه على مسامع من الجيران والآخر أفسح له الطريق مضطرًا ليمر إلى صالة البيت المتهالكة، تآكل طلاء الحائط بفعل الزمن وتهالكت الأرائك إلا من واحدة دعاه الرجل للجلوس عليها وسحب

كرسي خشبي يجلس أمامه يستفسر عن سبب زيارته التي أوضحها محمود مباشرة فور جلوسه:

. أنا طالب القرب من حضرتك

ضيق الرجل حاجبيه بغضب:

. أنا معنديش بنات للجواز

بُهت محمود للرد مرة أخرى ولوهلة اعتقد انه أخطأ بالعنوان ليوضح:

. مدام هند

استند الرجل بكفيه إلى ركبتيه يناظر محمود من أسفل ويخبره:

. آديك قلت مدام يعني جوزتها مرة مش هجوزها تاني

لم يكن يجول بخاطره في أسوأ توقعاته أن يقابله هذا الرد لكنه تمالك أعصابه وهو يوضح للرجل:

. واطلقت والجواز تاني لا عيب ولا حرام

حك الرجل ذقنه النابتة بملل يجيبه بسؤال:

. ممكن أعرف مطلوب مني إيه؟

تراجع محمود للخلف قليلًا وقد بدأ يدرك أن الخلاف بين الرجل وابنته اعمق مما ذكرَت

الأخرى، حافظ على هدوءه أمام ما يواجه من فظاظة:

. موافقة حضرتك

كتف الرجل ذراعيه أمام صدره بضيق يكمل بسخرية:

. وبعد موافقتي هتقولي جهز معايا يا عمي

عندها أدرك محمود من يواجهه بل وسبب تمسك هند بعملها وهو يجيب:

. مش القصد طبعا المهم موافقتك

نهض الرجل فنهض محمود بالتبعية، مد سعد كفيه يلتقط كف محمود بواحدة ويصافحه بالأخرى بينما يصحبه نحو باب البيت ويقول:

. اعتبر موافقتي موجودة شرفتنا

خرج محمود شبه مطرود من المنزل وقد أجلَت تلك الزيارة الكثير مما كانت تخفيه هند عنه، فأب مثل هذا لا عجب أن نأت ابنته بطفلها عنه وإن لم تذكر سببها الحقيقي له.

الفصل الخامس والعشرون

على ضفة الحيرة

تتأرجح القلوب المرهقة

تمتد كف حبيبة

تهدهد خوفها فتبدده

***

بعد مقابلته بالشركة انصرفت عائدة إلى منزل عائله ريم، حضوره يربكها، لقاءه فرض سيطرته على كيانها فأخمد ثورة رفضها يُلقيها بهوة الحيرة، دلفت ملقية السلام على السيدة رقية والتقطت ضياء من بين ذراعيها تضمه إليها وأكثر ما يقلقها هو مدى تقبل أي رجل قد تُقبل على الزواج به هو تقبله لطفلها، إن كان والده الذي هو من صلبه قد رفضه وأقصاه عن عالمه وإن تدارك بعض خطأه فما حال رجل لا يشترك معه بدم وماذا سيحدث إن منحه الله طفلًا من صُلبه هل سيظل على تقبله لولدها أم سيلفظه

ولن تستطيع لومه وقتها فطريقها الشاق مع الصغير ما يزال طويلًا، دلفت غرفة ريم فبدلت ملابسها وجاورتها وكل منهما شاردة بحالها، ارتفع رنين هاتف ريم لتطالعه بدهشة ثم تنقل نظرها إلى هند:

. دي مامتك

هزت هند رأسها رفضًا بحسم:

. مش هكلمها

امتعضت ريم لرفض صديقتها تحثها على مد حبال الود مع أهلها ولو قليلًا:

. ما ينفعش يا هند

مدت كفها إليها بالهاتف الذي واصل الرنين وأكملت:

.كلميها هتحتاجي حد معاكِ

طالعت هند الهاتف بكف صديقتها بتردد حتى انقطع رنينه فعادت برأسها تستند إلى ظهر الفراش وعينيها تسبح في الفضاء عبر نافذة الغرفة المفتوحة، هل حقًا تحتاجهم ومنذ متى وجدت أحدهم ليدعمها وقت حاجتها، هي تعلمت الاستغناء عن الجميع سوى نفسها بأسوأ طريقة ممكنة وفي أشد لحظاتها ضعفًا فلمَ يلومونها الآن على القسوة وهي من تعلمتها

منهم، ارتفع رنين هاتف ريم مرة أخرى وتلك المرة فتحت ريم الخط عندما لاحظت استمرار رفض هند، تبادلت ريم السلام مع السيدة فتحية التي طلبت محادثة هند كعادتها فاعتذرت ريم تخبرها كذبًا بعدم وجودها والسيدة لم تجد بدًا من إخبار ريم بما بجعبتها، عندها جحظت عينا ريم فور علمها بزيارة محمود لهم وهمست ذاهلة باسمه الذي صعق هند فانتفضت تختطف الهاتف من ريم وتستمع للمتبقي من كلمات والدتها تنهت بانفعال وقد ارتفعت دماء الغضب برأسها، ما حيلتها مع أب كهذا وقد نأت

بنفسها عنه لكن أذاه بلغ مداه حيث ما زال يطالها رغمًا عنها، بعد أن انتهت السيدة فتحية كانت هند قد فقدت السيطرة على ثباتها، صرخت بانهيار:

. عايزين مني إيه؟

وألقت بالهاتف وقد انفلت عقال دموعها المكبوتة لشهور، اقتربت ريم تحتويها بأسى لما آل إليه حالها والأخرى قد حسمت قرارها الذي لن تتراجع عنه تلك المرة ونحيبها يزداد لما قررته لكنها لا ترى خلاصًا غيره.

***

بعض مواقف الحياة تأتينا لتزيح عن أعيننا ما كنا نغفله وهو قضى ليلته في سهد بعدما اعتزلته والدته التي حاول محادثتها مرة أخرى بعد عودته من نزهة نور فرفضت لينصرف ويقضي الليل يسترجع كل ما مر به في العام المنصرف وصولًا إلى حديثه مع شقيقته، في الصباح كان شوقه إليها قد بلغ مداه وقد أخذت أفكاره نصابها الصحيح، قادته قدماه حتى الجامعة، صف سيارته ودلف أحد المقاهي القريبة وأخرج هاتفه يبعث برسالة نصية:

. مستنيكِ في كافيه "...." قدام الجامعة

دقائق مرت بعد رؤيتها للرسالة حتى أتاه ردها:

. ومين قالك إني هاجي؟

ابتسم بخفوت فكعادتها معه قطة مشاكسة وهو يستمتع بمشاكستها ليرد سؤالها بتقرير:

. متتأخريش

ومن جانبها كانت ريم تبتسم بقلة حيلة، لملمت أوراقها وحملت حقيبتها تطيعه باستمتاع لا تدري سره رغم ترددها بإجابة طلبه، دقائق وكانت تجلس بمواجهته على الطاولة وهو يرتشف قهوته وقد أوشكت على الانتهاء، رفع كفه للنادل يطلب زوجًا من مخفوق المثلجات

بالشيكولا، رفعت ريم حاجبها باندهاش وهي تسأل:

. مين قالك إني عايزة ميلك شيك؟

ابتسم رائد يطالعها بهدوء و يؤكد:

. مفيش بنت ما بتحبش الميلك شيك

ربعت ريم ذراعيها أمام صدرها وعادت بظهرها تستند إلى مقعدها وتواجهه بتحدٍ:

. أفرض ليَ مزاج أطلب حاجة تانية دلوقت

هز رائد رأسه بتفهم وسألها منصاعًا:

. عايزة تطلبي إيه؟

أراحت ذراعيها على الطاولة تنقر بأصابع كفها اليمنى وصمتت قليلًا بتفكير ثم ابتسمت مجيبة بمرح:

. ميلك شيك شوكليت

ضحك رائد يهز رأسه مستمتعًا بلعبة القط والفأر التي يمارسانها كلما التقيا ويبدو أنها ستستمر ولا يمانع، عاد لبعض جديته يطالع عينيها براحة:

. هنتجوز أمتى؟

ابتسمت ريم تضرب كفًا بكف وترد سؤاله بآخر:

. إنت ليه معتبر موافقتي موجودة؟

تنهد رائد يخرج أنفاسه ويقرر بابتسامة واثقة:

. علشان أنا ما اترفضش

عقدت ريم حاجبيها بتفكير متلاعب أتى النادل فوضع كأسي المشروب على الطاولة وانصرف وريم سألته بمراوغة:

. مش قلت خدي وقتِك مستعجل ليه على الرد؟

عندها امتدت كف رائد لكأس المشروب يرتشف منه ببطء ويجيبها بابتسامة:

. عايز أعزمك عند البرنس

ضحكت ريم بانطلاق من مداعباته وهو شرد بضحكاتها التي باتت تطارده في غيابها، حديثه أمس مع شقيقته أجلى ما كان يخفى عليه من مشاعر يُكنها للجالسة أمامه، رغبته المتزايدة في القرب منها ومشاركتها تفاصيل حياته وشروده بطيفها حين تغيب عنه كل ذلك لا يعني سوى سقوطه في أسر حبها وللعجب هو مستمتع بهكذا سقوط بل ويطلب الغوص أكثر ببحارها، أخرجه من شروده صوتها الذي حاولت كسوه بالجدية:

. حتى وقت الجد ما بتتكلمش جد

وضع رائد كأس المشروب على المنضدة وتأملها محاولًا منحها بعض الجدية:

. زهقت من الوحدة ومحتاجلك

صدقه سقط بعمق قلبها يهدهد خوفها؛ ليس منه فالراحة التي تجدها جواره لم تختبرها قبلًا ولكن مما قد يحمله لهما المجهول، ارتشفت القليل من مشروبها تتنهد وتكرر طلبها ولكن تلك المرة بنظرة أرسلت موافقتها التي لم تبح بها:

. محتاجة وقت يا رائد

هز رأسه إيجابًا بتفهم يمنحها ما أرادت ويحتاجه هو أيضًا لحسم موقف والدته، نهضت ريم تستأذن بالانصراف وهو ظل يطالعها وهي تنسحب حاملة راحته معها، قبل ابتعادها همس باسمها فالتفتت بنظرة متسائلة حين عقّب:

. مستني تليفونك

وهي هزت رأسها إيجابًا ببسمة راحة والتفتت مغادرة تحاول استيعاب تحول مشاعرها نحوه بتلك السهولة واليسر ولا تجد تفسيرًا سوى كلمات والدها التي عزت ما كانا يطلقان عليه

صداقة إلى عدم فهمهما لما يجمعهما حقًا وتراه جليًا في كل لحظة الآن.

ورائد جلس بمكانه؛ من رحلت عنه الآن باتت تمتلك سكينته بين راحتيها وهو ما كان يبحث عنه وغافلًا عن قربه لهذه الدرجة رغم قلقه من رد فعل والدته إلا أن ما يجده جوارها يستحق الحرب التي سيخوضها ولن يحيد عن فوزه فيها.

***

مقابلته الصادمة مع أسرتها ملكت تفكيره لليلة كاملة، إن كانت ستصبح زوجته فهو يحتاج لمعرفة ما يغيب عنه لا استنتاج التفاصيل، وصل

مكتبها فقابله الفراغ، استأذن في الدخول لنسمة التي منحته الإذن وما إن دلف حتى أشار بإبهامه للخارج يستفسر عن غيابها لترد نسمة:

.كلمتني وهتاخد النهاردة إجازة

جلس محمود أمام مكتبها ينكر غضبه لغيابها ثانية الذي واراه خلف دهشته:

. دي لسة راجعة الشغل امبارح

هزت نسمة رأسها إيجابًا دون تعقيب، لقد علمت من ريم ما حدث ولا تستطيع لوم الجالس أمامها إلا أنها تُنكر تصرفه المتسرع

عذره الوحيد نبل هدفه ولا ذنب له بأب عاق مثل والد هند، وهو يحتاج لتفسير كان سيبحث عنه لدى هند لكن غيابها اليوم ربما أفضل فنسمة ستكون حلًا يؤمن له المعرفة دون حرج لكليهما طالعها بنظرة راجية:

. أنا محتاج أفهم

طالعته بنظرة مستفهمة هي لن تبوح بأسرار صديقتها وكانت تفضل أن يعلم هو منها ما تريده دون وسيط ومحمود فهم استفسارها فوضح ما ظن أنها غافلة عنه:

. أنا زرت أهل هند علشان أخطبها امبارح

ضيقت نسمة حاجبيها تدعي الدهشة وهو أكمل:

. أنا...

لم يجد تعبيرًا مناسبًا يصف به الرجل ومقابلته، زفر بملل بعدما كبح كثيرًا من السباب المستحق للآخر:

. أنا شبه اطردت من بيتهم

زفرت نسمة بغضب من والد هند الذي فقد كل معاني الرجولة ومحمود يكمل:

. محتاج أفهم حقيقة الخلاف بينهم

استندت نسمة بظهرها إلى مقعدها وطالعته بحياد:

. ومسألتش هند ليه؟

طالع محمود الفراغ أمامه يجيبها:

.كل اللي قالته إنه كان عايزها ترجع لطليقها لكن اللي شفته يقول المشكلة أكبر من كدة

نهضت نسمة تلتف حول مكتبها وتواجهه في مقعده، هو يستحق تفسيرًا نعم لكن هذا التفسير ربما قلل من شأن صديقتها وهذا ما تكرهه، لكن الجمع بينهما وهي تراهما مناسبان لبعضهما وكأنهما خلقا ليتكاملا يحتاج إلى دفعة

لكليهما، رفعت نظرها إلى محمود المنتظر تحاول تجميل الحقيقة قدر الإمكان:

. تقدر تقول كان رافض يصرف عليها هي وابنها

منحته نظرة مشجعة تكمل:

. لو عايز تتجوزها متنتظرش حاجة من أهلها

هز محمود رأسه وأخفض نظره أرضًا يفكر فيما قالته وهي نادته ليرفع نظره مرة أخرى فتضع على كاهله ما تعتقد أنه أهلًا له:

. هند ملهاش حد واللي هتتجوزه هيكون كل حياتها

ابتسم محمود بخفوت وهي تضع يده على جرح صديقتها بذكاء حتى لا يضغط عليه دون قصد:

. وده هيخليها معتبره جوزها هو السند ولو أساء لها...

هزت رأسها بأسى تتذكر ما عانته الأخرى ولن تحتمل أية هزات جديدة بحياتها:

. المرة دي هيقضي عليها

أومأ محمود بتفهم وقد بدأت جميع الخيوط تتجمع برأسه، تحفظها عن ذكر أهلها وغيابهم عن جراحة طفلها وحزنها المتواري خلف الصمت كل هذا منحه تفسيرًا لتساؤلاته.

***

ترك نسمة ونهض يتجه إلى مكتبه حيث قابله الرجل الذي يراه لأول مرة بمكتب السكرتارية الخاوي، توجه نحوه مستفسرًا حيث عرّفه فارس بنفسه طالبًا الإذن بمقابلة نسمة التي سمعت صوته عبر الباب المفتوح فنهضت بدهشة من حضوره، طالعها فارس ببسمة حنون وهي أفسحت له الطريق تدعوه للدخول متجاوزة دهشتها، أومأ محمود لهما بتحية وانصرف، وهي اتخذت مقعدها خلف مكتبها تحاول تمالك نفسها فلأول مرة منذ مواجهتهما بالنادي

يتقابلان دون ثالث، منذ أقر فارس بمنحها الوقت الكافي وهو مكتفي بوجوده حولها كقريب فقط وسط أولادهما ولم يعمد لمفاتحتها مرة أخرى في الزواج وهو ما منحها بعض الراحة لكن اليوم ومع تلك النظرة الحنون التي يمنحها لها وتربكها تستطيع توقع سبب الزيارة، اعتدل فارس بجلسته يستند بساعده إلى المكتب ويمنحها نظرة جانبيه حملت حنينه إليها:

. بقالك أسبوع ما جيتيش النادي

أخفضت نسمة نظرها تفر من نظراته وأكدت معتذرة:

. نور كان لسة تعبان

هز فارس رأسه بتفهم وقلبه يهرول لينهل من لحظاته جوارها ولسانه باح بشوقه:

. وحشتيني

عقدت نسمة حاجبيها بضيق تنهره على بوحه:

. ما ينفعش كده

رفع فارس ساقًا فوق أخرى يسألها بهدوء:

. ليه؟

مطت شفتيها بامتعاض ممن جاء يحيي ذكريات الماضي بينما ذكرياتها متشبعة بآخر:

. الزمن ما بيرجعش

والحقيقة أن الزمن توقف به عندها وكل ما مر به بعدها لم يستطع محو صورتها الأولى من خياله، رفع نظره لوشاحها الذي تغير لونه للكحلي للمرة الأولى منذ وفاة زوجها ويحجب عنه الآن خصلات أسرته يومًا:

. بس أنا لسة شايفك بقطتين

هزت رأسها نفيًا بعدم رضا:

. البنت اللي عرفتها ما بقيتش موجودة

وهو قابل نفيها بنفي واثق:

. إنتِ اللي مصرة تدفنيها

أسر عينيها في نظرة تخصها وحدها دون سائر نساء الأرض وصوته يرجوها منحهما الفرصة:

. إحنا محتاجين لبعض

رفع كفه يشير بسبابته إلى صدره ويعود ليشير إليها:

. أنا محتاج زوجة وإنتِ محتاجة لزوج

والكلمة عندها لها معنىً واحد وهو من عرفته زوجًا وفارس أخفض كفه يزفر ضيقه وهو يتذكر الثلاثة أطفال ويضيف:

. ولادك وبنتي محتاجين يعيشوا في أسرة

عادت نسمة برأسها للخلف وقد أرهقتها الحياة، لقد سئمت الدور الذي تلعبه ولم يشبهها يومًا، ملت ضغط الجميع عليها ومعاناتها وحيدة وللعجب لا تستطيع تلبية طلبه، همست بإرهاق:

. أنا تعبت

وقلبه الذي احتواها بخياله آلاف المرات هرول يهدهد تعبها ولسانه يطلب الإذن الذي يبيح له الفعل:

. ما تحرميناش من كل ده

وهي عادت بنظرها إليه تهمس بما تعانيه دون تزيين رغم كل ما قاسته ما زال هناك مضغة داخلها تأبى تلبية طلبه:

. مش قادرة

وتكرار رفضها يمزقه لكنه لن يعرف اليأس فمن انتظر لثمانية عشر عامًا لن يستسلم يومًا

ونسمة استندت بمرفقيها إلى مكتبها تضع رأسها بين كفيها وتخجل من التوضيح أكثر فهي وإن كانت تشتاق لاحتضان زوج إلا أنها لا تستطيع تخيل نفسها بين أحضان غيره، همست بتعب ترجوه الرحمة:

. افهمني يا فارس أرجوك

ورسالتها وصلته جلية، تنهد بتعب يزفر أنفاسه

ويمنحها راحة مؤقتة:

. مستنيكِ

ونهض يحررها من أسر وجوده وينصرف ليتركها

تطالع أثره في الفراغ وقد بعثر أفكارها مجددًا.

***

بعد ما ودعها مؤقتًا وقد عقد نيته على أن

تكون ببيته في أقرب فرصة، توجه إلى بيت

شقيقته وقد عزم على خوض حربه الخاصة، فتح

الصغير الباب بعد سماعه للطرق المميز ليعود

رائد لعادته معه؛ يرفعه على كتفه بذراعٍ واحدةٍ ورأسه متدلٍ خلف ظهره كما يعشق الصغير، طبع قبلة على وجنته وأنزله أرضًا ثم توجه إلى نادين المشغولة بجهازها اللوحي يمسد خصلاتها ويسألها عن والدته:

. تيته في أوضتها

أومأت نادين برأسها إيجابًا بابتسامة ليدلف رائد حيث كانت السيدة زينب جالسة على كرسي وحيد بآخر الغرفة، علمت بوجوده فأشاحت بوجهها للجانب الآخر وهو تقدم ينحني على رأسها يقبله طلبًا لرضاها ويجلس على طرف

الفراش المجاور، حاول بداية الحديث بإضفاء بعض من مرحه وإن ملأ الضيق نفسه:

. هتيجي تخطبي لي ريم إمتى؟

التفتت وعيناها تبرق بغيظ منه تجيبه باستنكار:

. هو رفضي ما لوش قيمة!

مط رائد شفتيه بامتعاض يضيق برفضها ويتمنى رضاها:

. أكيد ليه قيمة بس ده جواز

رفعت السيدة زينب كفها تلّوح به في عصبية وتكمل له:

. وعلشان جواز أنا مش موافقة

قابل عصبيتها بمثلها يسأل بنزق:

. لية؟

ضربت السيده زينب فخذيها بكفيها وقد فاض كيلها من ابنها العنيد:

. تاني يا رائد ما قلنا أكبر منك

وهو مل تكرار ذلك السبب الذي لا يشكل فارقًا:

. مش فارق معايا

ارتفع صوت السيدة زينب بغضب من تفقد السيطرة على زمام الأمور بعد أن طال بها العمر:

. بعد ما ضيعت عمري عليكم بتعصاني!

ضاق بكلمات والدته، هو لم يطلب قط أن تُفني عمرها في سبيلهما ولم يكن أو لشقيقته دورًا يومًا في قرارها بعدم الزواج فلمَ تحاسبه الآن وتطلب ثمن تضحية لا ذنب له بها، رغم كل ما يجول بخاطره إلا أنه لم يستطع التصريح بأي منه مفضلًا كعادته كبح غضبه والتركيز على هدفه

الذي بات واضحًا وزاد إصراره على الوصول إليه:

. أنا مش هتجوز غير ريم

صرخت بوجهه بقلة حيلة:

. اشمعنى دي؟

. بحبها

صرخ بها دون وعي لأول مرة يبوح بما يُكنّه للأخرى صراحة أمام أحد والأهم أمام نفسه، دُهشت السيدة زينب من إصراره وحاولت توضيح ما يغفل عنه كرجل، اقتربت منه تربت على ركبته وبلين صوتها ترجوه التعقل:

. يا ابني السن بيفرق مع الست غير الراجل

ورائد ضيّق حاجبيه بعدم فهم يحاول سبر أغوار والدته التي أكملت:

. الخلفة في السن الكبير بتكون صعبة

ضرب رائد كفًا بكف يأسًا من منطق والدته البائد:

. سن كبير؟ تفرق إيه عن نسمة اللي إنت عايزة تجوزيها تاني

ابتسمت السيدة زينت وكأنها أصابت هدفها توضح أكثر:

. آديك قلت تاني يعني أختك اتجوزت وخلفت لو اتجوزت تاني ما يفرقش معاها تخلف ولا لأ لكن إنت لسة بتبدأ حياتك ليه تاخد واحدة سنها...

قطع رائد استرسال والدته بإشارة من يده وهو ينهض يخبرها بحسم:

. ممكن أتجوز واحدة عندها عشرين سنة تطلع ما بتخلفش

رفع كفه يضم قبضته مشيرًا إلى صدره ويكمل:

. ممكن أنا أطلع عقيم

بسط ذراعيه بمحاذاة جسده مكملًا:

. مفيش منطق يقول إني ما اتجوزش اللي بحبها علشان حاجة في علم الغيب

أنهى كلامه وأولاها ظهره يطالع الطريق عبر نافذة الغرفة، شهق فملأ صدره بالهواء ثم زفره ببطء يملي قراره الذي يأمل أن تستجيب له والدته:

. أنا هحدد معاد مع عمي رفعت في أقرب وقت

ثم التفت ينصرف وعند الباب توقف دون أن يوليها وجهه:

. لو عايزة تصغريني ما تجيش معايا

وانصرف تاركًا المنزل بمن فيه ووالدته أُسقط في يدها بين الانصياع لرغبته ضد إرادتها أو ربما فقدان ولدها الوحيد.

***

صباح يوم جديد أشرقت به الشمس على قلوب أرهقتها الوحدة، عادت لعملها بعد غياب يوم استغلته في ترتيب أوراقها جيدًا، اتخذت مكانها خلف مكتبها وهو كان بانتظارها، دلف محمود يطالع هيئتها المرهَقة، عينان منتفختان فشلت بعض مساحيق التجميل في مواراة إرهاقهما، ووجه متعب

يعكس معاناة من جافاها النوم، جلس أمام مكتبها دون إذن وبصوت حاول مواراة قلقه به سألها:

.كنتِ غايبة لية إمبارح

رفعت نظرها تطالع عينيه التي تمشطها بقلق وصلها جيدًا، ما بال الرجل يُصعب عليها مهمتها التي أتت من أجلها اليوم:

.كنت تعبانة شوية

ارتباكها زاد من قلقه وسحب عقله إلى حالة صغيرها فسأل باهتمام:

. ضياء كويس؟

أومأت برأسها إيجابًا تعدل من حجابها بتوتر

وهو اتخذ اللين سبيلا يسألها برفق:

. فكرتي؟

هزت رأسها إيجابًا مرة أخرى قبل أن تهمس

بقرارها:

. آسفة يا باشمهندس مش موافقة

ضيق حاجبيه بعدم فهم؛ بجلستهما السابقة

استطاع رؤية قبولها المبدئي رغم تردد مشروع ولم

يكن يتوقع رفضها مطلقًا:

. ممكن أعرف ليه؟

رفعت نظرها إليه تطالعه بهيئته المريحة وتُصعب عليها مهمتها، عينيه التي تدعوها للثقة وترفض هي الدعوة، قمحيته، ولحيته التي اختلط بها الأبيض بالأسود في تناغم بات محبب لها دون أن تدري والآن حضوره ولينه عكس جديته السابقة كل ذلك بات يُربكها ويجعل مهمتها في الرفض شاقة، ابتلعت لعابها تحاول استعادة بعض الكلمات التي كانت قد رتبتها سابقًا وفرّت منها:

. مش هتجوز وهعيش علشان ضياء وبس

وهو قرأ ما خفيَ خلف الكلمات، من أمامه تفتقد للثقة بالجميع ومعها كل الحق فبعد ليلة طويلة جمع بها كل أفكاره حولها باتت كصفحة بيضاء واضحة تمامًا بالنسبة إليه، هز رأسه نفيًا يجاريها في كلماتها في محاولة للقرب أكثر:

. يبقى بتظلمي ضياء

نظرتها المستفهمة منحته الفرصة ليكمل:

. ضياء محتاج إخوات يبقوا سنده

وهو خير من يدرك معنى أن يشدُد الله أزر أخ بأخيه وعند ذكر الإخوة كانت هي تستعيد أحد هواجسها:

. أضمن منين إنك ما تفرقش بينه وبين إخواته في المعاملة

ثم تذكرت معاناتها من أجل طفل وابتسمت بسخرية متبعة:

. ثم إني قعدت 8 سنين بدون حمل فلو ده هدف الجواز يبقى آسفة

وأخفضت نظرها في محاولة للهروب من نظراته المتفحصة وهو نقر بأحد الأقلام على المكتب يجبرها على رفع نظرها مرة أخرى وبصدق أرسلته نظراته وأكدته كلماته:

. لأ مش ده هدف الجواز

رفع حاجبيه يكمل ما دفعه للتفكير بها دون مواربة:

. طلبت أتجوزك علشان شايفك زوجة

وهي بلغ اضطرابها أمامه مداه لماذا يصر على زلزلة عالمها خاصة بعد ما علمه عن حال عائلتها، لم لا يتركها بحال سبيلها فقط، وهو رأى التردد مرة أخرى فنفى الرفض عنها:

. رفضك متسرع

ضيقت حاجبيها باستغراب منه وهو نهض يجدد فرصتها بالتفكير:

. فكري تاني

انحنى بجذعه يستند بأحد كفيه للمكتب والأخرى ضمها خلف ظهره بينما يمنحها بعض من طمأنينة تحتاجها:

. وتأكدي إني مش هخذلك

وتركها مرة أخرى بعد أن وأد رفضها الواهي بالأساس مشتتًا كل أفكارها.

***

عاد طفليها إلى تدريباتهما مرة أخرى بعد أن تعافى نور من إصابته، اتخذت طاولة جانبية ريثما ينتهيان متوحدة مع أحد رواياتها كعادتها دائمًا في استغلال وقت التدريب لالتقاط أنفاسها من

ركضها بالحياة وعلى غفلة منها ارتطمت كرة ركلها أحد الأطفال بمشروبها على الطاولة ليتطاير ملوثًا ثوبها، جرى الطفل نحوها معتذرًا: آسف يا طنط .

هزت نسمة رأسها للطفل بتفهم تبتسم بعطف أن لا عليك وحملت حقيبتها متجهة إلى دورة المياه الخاصة بالسيدات، دلفت تنظف ثوبها وجففته قدر الإمكان بالمحارم الورقية وخرجت عائدة حيث طاولتها، في الممر المتواري عن الأعين توقفت تطالع المنظر أمامها؛ لمى مُحتجزة بين جسد شاب والحائط يحيط جسدها بذراعيه

من الجانبين يشرف عليها ونظرات رعب الصغيرة منه واضحة رغم عدم مقاومتها، اقتربت نسمة وما وصل لسمعها جملته:

.كنتِ فاكرة مش هعرف أوصلك

أعلنت نسمة عن وجودها بقوة ورفعت صوتها:

. إيه اللي بيحصل هنا؟

عندها بلغ رعب الصغيرة مداه، جحظت عينيها وانعقد لسانها ولؤي يرد دون اهتمام:

. خطيبتي زعلانة وبصالحها

الفصل السادس والعشرون

بين الثقة والخذلان تتأرجح القلوب

**

. خطيبتي زعلانة وبصالحها

نظرات رعب لمى وهي تهز رأسها نفيًا بينما نسمة تتقدم من لؤي بغضب من كذبته الساذجة منحتها الإذن بالتصرف، اقتربت من لؤي تعيد كلمته بسخرية:

. خطيبتك!

. يالا يا لمى

لم تنتظر نسمة رده، مدت كفها تسحب يد لمى التي حررها لؤي جزئيًا عندما التفت مخفضًا إحدى ذراعيه بينما الأخرى لازالت مستندة على الحائط جوار رأسها، سارت لمى معها بطاعة عندما حدجت نسمة لؤي بنظرة متوعدة والآخر يبادلها نظرة مستهترة ويرفع صوته مخاطبًا لمى حين ابتعدتا قليلًا:

. هستنى تليفونك يا لمى

قادت نسمة الشابة الصغيرة حتى توارتا عن أنظار الآخر ثم توقفت تواجهها بتساؤل:

. إيه اللي شفته ده؟

انفجرت لمى في البكاء تهز رأسها يمينًا ويسارًا وقد باتت بوضع المتهمة وكلماتها تنفي:

. والله يا طنط ما عملت حاجة غلط

رق قلب نسمة لبكاء الصغيرة لكن حكمة الأم تطالبها بتفسير:

. مين ده وإزاي يتجرأ عليكِ كدة؟

رفعت لها لمى عينين باكيتين تخبرها بإيجاز:

. لؤي كان صاحبي في النادي القديم

تجاوزت نسمة تعبير الصغيرة فحدسها يخبرها أن المشكلة أكبر من أن تُحل بمحاضرة تعريفية عن ضوابط الزمالة بين الجنسين وما زاد فضولها لمى التي أكملت:

. والله أنا عملت له بلوك من كل حاجة

ثم عادت لبكائها قهرًا تُخفي فمها بكفيها، امتدت كف نسمة تُنزل كفي الصغيرة تحثها على الثقة بها رغم بُعد المسافات:

. لو ما قلتيش الحقيقة مش هقدر أساعدك

رغم تشكك نظرات الصغيرة لكن كفها امتدت تُخرج هاتفها المحمول بقلة حيلة من حُشر بالزاوية فهي إن لم تُقدم تفسيرًا شافيًا الآن لمن أمامها فلا عجب إن أخبرت والدها بما رأت وحينها ستصبح هي بموقف لا تُحسد عليه، فتحت أحد برامج المحادثات وقدمت الهاتف إلى نسمة بتردد:

. من يومين بعتلي من أكونت تاني

التقطت نسمة الهاتف وطالعت المحادثة التي فتحتها لمى لتجحظ عيناها ذهولًا مما رأت، فلمى تجمعها بالشاب عدة صور في ما يبدو أنه

بيت الأخير بعضها عادي والآخر بأوضاع

مُخجلة يندى لها الجبين، مسحت لمى بعض

دمعاتها الفارة وهي تكمل دفاعها عن نفسها:

. والله يا طنط مش أنا

وكانت تقصد من بالأوضاع المُخلة لكن الأخرى

هي بالتأكيد، واصلت نسمة قراءة المحادثة

فاللعين يهدد الصغيرة بنشر الصور على

صفحتها الشخصية وصفحات صديقاتها

وإرسالها لكل من يعرفها إن لم تستجب لطلباته

ورد الفتاة يثبت براءتها فالصور التي تخصها

التقطت معه بالفعل ولكن بالنادي وليس البيت

أما الأخرى فهي فقط تماثلها بلون الشعر والحجم ووجهها غير واضح لكن الآخر يهدد بفضيحة ولترى من يصدقها إن دافعت عن نفسها، رفعت نسمة رأسها للصغيرة تمنحها بعض الأمان ولمى تسألها بوجل:

. حضرتك هتقولي لبابي؟

ربتت نسمة على كتفها مطمئنة:

. إنتِ اللي هتقوليله

هزت لمى رأسها نفيًا ودموعها لا زالت تتساقط قهرًا:

. هيزعل مني تاني

رفعت نسمة كفها تربت على وجنة لمى بدعم

ورأسها تنفي هاجس الفتاة:

. لو ما قلتيلوش هيزعل منك

أخرجت نسمة محرمة قدمتها إلى لمى التي

التقطتها تُجفف دموعها ونسمة تكمل مشجعة:

. لا أنا ولا إنتِ هنعرف نتصرف معاه

ولمى وإن تسرب لها بعض الاطمئنان بتصديق

نسمة على براءتها لا زالت تقاوم ترددها:

. بس...

قاطعتها نسمة تبتر حيرتها بسؤال:

. إنتِ عملتي حاجة غلط

هزت لمى رأسها نفيًا بقوة لتكمل نسمة طمأنتها:

. يبقى متخافيش

أومأت لمى برأسها إيجابًا ونسمة اقتربت تحتوي كتفيها بحنان وتقودها حتى الطاولة وهي تملي ما يتوجب عليها فعله:

. هنقضي اليوم عادي وأول ما تروحي تفتحي لبابا الشات

لم تحصل سوى على إيماءة صامتة من الفتاة لتكمل برعاية أم:

. وأنا بالليل هتصل أطمن عليكِ

***

مر يومها ككل يوم رغم صمتها الذي لاحظه والدها ولم يُعقب، دلفا للبيت مساءً وهي بين خجلها وحيرتها، دلفت غرفتها فبدلت ملابسها وهي تقاوم التردد، ماذا إن تراجعت عن إعلام والدها حينها ستظل تحت رحمة الآخر والأكيد أن نسمة لن تصمت وستُعلم والدها بما حدث وفي تلك الحالة سيكون موقفها ضعيف أمامه، قاومت ترددها والتقطت الهاتف تسير بخطوات وجلة نحو غرفة والدها، طرقت الباب برفق

فأتاها صوت فارس الحنون يمنحها الإذن، دلفت تخفض رأسها بخجل وتتقدم منه ببطء، ابتلعت لعابها وفارس يتطلع إلى تلعثمها بصبر:

. عايزة أقول لحضرتك على حاجة

أشار لها فارس بالاقتراب ففعلت ليُجلسها جواره على طرف الفراش ويحتوي كتفيها في ضمة مشجعة وهي أطاعت حدسها الذي أخبرها أن والدها لم يخذلها من قبل في أي موقف، قاومت خوفها وفتحت هاتفها على المحادثة المنشودة وقدمته إلى والدها دون قدرة على النطق وفارس التقط الهاتف بهدوء يطالع

المحادثة التي أججت دماءه بأوردته، قبض كفه على الهاتف يعتصره بغيظ والأخرى تضغط كتف ابنته بحمائية آلمتها وبثت الرعب بنفسها قبل أن يسحب والدها رأسها يقبلها ثم يدسها فوق صدره بضمة أودعها خوفه وفرحته بآن واحد، همست لمى بين أحضانه تتأكد مما وصلها:

. حضرتك مش زعلان مني

أبعد فارس رأسها عن صدره قليلًا يطالع عينيها ببسمة مطمئنة:

. أنا فرحان بيكِ

نظرات دهشة لمى جعلته يكمل توضيحه:

. فرحان إنك جيتِ لي

ابتسمت لمى براحة وهي تعيد التأكيد على براءتها:

. أنا ما عملتش حاجة غلط

توسعت بسمة فارس بحنان وهو يعيد ابنته إلى صدره يمنحها أمانه الذي لم يبخل به يومًا:

. حتى لو غلطتي تيجي تقولي لي ونصلح مع بعض

أغمضت لمى عينيها براحة تنعم بدعم والدها وهمست بتساؤل يؤرقها:

. طيب هنعمل إيه معاه

أبعدها فارس لينهض ويربت على وجنتها مطمئنًا:

. ما تشغليش بالك

طالعته لمى وهو يعيد ارتداء ملابسه مرة أخرى تسأله بدهشة:

. حضرتك هتنزل تاني؟

التقط فارس هاتفه وهاتف ابنته يدسهما بجيبه

وهو يوضح:

. هاخد موبايلك لحد الصبح

اقترب منها يربت على عضديها ويقبل رأسها

مرة أخرى:

. نامي ولو احتاجتي حاجة كلميني من الأرضي

وانصرف نحو مهمته الواجبة فالوغد منحه طرف

الحبل الذي سيحيط به عنقه دون جهد يُذكر.

***

أنهت يومها الطويل وعادت بصحبة طفليها إلى بيتها، دلف الطفلين يستعدان للنوم بينما السيدة زينب استقبلت نسمة بحديث كانت تتوقعه الأخرى:

. إنتِ موافقة على اللي أخوكِ عايز يعمله؟

زفرت نسمة يأسًا من إصرار والدتها وأجابت:

. وموافقش ليه؟

ضاقت السيدة زينب ذرعًا بهما وقد فقدت قدرتها على تحمل تمردهما فأضافت باستنكار:

. موافقة إن أخوكِ الصغير يتجوز واحدة قدك!

جلست نسمة على الأريكة بتعب تعيد ترتيب كلمات والدتها:

. موافقة إنه يتجوز الإنسانة اللي اختارها

همت السيدة زينب بالاعتراض فقاطعتها نسمة مؤكدة:

. رائد مش صغير وعارف مصلحته كويس

ونهضت تتجه إلى غرفتها باترة ما تبقى من حديث فوالدتها لن تكُف حتى ينصاع شقيقها لإرادتها وهو ما تراه مستحيلًا.

دلفت غرفتها تمنح نفسها حمامًا دافئًا علّها تستطيع الاستغناء عن أقراص المنوم التي لجأت

إليها منذ فترة ليست بالوجيزة بعد ما فشلت لأيام في الحصول على قسط من النوم رغم ما تبذله من جهد طوال يومها، طالما عمدت إلى شغل وقتها بالعمل ومسئوليات طفليها حتى تتمكن من مقاومة الاشتياق للمساته الذي يصحبها كلما دلفت غرفتها ويسلبها سلامها، ارتدت ثيابها واستلقت على الفراش الخاوي منه تستدعي راحة باتت عسيرة عليها، حاولت استدعاء النوم ففشلت ككل يوم التفتت تواجه الفراغ والوحدة تطبق على صدرها تمتص رحيق شبابها، نهضت وقد غص قلبها بالحاجة إليه،

فتحت نافذة غرفتها تطالع حلكة السماء تملأ رئتيها بنسمات الساعات الأولى للصباح، تذكرت تلك المراهقة التي سقطت في براثن كلبٍ ضال فالتقطت هاتفها تطلب رقم الصغيرة بعدما تجاوزت ترددها مدفوعة بقلقها عليها، سمعت صوت الرنين حتى فوجئت بصوت فارس يجيب الاتصال فهمست باسمه ذهولًا وهو اندهش من كونها تطلب ابنته في ساعة كتلك حتى عاجلته هي بسؤال قلِق:

. لمى كويسة؟

طمأنها فارس وعبّر عن دهشته لتوضح هي سبب الاتصال بسؤال مبهم:

. هي قالت لك؟

أتاها صوته مؤكدًا ولم يخفِ سعادته من كونها تهتم لأمر ابنته:

. إنتِ عرفتي؟

وهي أكدت كونها علمت مصادفة وسألت باهتمام لا تدعيه:

. هتعمل إيه؟

عندها ظهر غضبه المكبوت جليًا بصوته وهو يؤكد بصرامة:

. اعتبري الموضوع خلص

ودعته وقد اطمأنت أن الصغيرة قد استجابت لنصحها، عادت للفراش تلتقط قرص الدواء وتبتلعه لتغط بعد دقائق في نوم إجباري سيطرت فيه حاجتها على أحلامها تعود بها إلى أحد لياليها مع زوجها يدللها ويروي عطش أنوثتها بلمساته المحبة يرتفع بها فوق سماء العشق وإن توارت ملامحه، شهقت تُفرج عينيها تنهت بانفعال مما عاشته وكاد أن يكون حقيقيًا

وجسدها يتصبب عرقًا، نهضت تبتلع بعض الماء في محاولة للسيطرة على لهاثها ودلفت دورة المياه تغمر جسدها بالماء مرة أخرى وقد علمت أنها لن يُغمض لها جفن ثانية تلك الليلة وربما لليال أخرى لا تستطيع عدها.

***

خلال طريقه كان قد أجرى اتصالاته بأحد زملائه بإدارة مكافحة الجرائم الالكترونية الذي أكد عليه الحفاظ على الاتصال مع ذلك الوغد حتى يتمكن من إثبات التهمة عليه وهو ما كان يدركه فارس جيدًا عندما وصلت رسالته

الجديدة هاتف لمى يلومها على تأخر ردها ليبادله فارس الحديث وكأنه هي يطمئنه بالاستجابة لطلباته والآخر ابتلع الطعم جيدًا يطلب من الصغيرة فتح كاميرا الهاتف فاعتذر فارس نيابة عنها كون "بابي" جوارها ولن تستطيع الآن، دقائق وكان الهاتف بيد زملائه يتتبعون مرسل التهديدات، قضى فارس الليل بمكتب مباحث الإنترنت وقد تابع سير المحضر الذي حرره نيابة عن ابنته القاصر حتى صدور إذن النيابة صباحًا بضبط وإحضار المدعو لؤي موافي الذي تفاجأ بقوة تطرق باب بيته وسط

شهقات والدته التي رأتهم يسحبون ابنها من فوق فراشه الوثير ويقتادونه مكبلًا حتى عربة الشرطة بضع من ساعة وكان أحد الجنود يزج به أسفل قدمي فارس المُنتظر على أحر من جمر يجلس بنصف جلسة أعلى المكتب وأحد قدميه مرتكزة على الأرض يضم كفيه وشرارات توعده تحرق من دُفع ليسقط أمامه، أشار فارس للجندي فساعد لؤي على النهوض ومن ثم فك وثاقه عندها أنزل فارس قدمه الأخرى عن المكتب وتقدم منه ببطء وما إن واجهه حتى عاجله بلكمة بفكه من يمناه بينما يسراه تمسك

بقبة قميصه تمنعه السقوط لتُكيل يمناه المزيد من اللكمات أتبعها بعدة صفعات على مؤخرة عنقه ألقت بلؤي أرضًا كخرقة بالية وفارس يكيل له السباب ويتبعه بركلات ببطنه وظهره عندها تقدم أحد الضباط يحيط جسده بذراعيه يبعده عن لؤي المنكفئ أرضًا وهو يصرخ به:

.كفاية يا فارس باشا

حاول فارس التملص من ذراعي زميله وقد فقد السيطرة على أفعاله تمامًا يصرخ بلهاث:

. الكلب بيلعب ببنتي

أحكم الضابط ذراعيه حوله وأشار لجنديين بأخذ لؤي الذي لم يقو على النهوض معهما فسحباه من ذراعيه بينما قدماه تسير خطوة وتتعثر أخريات وعندما اختفى خارج المكتب حرر الضابط فارس وهو يعتذر عن تصرفه دون مراعاه لفارق الرتبة بينهما:

. آسف يا باشا بس كنت هتودي نفسك في داهية

اعتدل فارس وألقى بجسده فوق أحد المقاعد يلهث:

.كنت سيبني أخلص عليه

تقدم الضابط يُحضر زجاجة مياه ويمنحها لفارس

وهو يضيف:

. ده عيل ولا يسوى توسخ إيدك بيه

التقط فارس الزجاجة يتجرع منها في محاولة

لاستعادة رباطة جأشه والآخر اتخذ مقعده خلف

مكتبه يطمئنه:

. هياخد جزاؤه يا باشا وهرميهولك في الحجز

كام يوم لحد ما اللي في وشه يخف

التفت له فارس ولازال صدره يعلو ويهبط

انفعالًا وهو يؤكد:

. ما المحامي بتاعه لو شافه كده ما هيصدق ويوجع دماغنا

أومأ فارس برأسه إيجابًا وهو ينهض يصافح زميله:

. هتابع معاك

والآخر بادله المصافحة يؤكد له ما تم من إجراءات لن يُفلت منها الوغد:

. اطمن مش هيخرج منها

زفر فارس براحة وانصرف عائدًا إلى منزله بعد ليلة عصيبة وصل بيته ظهرًا فاستقبلته لمى قلقة

من غيابه فلم تتوقع قضاءه الليل كاملًا وجزء من النهار بالخارج:

. اتأخرت يا بابي

ربت على كتفها وأخرج هاتفها يعيده إليها مرة أخرى ويطبع قبله على رأسها:

. مش هيضايقك تاني

وهي تبعته حتى غرفته تطالع ارهاقه البادي للعيان وهو يُفكك أزرار قميصه ويخلع حذاءه ويتخلص من حزام بنطاله ملقيًا بجسده فوق الفراش دون قدرة على تبديل ملابسه، تقدمت لمى فخلعت عنه جوربه وسألت باهتمام:

. أساعد حضرتك؟

هز فارس رأسه نفيًا:

. عايز أنام بس

أومأت لمى برأسها إيجابًا وامتدت كفها إلى جهاز التحكم بمكيف الهواء تفتحه وتنصرف مغلقة باب الغرفة.

***

صباح يوم جديد كانت خلف مكتبها ككل يوم وقد بدد رفضها بالأمس يمنحها فرصة جديدة لوضع ثقتها به وإن خذلها الجميع، دلف مكتبها يمنحها بعض ملفات العمل ونظرته تمنحها

الأمان، جلس على غير عادته يطالعها بينما تقوم بإدخال البيانات على الحاسب الآلي، ارتباكها وهروب عينيها من ملاقاة عينيه بات يأسره، صفاء ملامحها وإن شابها الحزن والقلق يدغدغ حواسه همس باسمها:

. هند

كانت تحاول تجاهل وجوده الذي بات يربكها لكن همسته أعادت أسرها مرة أخرى، رفعت نظرها عن الحاسب استجابة له وهو يسأل بلين بات يخصها هي فقط:

. هسمع ردك إمتى؟

أخفضت هند نظراتها خجلًا دون رد ومحمود استغل الفرصة ليضيف:

. أنا ممكن اعتبر السكوت علامة الرضا

ومن قال أنها غير راضية، هي تتأرجح بين صوت ينادي بالرضا وقبول رسائل أمانه وآخر خائف يتمسك بثباتٍ واهٍ تحياه، رفعت عينيها له بتردد لا تستطيع نُصرة أحد الصوتين على الآخر وهو نصر أحدهما:

. هنحدد كتب الكتاب إمتى؟

جحظت عيناها دهشة من مفاجأته وهو ضحك ملئ شدقيه لدهشتها وتحدث من بين ضحكاته:

. ما هو أنا مليش في الخطوبة والحوارات دي

أشار بسبابته إليها موضحًا:

. زي ما قلتلك هننزل نشتري أوضة نوم والشقة

تقريبا اتوضبت اخواتي عاملين ورادي عليها

عاد بظهره يستند إلى مقعده وهي غرقت

بضحكاته والراحة التي يمنحها لها حديثه وهو

يضيف بفكاهة:

. واضح إنهم ما صدقوا يخلصوا مني

لاحظ صمتها وإن بدى الارتياح على وجهها

وعلامات قبول حديثه لا ينكرها عاقل استند

بساعده لطرف المكتب يميل ناحيتها قليلًا:

. اتكلمي يا هند سامعك

وهي تلعثمت الحروف بين شفتيها لا تدري ما يتوجب عليها قوله فهمست بهاجس يطاردها:

. خايفة

وهو ابتسم بحنان يبدد خوفها بالثقة التي تمنحها لها نظراته وتصلها واضحة:

. ما تخافيش

هزة رأس مترددة منحته موافقتها فنهض ينقر على المكتب بسبابته ويضيف بسعاده:

. هنتفق على معاد علشان تتعرفي على إخواتي

انحنى قليلًا للأمام وهي تعلقت عيناها به وهو يهمس:

. وبالمرة نشتري الدبل

وتركها وانصرف ولا زال الصوتين داخلها يتصارعان أحدهما يرقص فرحًا بين ضلوعها والآخر متوجس خوفًا من القادم.

***

وما نيل المطالب بالتمني

ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

أحمد شوقي

وهو قرر نيل مطلبه غلابًا، ظل يحادثها صباح مساء وفي كل مرة يُصر على سماع موافقتها التي ضنت بها عليه عدة مرات ومنحتها له أخيرًا لينهي مكالمتها دون سلام ويطلب رقم السيد رفعت محددًا موعد زيارته الرسمية لهم وقد كان له ما أراد، حضر لبيتهم بصحبة شقيقته وطفليها والسيدة زينب التي حضرت مضطرة رغم عدم رضاها لكن ما كان لها أن تفقد ولدها الوحيد بسبب زيجة تُعوِل على فشلها وكان في استقبالهم السيد رفعت والسيدة رقية وكعادة رائد أضفى

على الجلسة التي جمعت ريم وهند بعض المرح

وإن شابه بعض الجدية:

. دلوقت أنا جاي أقرا الفاتحة وأحدد معاد الفرح

ضحك السيد رفعت:

. ده إنت مستعجل بقى يا عريس

حل رائد زر حلته الوحيد وتقدم للأمام قليلًا

يوضح:

. الشقة جاهزة على الديكورات النهائية والفرش

وده مش هياخد كام شهر يبقى نستنى ليه

أومأ السيد رفعت برأسه إيجابًا وحدج ابنته بنظرة جانبية ملاحظًا سعادتها البادية:

. طيب مش نسأل العروسة يمكن عايزة تعرفك أكتر

منح رائد ريم الصامتة غمزة عابثة لم تخف على الموجودين وهو يضيف بمرح:

. سيبلي العروسة يا عمي أنا هقنعها

ضرب السيد رفعت كفًا بكف ينهره بلطف:

. إيه سيبلي العروسة دي يا ولد

استعاد رائد بعض جديته وهو يناظر السيد رفعت باحترام مُستحق:

. قصدي يعني بعد الخطوبة هقنعها نعجل بالفرح

شبك كفيه يحاول التخلي عن دعابته:

. طب نقول الخطوبة الخميس الجاي؟

تقدم السيد رفعت يستند بساعده إلى ركبته ويشير إلى رائد بكفه يسأله:

. إنت يا ابني حد بيجري وراك؟

هم رائد بالاعتراض فالتقطت نسمة طرف الحديث:

. أسبوع قليل قوي يا رائد

التفت رائد إلى شقيقته مستفسرًا باستنكار:

. قليل على إيه دي خطوبة بس

رفعت نسمه كفيها تعد على أصابعها:

. لسة نشتري الشبكة ونفصل فساتين للعروسة ولينا

ضرب رائد كفًا بكف فتلك تفاصيل نسائية لا تهم في شيء ولا داعي لتأجيل خطبته بسببها لكنه رضخ فبالنهاية تلك النسوة هن الأحب إلى قلبه:

. يبقى أسبوعين واشتروا فساتين جاهزة

هز السيد رفعت رأسه بتفهم وأضاف بسعادة:

. على خيرة الله الخميس بعد الجاي تكون خطوبة ريم وكتب كتاب هند

وهنا انطلقت زغرودة السيدة رقية تصدح في المنزل معلنة قرب إقامة الأفراح به.

الفصل السابع والعشرون

ما أسعد البدايات حين يفاجئنا بها القدر

***

بعض البدايات مبهرة وأخرى أضواءها خافتة، وبدايتها يشوبها الخوف من غدٍ لا تعلم ما يدخره لها قدرها فيه لكن صوت داخلها يدفعها للحلم، للتصديق والثقة في من عرفته لأشهر ومد لها يديه يمنحها الأمان وها هو يبسط طريق الثقة بينهما عندما فاجأها بطلبه من نسمة

مرافقتها في لقائها مع شقيقاته؛ هل وصلته وحدتها فحاول تخفيفها أم هي مراعاته للشكل الاجتماعي فقط بغياب أي من أهلها عن الصورة، أي كان سببه فهي شاكرة له صنيعه فوجود صديقتها خفف من حدة توترها وسط شقيقاته اللائي تراهن للمرة الأولى؛ أكبرهن تقاربه سنًا وعلاقة صداقة بينهما واضحة للعيان ورعايتها التي تحيط بها الجميع تضعها بمرتبة أم، الوسطى تكبر هند بقليل وهدوءها يضفي عليها وقارًا لا تدعيه أما أصغرهن فهي مدللة الجميع عامة وهو خاصة تحدجه بنظرات ابنة

أكدتها كلماتها وهي تحاول تخفيف خجل هند الصامتة:

. حودة ده يبقى بابا مش أخويا

ابتسمت هند بود لغِنى ورفعت نظرها إلى محمود الذى لام الأخرى بنظراته على نطق لفظ تدليله أمام الجميع لتهمس هند:

. ربنا يخليه ليكِ

اقتربت حلا من هند تربت على كتفها:

. ويخليه ليكِ إنتِ كمان

وجهت نظرها نحو زجاج العرض تحثها على الاختيار من بين الحلقات الذهبية:

. يالا يا عروسة نقي اللي يعجبك

تدخلت نسمة بروح أخت وهي تطلب من البائع الحلقات الذهبية وتناول أحداها لهند حتى استقرت على اختيار واحدة بعدها طلب محمود من البائع بعض الخواتم والأساور الذهبية لتقوم هند بالاختيار من بينها في النهاية وجه محمود كلماته للبائع:

. خلاص كدة شوف الحساب كام

لتبادر هنا بالتدخل تسأل البائع:

. هي الأسورة دي ليها سلسلة

أجاب البائع هنا متناولًا السلسلة المطلوبة ليعرضها عليها بينما محمود سحب حلا من ذراعها يهمس لها بعيدًا عنهم:

. إيه اللي أختك بتعمله ده إنتِ عارفة إن الفلوس مش هتكفي

ربتت حلا على كفه الممسكة بعضدها تهدئه بابتسامه:

. دي هديتنا لعروستك

وتركته وعادت لهن وقد انتهى البائع من كتابة الفاتورة لتقوم حلا بمنحه النقود التي كان محمود يحتفظ بها معها إضافة لما أضفنه كهدية.

عقب انتهائهم دعا محمود الجميع لتناول العشاء بأحد المطاعم في جلسه سادها الترحاب من جانب محمود وشقيقاته وصمت متوجس من جانب هند فيما هي مقبلة عليه، ابتسمت هنا توجه حديثها إلى هند في محاولة لكسر الصمت ولم تستطع إخفاء علامات الاستفهام التي تدور بخلدها:

. أمال فين والدتك يا هند؟

ضمت هند كفها أمام فمها تتنحنح في محاولة للسيطرة على ارتباكها وإيجاد إجابة بينما نسمة مدت كفها تمسك بركبة هند من أسفل الطاولة تطمئنها دون أن يلحظها أحد وتجيب نيابة عنها:

. والد هند تعبان وطنط ما قدرتش تسيبه

تنفست هند الصعداء عندما هزت هنا رأسها دون اقتناع، مدت كفها تعدل من وضع حجابها وتضيف:

. إن شاء الله هتحضر كتب الكتاب

وهو ما عزمت عليه مضطرة لحفظ ماء وجهها أمامهن، بضع من ساعة وأعلنت هند عن رغبتها في الانصراف ووافقتها نسمة لتغادرا مع وعد من حلا بمقابلة أخرى مع هند لشراء ثوب العرس الذي رغبت هند برفضه في البداية لكنها رضخت بالأخير لرغبة حلا، عقب انصرافهما التفتت نسمة بسعادة إلى صديقتها تسألها:

. إيه رأيك في اخواته؟

شردت هند أمامها تجاهد خوفها الذي يدعوها للفِرار متمسكة بخيطٍ واهٍ من الأمل داخلها وهمست بحيرة:

. تفتكري هيقبلوني بينهم

أومأت نسمة برأسها إيجابًا وهي تتخذ مقعد القيادة وصوتها يطمئن هند التي استقلت السيارة جوارها:

. أنا شيفاهم فرحانين

ألقت هند برأسها على ظهر المقعد تطالع الطريق من خلال النافذة وصورته وسط شقيقاته تداعب خيالها؛ تلك الأسرة التي إن بحثت عن وصف لها فسيكون الدفء هو العنوان وهي طالما حلمت بمثلها بحنان أخ ورعاية أب مثل ما رأته منه بين شقيقاته والآن يمنحها قدرها الفرصة

لتكون فردًا منها فهل سيحدث هذا أم ستظل طوال عمرها هي الدخيلة التي لا تمتلك أي حق بتقرير حياتها.

أخرجها من شرودها صوت نسمة وقد صفّت السيارة أسفل منزل عائلة ريم:

. بلغي الدكتورة اللي فوق بالميعاد علشان نشوف فساتينا إحنا كمان

هزت هند رأسها بابتسامة وهي تودع صديقتها التي انطلقت بسيارتها عائدة إلى بيتها، دلفت للمنزل وقد نال منها الارهاق مبلغه، استندت بظهرها إلى الباب تحل حجاب رأسها لتجذب

كف نور ملابسها فتخفض نظرها للصغير الذي سألها بتأنيب:

. جبتي الطيارة اللي بتطير؟

هزت نسمة رأسها نفيًا تربت على رأس الصغير معتذرة:

. حاضر هجيبهالك

وتركته متجهة حيث غرفتها لتقابل نادين بالردهة والصغيرة تعلن عن طلبها:

. عايزة فستان جديد لخطوبة رائد

أومأت نسمة برأسها إيجابًا وهمست بإرهاق:

. حاضر

قبل أن تدلف غرفتها أتاها صوت والدتها

يناديها فتوقفت لتتبع السيدة زينب:

. حماتك كلمت الولاد النهاردة وعايزة تشوفهم

شهقت نسمة فملأت صدرها بالهواء في محاولة

لاستدعاء بعض الهدوء قبل أن تنطق بقلة حيلة:

. حاضر

ثم دلفت غرفتها هروبًا تغلقها خلفها تلقي

برأسها إلى الباب المغلق مغمضة عينيها بتعب،

هذا الدور الذي لعبته مجبرة وأكملت طريقها به

اختيارًا يستنزف المتبقي منها رويدًا رويدًا ويحولها رغمًا عنها إلى أخرى لم ترغبها يومًا.

***

مرت الأيام واليوم الذي انتظرنه طويلًا حل بعدما أنهى شقيقهن عزوفه عن الزواج، وضعن اللمسات النهائية على منزل العائلة الذي بات عش الزوجية لشقيقهن ثم استعدين جميعًا بملابس السهرة وساعدن محمود في ارتداء حلته، التقطت حلا زجاجة العطر الرجالي ونثرتها على سترة محمود السوداء بينما هنا أزاحتها تُعدل من وضع رباط عنقه وتسأل بحيرة:

. هو كتب الكتاب في بيت مين يا أبيه؟

جاهد محمود حتى يخفي ارتباكه وهو يثبت نظره على رباط عنقه الذي أنهت هنا تعديله وأجاب بصوت حيادي:

. ناس قرايب هند وخطوبة بنتهم معانا

أزاحت غِنى شقيقتها لتلقي برأسها فوق صدر أخيها تدفن وجهها به وهو احتواها بحنان أب حين أعربت عن غيرتها التي تحاول التغلب عليها:

. هو أنا قلت مش هبقى عمتو الحربايه قوي يعني؟

ضحك الجميع منها وربت محمود على ظهرها يدرك ما تعانيه فطفلته الأولى لم تعرف أبًا غيره منذ كانت بالتاسعة، طالعت حلا هاتفها الذي يعلن عن اتصال زوجها لترفع صوتها تحث الجميع على التحرك:

. يالا كلهم مستنيين تحت

ببيت ريم ارتفعت أغاني العرس مع خيوط النور التي زينت البناية، باقات الزهور التي انتشرت بأرجاء البيت مع حضور صديقات ريم التي تولت تعريفهما بعائلتها:

. ولاء وهدير زمايلي في الجامعة

رحبت السيدة رقية بالفتاتين مع إطلاق أحد زغاريدها السعيدة التي لم تتوقف طوال اليوم وتركتهن ترافقن ريم حتى غرفتها، تولت ولاء مهمة تزيين هند لفت حجابها الأبيض وأحاطت جبينها بطوق من الزهور البيضاء ليحتضن رأسها برقة بينما هدير كانت مهمتها تزيين شعر ريم بدبابيس على شكل ماسات فضية رفعت خصلاتها من الجانب الأيمن بينما انسدل باقي الشعر على كتفها وجانب وجهها الأيسر، أنهت الفتاتان لمساتهما الساحرة ثم بدأتا في التقاط الصور لريم وهند ورفعها على مواقع التواصل

الاجتماعي مع عبارات الحب والمباركة، ارتفعت مرة أخرى زغاريد السيدة رقية لتنطلق ولاء تنظر من شِق الباب وتعلن:

. العرسان وصلوا

لاحظت دخول رائد برفقة والدته و نسمة وأبنائها، وضعت كفها على وجنتها وعيناها تهيم عشقًا هامسة:

. يا بختك يا ريم

أزاحتها ريم تضربها بكتفها وتقف مكانها تطالع هيئته الساحرة بحلته السوداء ورباط عنقه بلون النبيذ كما طلبت منه ليطابق لون ثوبها، قمحيته

المحبة وعظام وجنتيه التي تبرز عندما يكز على أسنانه في انفعال لاحظت تكراره مرارًا عندما يكبح غضبه، حاجبيه الكثان الذين يضيقا وينفرجا تبعًا لتأثره وخصلاته السوداء الحالكة التي تضفي عليه جاذبية رجولية باتت تداعب خيالها ولأول مرة تلحظ تقارب الشبه الكبير بينهما الذي تعدى الصفات المشتركة، بعدما مر لاحظت حضور محمود وسط شقيقاته وعائلاتهن لتعلن موجهة حديثها لهند:

. محمود واخواته وصلوا

زاحمت هدير ريم تتطلع من شق الباب، ضمت كفيها أمام صدرها وهمست بهيام:

. إيه الدقن دي

أخفضت هند نظرها أرضًا بابتسامة خجلة تعلم مدى جاذبية زوجها المستقبلي ثم رفعتها على صوت هدير الذي انطلق بذهول تسأل باهتمام:

. مين القمر اللي هل علينا ده

زاحمتها ولاء مرة أخرى تطالع فارس بطوله الفارع وحلته الرمادية التي علت قميصه الأبيض دون رباط عنق ونطقت بهيام:

. عريس يا بوي

ألقت ريم نظرة على من تتحدث عنه الفتاتان

ووضحت:

. ده فارس قريب رائد

ومدت كفها تغلق الباب بوجههما وتتخصر

تطالع ولاء بدعابة:

. للأسف محجوز

ادعت ولاء الامتعاض بينما هدير طالعت طلاء

أظافرها دون اهتمام معلنة اكتفائها بخاطبها:

. حسام برقبتهم

على ذكر الاسم انتفضت هند لتضرب ريم جبهتها توضع ما حدث من التباس:

. خطيب هدير اسمه حسام

هزت هند رأسها بابتسامة متفهمة لترتفع طرقات خافته على باب الغرفة لتفتح ريم تواجه والدتها:

. أخو هند برة ومامتها عايزة تشوفها

هزت ريم رأسها إيجابًا وأفسحت الطريق للسيدة فتحية حتى تمر لتواجه هند الجالسة، اقتربت السيدة من ابنتها ببطء وتوقفت أمامها تفرك كفيها ببعضهما وتهمس:

. سامحيني يا بنتي

تعترف داخلها بما عانته ابنتها دون ذنب ولا تدري ما السبيل أمامها لتخفيف معاناتها غير اعتذار لن يجدي، رفعت هند نظرها إلى والدتها التي تعلم ما تكبدته طوال عمرها من شقاء مع من يُدعى والدها ربما لم تجد الفرصة للهرب مثلما وجدتها هي والأكيد أنها إن لم يلفظها زوجها السابق خارج عالمه لظلت حبيسته للباقي من عمرها، همست تحاول التخفيف من إحساس والدتها بالذنب:

. ربنا يسامحنا كلنا

انحنت السيدة فتحية تمسك بكتفي ابنتها وتطبع قبلة أعلى رأسها معربة عن سعادتها:

. إنتِ زي القمر

عندها دلفت السيدة رقية وهي مستمرة بإطلاق الزغاريد معلنة بسعادة:

. يالا يا بنات المأذون وصل

نهضت هند تقف لتعدل من وضع حرملة ثوبها التي تحتضن أعلى جسدها تغطي الظهر والصدر وتحوي أكمام تخفي عري الثوب الذي يحتضن جسدها من الصدر وينسدل ملاصقًا له مزينًا بالدانتيل الأبيض حتى الخصر ليظهر من أسفله

قماش الشيفون الذي ينسدل من الخصر
يحتضن ردفيها ويضيق ليتسع أعلى الركبتين
بقليل في دوران طفيف بينما الحرملة تحيط
كتفيها بوردات من الدانتيل وتتسع من أسفلها
لتغطي ظهر الثوب بالكامل وتمتد قليلًا خلفه
تضفي عليه مزيدًا من الرقة، تقدمت هند بخجل
تخرج بين الحضور حتى جاورت محمود الذي
ابتسم لرؤيتها بتلك الهيئة الملائكية تبعتها ريم
التي ارتدت ثوب بلون النبيذ الذي حوى صدر
وظهر من الشيفون يعكس قمحية بشرتها أسفله
وتمتد ثلاثة شرائط مطرزة من الرقبة حتى الصدر

وبداية الأكمام لينسدل الثوب يحتضن جسدها في رقي وينشق بداية من ركبتيها ليسمح بالحركة مظهرًا ساقها الممتلئة قليلًا وحذاءها ذو الكعب المرتفع بلون الثوب، من الوسط كان ينسدل خلف الثوب ذيل بذات اللون يخفي ضيقه عند الأرداف ويطول قليلًا عنه مضفيًا مزيدًا من الرقي والوقار لصاحبته، تقدمت ريم لتجلس جوار رائد الذي اختطف الثوب وصاحبته نظره جلست لتُظهر فتحة ثوبها أسفل ساقيها بسخاء، ثبّت رائد عينيه على فتحة الثوب عاقدًا حاجبيه الكثين دون كلمة حيث بدأ

المأذون بطلب بطاقات الشهود وهو كان أحدهما بينما السيد رفعت هو الشاهد الآخر على عقد قران محمود وهند التي تولى شقيقها الولاية عنها، انتهى المأذون من عمله مع ارتفاع زغاريد السيدة رقية التي احتضنت هند بمباركة أم، عقب تلقي هند للمباركات من ريم ونسمة وباقي الحضور ارتفع صوت المأذون:

. العقد الثاني يا جماعة

وهنا جلس السيد رفعت يمين المأذون ورائد يساره وسط دهشة جميع الحضور، حدج رائد ريم بنظرة عابثة ووالدها يمنح المأذون بطاقته

وبطاقتها معًا بينما رائد يوجه حديثه إلى فارس ومحمود شهود عقده:

. ممكن تسألوا العروسة إذا كانت موافقة ولا لأ

توجه كلٌ من فارس ومحمود إلى ريم الذاهلة وهي فاغرة فاهها تُثبت نظرها على رائد المستمتع بمفاجأته، حانت منها نظرة تردد نحو والدها الذي أغمض عينيه يهز رأسه مطمئنًا فلو لم يكن يثق برائد ما وافقه على مفاجأة كتلك ولكنه يعلم رغبة ابنته به زوجًا ويعفيها عناء الخوف، جذب انتباهها صوت فارس يسأل:

. موافقة يا عروسة

وجهت نظرها إلى فارس ولا تزال على ذهولها ليكرر فارس سؤاله وهو يخفي ابتسامته فمن بين الحضور كان أحد العالمين بالسر مع والدها والمأذون فقط بينما ريم أخفضت نظرها خجلًا عندما لاحظت أنها أطالت النظر إلى فارس وهزت رأسها إيجابًا ليتبع محمود بالسؤال التالي:

. وكلتي مين؟

همست ريم من بين خجلها:

. بابا

ليعودا للمأذون الذي باشر عقد القران بينما نسمة جلست جوار ريم تحتضنها بمباركة والأخرى تسألها بلوم:

.كنتِ عارفة؟

هزت نسمة رأسها نفيًا تؤكد على مفاجأتها:

.كانت أحلى مفاجأة

ثم نهضت تخلي المقعد لشقيقها وتعود لمقعدها وهي تلاحظ نظرات والدتها غير الراضية عن مفاجأة شقيقها، اقتربت لمى بثوبها المبهج تجاور نسمة وتناديها:

. طنط نسمة

التفتت نسمة للشابة الصغيرة مبتسمة لتتبع

لمى:

. شكرًا

احتوت نسمة كتفيها بحنان أم وهي تمنح

الصغيرة ثقتها:

. أنا ما عملتش حاجة إنتِ اتصرفتي صح لما

قلتي لبابا

هزت لمى رأسها إيجابًا بينما نسمة تضيف:

. ولو حبيتي تتكلمي معايا أي وقت أنا موجودة

من بعيد كان فارس يلاحظهما ولا يستطيع غير رؤية أم وابنتها، تلك التي كان من المفترض أن تكون أم أبنائه تأتي اليوم لتمنح ابنته ما فشلت أمها البيولوجية في منحه لها وهي التفتت لتصطدم بعينيه المتأملة وقد أخجلها تطلعه بها الذي لم يتوانَ عن إظهاره للجميع وهي تعترف بفشلها في ردعه وقد بات يعتبر قربها حقًا أصيلًا له، نحّت نظرها عنه تواري خجلها وتلتفت إلى شقيقها الذي عاد جوار زوجته ووقف كلاهما يتلقيان المباركات بعقد قرانهما، جلسا لتعود فتحة الثوب التي أرّقته إلى إظهار

ساقيّ زوجته بسخاء، مال للجانب يهمس بأذن ريم:

. مفيش فتحات من دي تاني هتتلبس

رفعت ريم أحد حاجبيها بتحدٍ متلاعب وهمت بالنطق ليمنعها رائد بإشارة:

. إنتِ دلوقت المدام

لم تستطع ريم الصمت أكثر، حاولت خفض صوتها قدر الإمكان حتى لا يصل لغيره وأكملت تحديها:

. يعني إيه بقى يا أستاذ

مط رائد شفتيه بقلة صبر، مد كفه يلتقط كفها وينهض لتنهض معه بالتبعية وتسير خلفه عندما توجه إلى والدها يستأذنه باحترام:

. بعد إذن حضرتك عازم المدام على العشا

ابتسم السيد رفعت يرفع ذراعه ويمنحه إذنه:

. اتفضل يا سيدي محدش هيعرف يتكلم معاك بعد كدة

صافح رائد محمود وفارس وانطلق بخطوات سريعة متجاهلًا باقي الحضور وريم خلفه تحاول اللحاق بخطواته بينما حذاءها وضيق الثوب

يعيقان حركتها لتعلن عقب خروجهما من باب البيت ورائد لا زال متمسكًا بكفها:

. بالراحة مش عارفة أمشي

التفت رائد يمر بعينيه على ثوبها من أعلى لأسفل، كز على أسنانه فبرزت عظمتي وجنتيه ثم زفر بضيق:

. ماشي هعديها النهاردة

وأكمل طريقه وقد أبطأ خطواته قليلًا حتى فتح لها باب سيارته لتركب ويتخذ هو مقعد السائق ينطلق في شوارع القاهرة، بينما ريم تعلن اعتراضها:

. هو احنا هنبدأ تحكمات من أولها

حدجها رائد بنظرة جانبيه ثم أكمل النظر

للطريق بصمت وهي تكمل بتأنيب:

. ثم إزاي تاخد قرار زي كتب الكتاب من غير

موافقتي

رفع رائد أحد حاجبيه بتعجب يجيبها بعبث:

. ما إنتِ مضيتي وبصمتي كمان

رفعت ريم أنفها باعتراض واهٍ:

. حضرتك أحرجتني قدام الناس

عقدت ذراعيها أمام صدرها وأكملت:

.كنت عايزني أنزّل كلمة بابا الأرض وهو قاعد جنب المأذون ومديله بطاقته

أخفضت نظرها تكمل ثرثرتها الجوفاء فهي تعلم قبله أن كل هذا ما هو إلا بدافع مشاكسته التي تجيدها:

. أنا كان من حقي وقت أفكر

كان رائد يستمع إلى ثرثرتها المحببة بينما يلتزم الصمت، دخل بسيارته أحد الشوارع الجانبية الهادئة نسبيًا وأبطأ حركة السيارة قليلًا على الجانب يفاجئ ريم بابتلاع باقي كلماتها في قبلة أولى لكليهما وريم التي بُهتت لتصرفه المباغت

صمتت بين خجلها وقشعريرة محببة سرت بسائر جسدها عند تطابق الشفاه، الشعور الذي تختبره للمرة الأولى يدغدغ قلبها الغض وخجلها يدفعها للفرار، كفيها تدفع صدره بوهن وتهمس باسمه بين شفتيه، أبعد شفتيه قليلًا يهمس أمام شفتيها ولا زال محتجزًا جسدها بين جسده والمقعد:

. فكرتي؟

أغمضت عينيها وقد ارتفعت دماء الخجل لتُكسب وجنتيها حمرة محببة لا تعلم كيف تفر

من حصاره ولا تجد ما تستطيع التفوه به

فهمست:

. علشان كدة كتبت الكتاب؟

أخيرًا سمح لها بالتقاط أنفاسها عندما اعتدل

بظهره يمنحها غمزته العابثة بمرح:

. علشان أقنعك

وعاد ينطلق بالسيارة وقد أعلن ملكيته لها

وللحق هي لا تمانع.

***

ببيت ريم كان محمود يمسك بكف زوجته ويصافح الحضور قبل الانصراف، اقتربت هند من السيدة رقية التي كانت تحمل ضياء وترعاه طوال يومها كما اعتادت منذ مولده تحتضنها عرفانًا بجميلها، همت هند بحمل ضياء فاعترضت السيدة رقية:

. خليه بايت معايا النهاردة

أخفضت هند كفيها وقد أدركت ما تقصده السيدة رقية في تفهم بينما الصغير الذي اقترب عامه الأول من الاكتمال رفع ذراعيه نحو والدته رغبة في أحضانها وهند ترددت بينه وبين المنطق

بتركه ولو لليلة واحدة بينما محمود الذي كان يلاحظ ما يحدث مد ذراعيه يحمل الصغير ويعفي والدته من حرجها:

. ضياء هييجي معانا

اقتربت السيدة رقية تقبل الصغير وتعيد مباركتها لهند وقد اطمأنت أنها اختارت الرجل المناسب لها ولصغيرها معربة عن محبتها لمن اعتبرتها بمثابة ابنة لما يقارب العام:

. هتوحشيني إنتِ وضياء

ربتت هند على كف السيدة رقية تطمئنها:

. لا أنا ولا ضياء نستغنى عنك يا ماما هتلاقينا عندك كل يوم

اقتربت هند من السيد رفعت تصافحه، رفعت كفه إلى شفتيها تطبع قبلة عرفان بجميل رجل كان لها أبًا في أشد أوقاتها قسوة:

. اللي حضرتك عملته معايا مفيش حد بيعمله دلوقت

ربت السيد رفعت على كتفها مطمئنًا:

. البيت ده هيفضل مفتوح ليكِ طول العمر يا بنتي

ثم وجه نظره إلى محمود يوصيه بها خيرًا:

. خد بالك منها يا ابني إنتَ معاك جوهرة

صافح محمود السيد رفعت مودعًا:

. حضرتك ما تقلقش عليها

بعدها صافحت هند والدتها وشقيقها في سلام فاتر يعكس علاقتها المضطربة بهما وانصرفت مع زوجها.

دقائق وكان محمود يفتح باب منزله الذي طلبت هند أن تدخله لأول مرة عندما تكون زوجته شرعًا، قادها محمود حتى غرفة الأطفال التي تحوي فراشين، وضعت ضياء الذي غفا خلال الطريق بأحضانها على أحدهما وجاورته بعدة

وسائد تحمية من السقوط وتبعت محمود حتى غرفة نومهما، وقفت أمام المرآة تخلع طوق الورد عن جبينها وتحل حجابها لينسدل شعرها البني الطويل خلف ظهرها يخطف نظر محمود الذي تخلص من سترته واقترب يمسك بكتفيها من الخلف ويطبع قبلة على خصلاتها الآسرة يطالع عينيها بالمرآة:

. مبروك

همست هند بردها الخجل بينما محمود لاحظ زر الحرملة عند عنقها، أزاح خصلاتها بكفه للجانب وحله يساعدها في خلعها لتظل بثوب

عرسها العاري أسفله حتى منتصف ظهرها،

أدارها محمود بين يديه وقد غرقت بخجلها

والصدر العاري يبدي بياض بشرتها بسخاء

أرهقه لينحني يطبع قبلة صغيرة على وجنتها

أغمضت لها عينيها ولحيته تداعب بشرتها

الناعمة ثم يبتعد عنها وينطق بمجاهدة:

. غيري هدومك علشان نصلي

وفر من أمامها يمنحها الفرصة لالتقاط أنفاسها،

دقائق وكان يطرق باب الغرفة ويدلف عقب

إذنها الهامس ليجدها وقد ارتدت اسدال

الصلاة، صلى بها صلاتهما الأولى في خشوع ثم

التفت يمسك جبينها ويتلو دعاء الزواج وهي أغمضت عينيها تستمتع بدفء كفه فوق جبينها وصوته الداعي في خشوع ليأتيها صوت بكاء ضياء بالغرفة الأخرى ويزيد ليرتفع معلنًا عن حاجته لها، فركت كفيها بتوتر موضحة:

. من يوم ما اتولد بينام في حضني

رفعت نظراتها المعتذرة إلى محمود تكمل:

. ومن بعد العملية ارتباطه بيَ زاد

ربت محمود على كتفها يبتسم بتفهم:

. روحيله

نهضت هند تجيب نداء طفلها وقلبها يشكره بينما هو استلقى على فراشه وحيدًا يكمل صومه عن النساء فعلى ما يبدو لم يحن موعد إفطاره بعد.

الفصل الثامن والعشرون

الحب فعل ميزانه الثقة

مثقاله الأمان

يُرفع بالاحتواء

وغير قابل للجر

***

أسبوع قضته ببيته وهي زوجته شرعًا، سبعة أيام

كاملة عاشتها في كنفه وهو مكتفٍ منها بقبلة

أو احتضان عابر، سبعة ليالٍ كلما حاولت الفكاك من صغيرها تمسك بها أكثر والآخر لم يتذمر، حاولت تكييف طفلها على الوضع المستجد، لآخر ثلاثة ليالٍ كانت تنتظره حتى يغط في النوم ثم تُكمل ليلتها بالفراش الآخر حتى اطمأنت لاعتياد الصغير على غيابها لبعض الوقت، وفي الليلة الثامنة لزواجها تسللت بخفة بعدما غطَّ ضياء في النوم، دلفت غرفة نومهما وقد تشبعت باحتوائه لكل ما مرت به حتى الآن، أسر قلبها بلطف فقررت أن تخطو أولى خطواتها نحوه، دللت نفسها بحمام دافئ قبيل

موعد عودته واختارت من خزانتها غلالة من الستان الأبيض تحتضن جسدها حتى ركبتيها وترتفع لتشكل قلبًا من الدانتيل عند الصدر، نثرت ذرات العطر الذي اختاره بنفسه لها وارتدت المئزر المصاحب للغلالة في محاولة للتغلب على توترها، سمعت صوت مفتاحه يدور بمغلاق الباب ويدلف على أطراف أصابعه كما اعتاد في الأيام السابقة، كان قد تخلص من قميصه قبل الوصول لغرفته، تمهل قليلًا عند الباب عندما لاحظها جالسة على حافة الفراش تضم كفيها فوق ساقيها تفركهما بارتباك،

حضوره مُهلك يبعثر كيانها بنظرة و يعيد لملمته بهمسة، أغلق باب الغرفة في خلوتهما الأولى منذ عُقد القران واقترب بهدوء يتأملها ببسمة حنون طالما منحتها رسالة أمان، وهي رغم معايشتها للموقف سابقًا أخفضت نظراتها خجلًا في محاولة فاشلة للفكاك من حصاره، جاورها وضم جسدها إليه يحيط خصرها بذراعه وبأنامل كفه الأخرى يرفع ذقنها لتقابل احتواء نظراته و صوته يدغدغ مسامعها:

. لو مش مستعدة...

يهدهد خجلها و يمنحها حرية الفِرار وهي لم تسمح له بتكملة؛ أغمضت جفنيها وهزة رأسها الخجول تمنحه شارة البدء هي لن تُثقل عليه أكثر وتستغل تفهمه فتسلبه حقه وهو كمن كان ينتظر إشارتها لتنطلق شرارات عشقه تلهبهما معًا، لثم شفتيها في قبلة مبتدئ شغوف وعنها فأناملها امتدت تستكشف لحيته وترتفع معه فوق غيوم الحب، لمساته الغير خبيرة تمنحها نشوة خاصة لم تختبرها قبلًا رغم سنوات زواجها تقابلها لمساتها المرتبكة، يُعلمها أبجديات عشقه ويصك جسدها ببصماته مزيلًا آثار آخر؛

وعنها كانت روحها تنصهر بلهيبه وتتشكل من جديد مدركة لحقيقة ما تعايشه للمرة الأولى، يسقيها ولعه بها فتطيب نفسها البِكر وتفيض بالرضا، نهضت تعيد ارتداء مئزرها وهي غارقة بخجلها، توجهت نحو نافذة الغرفة المظلمة تتطلع إلى النجوم المتلألئة بالسماء وضوء القمر يتسلل خلال الزجاج ورغمًا عنها انعقدت المقارنة بعقلها بين ما اختبرته لثمانِ سنوات وما عاشته توًا، لاحظ محمود شرودها فاقترب يحتضنها من الخلف ينحني ليستند بذقنه إلى كتفها ويهمس جوار أذنها:

. سرحانة في إيه؟

وهي ابتسمت برضا لن تستطيع إفساد لحظته تلك وجرحه بكونها قارنته برجل آخر وإن كانت المقارنة حُسمت لصالحة بجدارة، دارت بين ذراعيه فأسندت رأسها إلى صدره وأحاطت خصره بذراعيها مغمضة عينيها براحة وقد أدركت للمرة الأولى أنها ولثمان سنوات كانت زوجة لرجل منقوص الذكورة وللتو بدأت حياتها كزوجة حقيقية.

***

لأسبوع صارت خطيبة برتبة زوجة، تستمتع بدلاله وتبذل قصارى جهدها في مشاكسته، يجيد حصارها وهي تتقن ادعاء الهرب، اعتادت مقاطعته لطريقها مثلما تراه الآن بعد خروجها من عملها مستندًا بنصف جلسة إلى مقدمة سيارته التي صفها خلف سيارتها، تقدمت منه بابتسامة تربع ذراعيها أمام صدرها:

. خير يا باشمهندس

وهو اعتدل في وقفته يدس كفيه بجيبي بنطاله:

. عازمك على الغدا

ضربت ريم كفًا بكف وهي تسأله:

. وما قلتش ليه كنت جيت من غير العربية؟

وهو ألقى بنظرة إلى سيارتها وعاد إليها يجيب ببساطة:

. ما كنتش مقرر

ثم استطرد وهو يدور حول سيارته استعدادًا للركوب:

. أمري لله همشي وراكِ لحد البيت تركنيها وتيجي معايا

وكعادتها اعترضت وهي تهم بركوب سيارتها:

. ما تقول رايحين فين بدل اللفة دي

وهو هز رأسه نفيًا يمنحها غمزة بطرف العين

وابتسامة متلاعبة:

. مفاجأة

ولم يمنحها الفرصة لمزيد من الاعتراض، استقل سيارته وأشار لها بالانطلاق ليسير خلفها تارة ويجاورها بسيارته تارة أخرى وصوت فيروز يصدح من مشغل اسطوانات سيارته

سلملي عليه

وقله إني بسلم عليه

بوسلي عينيه

وقله إني ببوس عينيه

ويصلها بوضوح لترتسم ابتسامتها السعيدة على وجهها، توقفت بإحدى إشارات المرور ليجاورها بسيارته ويرفع من صوت الأغنية

إنت ياللي بتفهم عليه

سلملي عليه سلم

يثبت عينيه عليها بنظراته العاشقة التي أربكتها تحاول تجاهلها وتثبيت نظرها للأمام ثم تعود لتختطف منه نظرة والصوت الشجي يدغدغ قلبها بلطف

قِله عيونه مش فجأة بينتسو

وضحكات عيونه ثابتين ما بينقصو

تصطدم بعينيه التي تحيطها بعشق فتُخفض نظراتها سريعًا ملتفتة للجهة الأخرى حتى لاحظ رجل المرور ما يدور فنهض يشير إلى رائد ببداية غضب ليرفع رائد يده مظهرًا حلقته الفضية بوضوح ويعود الرجل بنظراته إلى ريم التي رفعت هي الأخرى كفها مظهرة حلقتها الذهبية وعادت إلى رائد بنظرة لوم أنقذه منها تحول الإشارة إلى الأخضر وانطلاقها بسيارتها وهو انطلق خلفها ولايزال الصوت يصلها

مدري شو بو وبعرف شو بو

مطبوعة بذاكرته ما تبحثو عم تبحثو

سلملي عليه وقله إني بسلم عليه

بوسلي عينيه وقله إني ببوس عينيه

وصلا حيث منزلها فصفت سيارتها ثم جاورته

بابتسامة والأغنية التي ما تلبث تنتهي حتي يعيد

تشغيلها تكمل رسالته لها

هيدا حبيبي اللي اسمي بيهمسو

تعبان على سكوتو ودارسو

واضح شو بو ما تقول شو بو

عامل حالك مش عارف ما تحرأسو بتحرأسو

سلملي عليه سلم وقله إني بسلم عليه

ويردد بصوته معها مختلسًا النظرات لمجاورته المستمتعة بالصحبة

بوسّلي عينيه هو ومفتحهن عينيه

وبوسو بخدو طوللي عليه فهمت عليّ إيه وسلم سلملي عليه

اختطف قبلة من وجنتها وهي توردت خجلا ولاحظت الطريق غير المألوف الذي اتخذه لتسأل:

. إحنا رايحين فين؟

منحها إحدى نظراته المتلاعبة متجاهلًا الإجابة، امتدت كفه إلى الجيب الخلفي لمقعدها ومنحها مسطرة ألوان موضحًا:

. اختاري درجات الدهان لحد ما نوصل التقطتها تشرد بخيالها لتقرر اللون المناسب لكل غرفة بينما رائد يحتضن يسراها بيمناه حتى شعرت بتوقف السيارة فرفعت رأسها تستكشف الحي الشعبي ورائد صف سيارته في الزحام بمعجزة، نزل من السيارة وريم تبعته لترفع نظرها تطالع وجهتهما التي اتضحت لها وارتفع صوتها الضاحك من اختياره:

. البرنس!

التقط كفها ودلفا إلى المطعم الشهير، اختار رائد طاولة جانبية لتتجول ريم بنظرها في المكان وتعود إليه بسؤال:

. وهناكل إيه بقى؟

ابتسم رائد بخبث وأجاب دون أن يرضي فضولها:

. هتعرفي، أنا عامل الأوردر من بدري

دقائق وكان النادل يقدم طواجن الطعام وأبخرة اللهب تتصاعد منها ورائد يصف طلبه بحماس:

. طاجن عكاوي، طاجن كوارع، ورقة لحمة وملوخية

ازدردت ريم لعابها تحاول التماسك أمام تلك الأصناف، هزت رأسها بتفهم وامتدت يدها إلى صينية اللحم تقربها إليها بهدوء وتوضح:

. أنا هاخد اللحمة وإنت براحتك بقى

امتدت كف رائد تسحب الصينية ناحيته ونهض يلتف حول الطاولة ليجاورها، دس ملعقة بطاجن العكاوي ووضع بعضه بصحنها لتنظر إليها ريم شذرًا وهو يشجعها:

. جربي

التقطت الشوكة تحاول استخلاص قطعة اللحم من بين العظام وتذوقتها بشك، فاجأها المذاق المحبب فهزت رأسها إيجابًا لرائد الذي أخذ قطعة مماثلة بصحنه ثم التقطها بأصابعه يلتهمها باستمتاع ويتبع:

. بإيدك بقى ما تضحكيش الناس علينا

ابتسمت وشاركته متعته بمتعة مماثلة تستمتع بوجبتها الجديدة عليها، دس الملعقة بالطاجن الآخر واستخلص قطعة داخلية من الكوارع يقدمها إليها وهي تنظر لها مطبقة شفتيها بقوة وتعلن اعتراضها:

. لأ دي لأ

ورائد لا يعترف برفض:

. المدام لازم تشاركني اهتماماتي

أحاط عنقها بذراعه يثبت رأسها بقوة وبكف

يده الأخرى يقرب القطعة من فمها وريم

مستمرة على هز رأسها رفضًا:

. دي بتلعب

انتهز رائد فرصة حديثها ليدس القطعة بين

شفتيها تلوكها بتوتر حتى ابتلعتها:

. طيب معقولة بس خليني أنا في العكاوي

حرر رائد رأسها وعاد لصحنه يستمتع بوجبته:

. إنتِ الخسرانة

أنهيا وجبتهما واتخذا طريق العودة إلى منزل ريم

وتلك المرة كان مشغل الاسطوانات يصدح

بأحد أغاني المهرجانات، ضربت ريم كفًا بكف

وهي تضحك وتشاكسه:

. فيروز وبعدين مهرجانات طب إزاي

منحها رائد نظرة جانبية وعينيه تبتسم

لضحكها، عاد بنظره إلى الطريق وهو يوضح

من بين ضحكاته:

. ما هو بصراحة الأكلة دي دماغ مهرجانات

ضحكت ريم باستمتاع فوقتها معه يمضي بيسر بينما هو يتسلل إلى خلاياها بخفة، وصلا أسفل منزلها وقد حل الليل، قبيل نزولها من السيارة التفت رائد يؤكد عليها:

. أكدي على طنط معاد بكرة

هزت ريم رأسها إيجابًا وهي تودعه على وعد بلقاء لم تعد تطيق انتظاره.

***

صباح جديد أشرقت به شمس حياتها وقد تذوقت للدنيا مذاقًا جديدًا مزاجه الأمان الذي اختبرته منذ دلفت بيته زوجة له، قضت نصف

نهارها برفقة طفلها، عاد هو لعمله بينما هي فضلت القيام بدور العروس لوقت أطول، ومع انتصاف النهار عاد لبيته ينعم بدفء الأسرة الذي افتقده منذ زواج غنى، أنهى وجبته الساخنة برفقة زوجته وطفل سكن قلبه وإن لم يكن من صلبه، بعدها كان جرس الباب يدق ليفتح محمود ويطالع غنى التي امتنعت عن استخدام المفتاح الذي تمتلكه حفاظًا على خصوصيتهما وهو جذبها للداخل يقبل رأسها فمنذ عُقد قرانه اكتفت شقيقاته بمهاتفته مانحين له خلوة مستحقة مع عروسه لكنه يعلم أن غنى

خاصة هي من ستبدأ بكسر ذاك الاتفاق الغير معلن بينهن وهو ما أعلنته شقيقته عندما تعلقت بعنقه شوقًا:

. وحشتني يا حوده

ومحمود احتوى كتفيها وهو يغلق الباب ويسير بها نحو صالة البيت حيث صافحت هند معتذرة عن الحضور:

. آسفة إني جيت فجأة

وهند ابتسمت بود ترحب بها:

. البيت بيتك

وتركتهما لتدلف إلى المطبخ تعد واجب الضيافة

بينما غنى وضعت حقيبة حاسوبها النقال على

المنضدة، قبلت رأس الصغير الجالس أرضًا

والذي ابتسم لها ببراءة وجاورت محمود تروي

شوقها لجلسته، دقائق تجاذبت فيها أطراف

الحديث مع شقيقها تخبره بكل ما حدث خلال

أيامها الماضية كما اعتادت، التفتت لتُفاجأ

بضياء الذي زحف بمقعدته جلوسًا حتى الطاولة

يجذب حزام حقيبة الحاسوب المتدلي حتى كاد

يسقط فوقه فانتفضت بذعر نحوه تمسك بالحزام

لتجذبه من يد الصغير وصوتها ارتفع دون إرادة:

. لأ..لأ

والصغير بكى فزعًا لنهرها بينما هند تخرج من المطبخ لتصطدم ببكاء صغيرها، أسرعت خطواتها فوضعت الصينية التي كانت تحملها على المنضدة وانحنت تحمل ضياء تضمه وتقبل رأسه وتهمس باعتذار مقتضب:

. آسفين

ثم أسرعت حيث غرفتها تاركة غنى التي ذُهلت لرد فعلها تلاقي نظرات محمود وتبرر:

. والله يا أبيه ما أقصد أنا خفت يقع عليه

نهض محمود يتوجه إلى شقيقته التي يثق بسلامة نيتها ويعلم عفوية فعلها، قبّل رأسها ومنحها ثقته وتبريره:

. عارف بس هي بتخاف عليه زيادة علشان ظروفه

هزت غنى رأسها إيجابًا وحملت حقيبتها تستأذن بالانصراف ومحمود شعر بحزنها فحاول التمسك ببقائها:

. لسة ما شبعتش منك

وهي رفعت جسدها على أطراف أصابعها تطبع قبلة على وجنته وتجيب:

. مستعجلة علشان العيادة

أومأ موافقًا وودعها لدى الباب وعاد يبحث عن الأخرى وجد ضياء قد استسلم للقيلولة بغرفته وهي تزرع غرفتهما بتوتر، دلف مغلقًا بابها وعلامات غضبه بدأت بالزحف إلى قسمات وجهه اقترب خطوتين منها وهي توقفت تواجهه عندما سأل بصوت حازم:

. ممكن أفهم إيه اللي حصل؟

فركت كفيها ببعضهما بتوتر وأجابت مدافعة عن نفسها:

. ما أنا اعتذرت

اقترب محمود أكثر وقد بدأ صوته في الارتفاع قليلًا:

. عن إيه؟ ممكن أعرف إيه اللي خلاكي تاخدي الولد وتدخلي كدة واختي تمشي زعلانه؟

أشاحت بوجهها للجانب الآخر تجيب بارتباك:

. خدته ودخلت علشان منزعجهاش

انطلقت زعقته المستنكرة بوجهها:

. ومين قالك إنها منزعجة؟

اقترب أكثر يلوح بذراعه في الهواء وقد بُهت لتفسيرها الملتوي لرد فعل شقيقته، يضع معها

النقاط فوق الحروف فقِصر فترة تعارفها بشقيقاته ربما هي السبب:

. من يوم ما قررت أتجوزك اعتبرتك إنتِ وضياء جزء من عيلتي

صوته المرتفع بانفعال صم أذنيها عن كلماته وهو يكمل:

. لكن لو هتفضلي معتبرة إنكم كيان منفصل مش هقدر أجبر أخواتي يتعاملوا معاكِ على الاعتبار ده

وهي لم تكن تعي شيئًا سوى اقترابه المنفعل وكفه التي يلوح بها وتنتظرها لتهوي على وجهها،

انكمشت بخوف تغمض عينيها وترفع ذراعيها أمام وجهها في حركة دفاعية صُدم محمود لرؤيتها، صمت واقترب يرفع كفه يلمس كتفها برفق فانتفضت مبتعدة للمسته ليتأكد توقعه، تجمدت كفه في الهواء قليلًا ثم سحبها يضم قبضته جوار جسده بانفعال، لاحظت صمته ففرجت جفنيها بشك لتقابلها نظراته المتألمة قبل أن يقطر صوته حزنًا يصفعها بالحقيقة:

. لما تعرفي إنتِ مرات مين دلوقت نبقى نكمل كلامنا

والتفت يغادر، فتح الباب وتوقف يوليها ظهره:

. هستناكم تحت علشان أوصلكم الجلسة

وعنها فقد سقطت جالسة فوق الفراش وقد أدركت أنها لازالت أسيرة أشباح ماضيها التي تحرمها رؤية ما باتت تمتلكه، طالعت ساعة هاتفها فوجدت إن جلسة معالجة ضياء الفيزيائية لم يتبقَ عليها الكثير، بدلت ملابسها وانتقلت تُعد الصغير وترجلت لتجده بانتظارها بأحد سيارات الأجرة جوار سائقها فاستقلتها هي وطفلها دون كلمة، وصلا للمركز فدلفت مع الصغير ومحمود انصرف وبعد ساعتين كان بانتظارهما مرة أخرى ليعودوا إلى المنزل في

صمت، دلف محمود غرفة النوم، بينما هند دلفت غرفة الأطفال حتى غطّ ضياء في النوم وتسللت بخفة تعود لزوجها، اندست جواره في الفراش واحتضنته من الخلف تستند برأسها إلى رأسه وتهمس معتذرة:

. آسفة

شعرت بتصلب جسده وعينيه المثبتتان أمامه فلفت وجهها تطبع قبلة على منابت لحيته وتعيد اعتذارها:

. ما تزعلش مني

التف ينام على ظهره ويحيطها بذراعه لتستقر رأسها فوق صدره يؤكد لها حقيقة:

. أنا عمري ما مديت إيدي على واحدة ست

دفنت وجهها بصدره تؤكد لنفسها حقيقة واقعها الجديد، تتمسك بما تمتلكه بالفعل وتحاول التخلص من ماضيها الذي يُفسد عليها حاضرها ومحمود طبع قبلة حنون على منابت شعرها وقد أدرك أنها كانت ضحية لحياة سابقة لن تستطيع تجاوزها بسهولة، ملأ صدره بالهواء يعيد عليها أمنيته:

. أنا كان عندي تلاتة هم أغلى حاجة عندي

دلوقت بقوا أربعة

رفعت هند رأسها قليلًا تطالعه على ضوء القمر

الخافت وهو أكمل:

. عايزك تعتبريبهم عيلتك

أومأت هند برأسها إيجابًا تطمئنه:

. بكرة هكلم غنى وأصالحها

ابتسم براحة يوضح لها:

. غنى بالذات بنتي؛ أنا اللي كنت بوصلها المدرسة وأرجعها ولو حد زعلها تيجي جري تشتكيلي

شرد وابتسم بسمة حنين لذكرياته مع الصغيرة التي تربت في كنفه:

. في حفلة تخرجها لما نزلت من المسرح جري عليَ حسيت بحاجة عمري ما حسيتها مع أخواتها

عاد بنظره إلى هند يكمل بوحه:

. يوم فرحها كنت عايز أخطفها وما اسيبوش ياخدها بس سكت علشان عارف إنها بتحبه

ابتسمت هند لحنانة وعادت برأسها فوق صدره تضم جسدها إليه، أي رجل هذا الذي منحها قدرها إياه ويجب عليها الحفاظ عليه.

***

باليوم التالي كانا على موعد جديد هي والسيدة رقية ورائد ووالدته في جولة بمحافظة دمياط لاختيار أثاث منزلهما، تنقلا بين المحال حتى اتفق العروسان على اختيار غرفة النوم بينما لم ترق لهما أي من غرف المعيشة، دلف أربعتهم إلى محل جديد وقد انتصف النهار لتجلس السيدة

رقية على أقرب مقعد وقد أرهقتها الرحلة تنادي السيدة زينب للجلوس جوارها:

. تعالي نرتاح احنا شوية

والأخرى نال منها التعب فجاورتها بصمت بينما السيدة رقية توجه كلماتها إلى رائد وريم مضيفة:

. اتفرجوا انتو ولما حاجة تعجبكم نادولنا

هزت ريم رأسها إيجابًا والتفتت إلى رائد:

. تعالى نشوف أوض الأطفال

مطت السيدة زينب شفتيها ووجهت كلماتها إليها:

. ولزومها إيه بس

والنظرة واضحة والمعنى وصل بدقة وسهمها أصاب هدفه في مقتل لتلتفت إليها السيدة رقية مستفسرة بنبرة حادة:

. قصدك إيه؟

والأخرى تراجعت بارتباك تستدرك ما صدر عنها بتوضيح لم يرُق للجميع:

. أقصد يعني لما ربنا يكرم يجيبوا اللي نفسهم فيه

ورائد حسم الموقف أحاط كتفي ريم بذراعه يدفعها للسير معه وهو ينهي حديث والدته:

. لأ هنجيبها دلوقت

قادها بين غرف العرض وهي صامتة بينما كلمة والدته تتردد بعقلها مئات المرات وشيطانها يزيد عليها، ورائد وصله صمتها وجرحها جيدًا يحتضن كفها وهو يناقشها في الغرف المعروضة وهي مكتفية بهزة رأس رافضة، رافقا البائع وهما يشاهدان إحدى الغرف كان ظهر أحد الفراشين على شكل شخصية "سبونج بوب" بينما ظهر الفراش الآخر على شكل "بسيط" بألوانهما

الطفولية المحببة والخزانة بلون سفينة وكل باب منها يحوي رسمة نافذة يظهر منها الموج، توقف رائد أمام الغرفة يحيط خصرها بذراعه يضمها إليه ويعلن:

. بس هي دي إيه رأيك؟

ابتعدت ريم عن احتضانه خطوة بخجل وهو اقترب تلك الخطوة يحيط كتفيها تلك المرة ويستفهم بنظرة عن رأيها لتهمس:

. حلوة

ابتسم رائد يشاركها خياله ولا يزال محتويًا لكتفيها بذراع ويلوح بالأخرى:

. وهرسم لهم موج على الحيطة علشان يعيشوا في قاع الهامور

ابتسمت ريم وشردت بخيالها تتخيل شكل الغرفة بمنزلهما بينما غصة لازالت عالقة بحلقها.

أوشكت الشمس على المغيب وقد نال التعب من الجميع فقرروا العودة للقاهرة، ساعات من السفر وكان رائد يودع والدته أسفل منزل نسمة والسيدة زينب تسأل:

. هتوصلهم وترجع

وهو أشار برأسه نفيًا وأكد:

. تعبان من السواقة هروّح

دقائق وكانوا أسفل منزل عائلة ريم، والسيدة رقية تدعو رائد للصعود:

. تعالى يا حبيبي كُل لقمة علشان تروّح تنام على طول

ورائد كان يتحين الفرصة للصعود رغبة في الاختلاء بتلك الصامتة، دلفو للمنزل وبعد السلام على السيد رفعت كان يجاورها بصالون بيتها، يتأمل صمتها وشرودها وهي كانت قد استسلمت لشيطان أفكارها الذي غرس مخالبه بقلبها طوال طريق عودتهم، يزلزل ثوابتها ويرسم

أمامها مستقبلًا مظلمًا محفوف بالمخاطر، قطع رائد الصمت بسؤاله:

. ساكتة ليه؟

نهضت تتجه إلى نافذة الغرفة وقرارها يتردد بعقلها دون توقف حتى همست باختناق:

. طلقني يا رائد

وهو قطع المسافة الفاصلة بينهما في خطوتين يجذب عضدها بعنف يديرها إليه لتواجهه ويستنكر بانفعال:

. إنتِ اتجننتي؟

أخفضت نظرها بحزن تريد إعفاءه مما صوره لها خيالها تهز رأسها نفيا وصوتها يئن:

. إيه يجبرك تتجوز واحدة...

قطع جملتها بشفتيه يلتهم حروفها يخرس حماقاتها التي يعلم أنها ستتفوه بها، أغمضت عينيها تستمتع بمذاق شفتيه الذي يروي أنوثتها العطشة وهو غاب معها حتى ذاق ملوحة دموعها، فرّج جفنيه وابتعد ليواجه عينيها الدامعتين ويهمس أمام شفتيها بلومه:

. ما كنتش أعرف إنك ضعيفة كدة

وهي نطقت من بين دموعها:

. ضعيفه!

ضم رائد جسدها إليه أكثر بذراع وبالأخرى يمسح بإبهامه خط دموعها عن وجنتها:

.كنت متخيل إنك هتدافعي عن حقك فيَ مش تتنازلي عني

وريم شعرت بخذلانها له هي لم ترغب بالتخلي عنه وإنما منحه فرصة أفضل من تمزق تراه بينها وبين والدته وعنه فقد قرأ أفكارها ويعلم ما الذي أجج نيران قلبها:

. احنا منقدرش نغير أفكار متوارثة لكن نقدر أننا ما نسمحش للأفكار دي تتحكم في حياتنا

تلجلجت الكلمات على لسانها وهمست بارتباك:

. أنا...

أكمل رائد جملتها وهو ينحني ليطبع قبلة مطولة على وجنتها:

. إنتِ مجنونة بس أنا بحبك

والكلمة انطلقت من بين شفتيه تستقر بقلبها الغض فتزهر ربيعًا طال انتظاره، ملأت صدرها بالهواء تستمتع باستسلامها بين يديه وهو يضم رأسها إلى صدره تغمض عينيها لتنهل من الأمان

الذي تمنحها لها نبضاته، انتفضت بذعر خجِل

تبتعد عنه عندما سمعت صوت أمها:

. يا ابني اصبر لما تبقى في بيتك

وهو تراجع خطوة بارتباك سرعان ما تداركه

وانحنى يلتقط هاتفه وسلسلة مفاتيحه عن

الطاولة ويعلن انصرافه والسيدة رقية تدعوه

للطعام الذي تحمله عندما مر جوارها يختطف

قبلة من وجنتها هي الأخرى معتذرًا:

. تسلم إيدك يا جميل

وضعت السيدة رقية صينية الطعام وهي تحاول السيطرة على ضحكها، تضم أصابعها أمام ذقنها مندهشة:

. الواد بياكل بعقلي حلاوة علشان قفشته

كان رائد قد وصل عند الباب عندما التفت يمنح ريم المتوردة خجلًا غمزة عابثة قبيل انصرافه.

***

عام ونصف منذ غادرها، ثمانية عشر شهرًا مرت عليها بدلتها لأخرى لا تعرفها، الحياة التي سحقت روحها بين رحاها ولا تزال تُكبل عنقها

بأغلال المسئولية التي لن يتحملها غيرها شاءت أم أبت رغم كاهلها الذي ناء بحمله إلا أنها لا زالت صامدة تشد قدميها بالأرض لتصل بطفليها حتى نهاية الطريق الذي تراه، تعلم صعوبة خيارها وتأمل الاستمرار به مكتفية بانهيارها وحيدة تارة وتغلبها على وحدتها كثيرًا بمضادات الاكتئاب التي باتت رفيقة دربها لتبدأ يومها من جديد كجبل راسخ لا ينحني أمام رياح الدنيا، واليوم كانت على موعد مع أحد واجباتها التي لن يؤديها غيرها، اصطحبت طفليها إلى بيت السيدة درية، فتحت باب

البيت بمفتاحها بطلب من جدة طفليها الملازمة لفراشها معظم الوقت، رفعت صوتها تنادي السيدة عقب دلوفها ليأتيها الصوت الحنون من غرفة النوم ينادي الطفلين اللذين انطلقا إلى أحضان جدتهما، غمرتهما بقبلاتها تُقبل رأس نادين تارة وتارة أخرى تتشمم عبق الصغير الذي يتحول إلى نسخة مطابقة عن والده بمرور الزمن:

. ريحته فيك يا حبيبي

ونور ينهل من حنانها كعادته ونسمة تقدمت تُقبل رأس السيدة درية وتجلس على المقعد المجاور تعتذر عن تقصير غير مقصود:

. آسفة إني انشغلت عنك شوية بالشغل والولاد

والسيدة الحنون ابتسمت بتفهم:

. ربنا يعينك

والتفتت إلى نادين تربت على كفها وتحدثها:

. قومي يا حبيبتي خدي أخوكي وفي فاكهة في التلاجة طلعوا وكلوا

ونسمة حاولت الاعتذار لكن نظرة السيدة درية أخبرتها أنها تريدها بعيدًا عن سمع الأطفال، عقب خروجهما التفتت السيدة درية لنسمة وبصوت حنون:

. أنا ليَ عندك طلب يا بنتي

استطاعت الحصول على اهتمام نسمة وهي تكمل:

. بيت نادر وشركته يفضلوا لولاده بس

ضيقت نسمة حاجبيها بعدم فهم لتوضح السيدة درية ببعض خجل:

. قصدي يعني لو في يوم فكرتي في الجواز

ابتسمت نسمة بتفهم وامتدت كفها تربت على كف السيدة درية مطمئنة:

. ما بفكرش في الجواز

ربتت السيدة درية على كف نسمة بكفها الأخرى تؤكد:

. متعرفيش بكرة في إيه بس طلب كان نفسي فيه

منحتها نسمة كلمتها فحتى هي لن تستطيع السماح لآخر بوضع قدم بمكان بذل نادر عمره من أجله.

***

ثلاثة أشهر مرت وهي تصارع أشباح ماضيها فتنتصر عليها تارة وتهزمها تارة أخرى، تقاوم هواجسها التي تطاردها كل يوم وتسلبها متعة واقعها الجديد، ملت توقع الأسوأ الذي لم يأتّ حتى الآن وحاولت مرارًا التمسك بصوت داخلها يخبرها أن ذلك الأسوأ موجود فقط بأفكارها، حتى ذلك التوقع الذي تجاهلته طويلًا شكًا وخوفًا من المجهول لكن بعد غياب عادتها الذي طال لم تستطع سوى قطع شكها باليقين، أجرت الاختبار وانتظرت دقائق حتى أعلن عن جنين يسكن رحمها، قبضت على المستطيل

الأبيض بكفها واختلاط مشاعرها يربكها، هي التي ظلت لسنوات تحلم بطفل حتى منّ الله عليها بضيائها ثم...، ثم لأجله لم ترغب بسواه، جلست على حافة المغسلة وقد أُسقط في يدها فها هو أحد أشباحها يعود ليطارد واقعها، رغمًا عنها سالت دموع خوفها، ألقت بالاختبار بسلة المهملات وخرجت لتجد محمود بوجهها وقد استرعت دموعها انتباهه ليستفسر عن سببها وهي همست بتيه:

. أنا حامل

انشرح صدره وأقبل يضمها إليه بسعادة ويردد مباركته لتُخرجها سعادته من تيهها ترفع نظرها إليه وقد زادت دموعها بعد سيطرة أسوأ هواجسها عليها، تخشى على طفلها من تبدل معاملته ولا تستطيع رفض آخر هو قطعة منها فتردد سؤالها:

. وضياء؟

فهم محمود هاجسها فابتسم مطمئنًا يدلك عضديها وصوته السعيد يجيب:

. بدل ما في اتنين بياخدوا بالهم منه هيبقوا تلاته

أومأت إيجابًا رغم خوفها الذي همست به:

. خايفة

للمرة الثانية تعلن خوفها وهو يطمئنها وتلك المرة ضم رأسها إلى صدره بكفه وذراعه الأخرى تحيط خصرها يمنحها أمانه الذي لم يبخل به:

. ما تخافيش

وهي أغمضت عينيها تستسلم لهدهدته تتمسك بظنها به الذي لم يخِب حتى الآن وتعلم أن الزمن فقط كفيل بطرد المتبقي من أشباح ماضيها.

خاتمة

شمالًا أو جنوبًا كلُ يروي غرسه

تنبُت بذرة اليوم وكلٌ يحصد حرثه

***

بالشمال عبر البحر المتوسط وبأحد نهارات

صيف جينيف الدافئ كانت حديقة السفارة

المصرية مزينة بالزهور البيضاء في كل جانب

وعلى الطاولات المنتشرة تجاور كؤوس المشروبات وقطع الشيكولا السويسرية الفاخرة، بصدر الحديقة كانت العروس وسط أصدقاءها بثوب عرسها اللافت على شكل حلة قفز من الشيفون بطانته على شكل ثوب سباحة من قطعتين ويعلوه فروع أشجار من الدانتيل الأبيض تتناثر عليها بعض زهرات صغيرة باللون الوردي تغطي الثوب من أعلى منتهية عند الصدر لتكشف كامل الكتفين دون كم أيسر بينما تمتد الفروع تغطي الكم الأيمن للثوب وتسير على الحلة بطول الساق اليسرى لتنتهي

أعلى الحذاء الفضي المرتفع بينما تترك الساق اليمنى مكتفية ببعض فروع أسفل الركبة ومظهرة بشرة صاحبته بسخاء، من الوسط كان يلتصق بالثوب تنورة من الدانتيل على جانب واحد من الأمام تنتهي أعلى الفخذ الأيمن بينما تمتد من الخلف بطول الحلة، تركت العروس صديقاتها وتوجهت حيث ماهر الذي كان يتوسط والدها وبعض رجال السفارة تجذب ساعده:

. ماريو تعالى أعرفك على أصحابي

استأذن ماهر من مرافقيه بإيماءة رأس وابتسامة وأحاط خصر سيليا بذراعه والكف الأخرى

يمسك بكأس مشروبه الكحولي يسير معها حيث تجمع أصدقاءها من الجنسين، تولت سيليا مهمة التعريف بدأت بالفتيات

. آنّا، ريا، مادلين

تقدمت كل فتاة تمنح مباركتها لماهر وتبادله القبلات المهنئة بالعرس ثم انتقلت سيليا للشباب مكملة:

. جاكوب، ماركوس، ستيف

حرر ماهر خصر سيليا وصافح الشباب ثم عاد ذراعه يُلصقها بجسده ويطبع قبلة على وجنتها، بعدها كان منظم الحفل يدعوا العروسين لتقطيع

قالب الحلوى الكبير الذي توسط الحديقة،

أمسكت سيليًا بالسكين الكبير بينما ماهر

يمسك بكفها ليمررانه في قالب الحلوى إيذانًا

ببدء توزيعها على المدعوين، بعدها التفت ماهر

يلتهم شفتي سيليا في قبلة مطولة أحاطت فيها

عنقه بكفيها وارتفع لها تصفيق الحضور

وصافراتهم وتلك كانت بداية لقصة أخرى.

***

لأشهر اكتفى بمراقبتها عن بعد، يتتبع أخبارها، نجاحاتها وثباتها بالسوق تلك التي زلزلت مفاهيمه بتناقضاتها، بعثرت كيانه وتركته بقسوة لا يلومها عليها لذا اكتفى برؤيتها بعد أن حُرم قربها وطُرد من جنته التي تخيلها بين يديها، حفظ أماكن ترددها عن ظهر قلب ومواعيد تدريبات طفليها التي بات مداومًا عليها أكثر منها لا يُفلت موعدًا لمراقبتها بين الخضرة لساعتين أو أكثر دون أن يسمح لها بملاحظة وجوده كما هو حاله الآن، يقف متوارٍ خلف أحد الأشجار مما يسمح له بمتابعتها على

طاولتها القريبة، شعر بكف صغيرة تحط على ساقه فأخفض نظره ليواجه الوجه الملائكي البريء، جلس على ركبة ونصف ليكون بمستوى أقرب للوجه الدائري الممتلئ، ابتسم الصغير ببراءة فاحمرت وجنتيه البيضاء بصفاء طفولي ليبادله حسام البسمة بعفوية، سمع صوت نسائي ينادي الطفل ويقترب:

. ضياء...

رفع حسام رأسه ليطالع هند وقد انتفخ بروز بطنها تتقدم ببطء من الصغير ليسألها:

. ضياء؟

أومأت برأسها إيجابًا تزدرد لعابها للمفاجأة، امتدت يدها تُمسك بكف الصغير ويد حسام امتدت ترفع كف ضياء الأخرى ليطبع قبلة عليها ابتسم لها ضياء مجددًا قبل أن تصحبه هند وتسير باتجاه الطاولة تحت أنظار الآخر الذي تعلقت عينيه بخصلات الصغير السوداء المتراقصة مع خطواته.

نهض منصرفًا ليصطدم بإحداهن عندما التفتت فجأة، تراجع خطوة معتذرًا يطالع الأخرى مرتدية بنطال من الجينز الأسود الضيق يُفصل ردفين ممتلئين باعتدال وخصر نحيف يعلوه

قميص من الشيفون الأصفر يُظهر أسفله بلوزة باللون الأسود ملتصقة بجسدها تماما لتُظهر الصدر والظهر حتى المنتصف وتعكس بياض بشرة صاحبتها، ارتفع بصره لوجه ذلك الجسد المثالي ليواجه شفتين ممتلئتين بإغواء وعينين بلون البحر يُقسم أنهما عدستين لاصقتين وشعر مصبوغ باحتراف بين الأشقر والبني، ضيّق حاجبيه يحاول تذكر الوجه المألوف لتبادر هي بمد كفها تصافحه بسؤال:

. حسام القناوي؟

مد كفه بالمقابل يصافحها ويستفسر:

. أنا شفت حضرتك فين قبل كدة؟

ابتسمت تُعدل من خصلاتها وتذكره بنفسها:

. قوت

والاسم كان كافٍ تمامًا فتلك التي تصغره بأربعة أعوام كانت حديث الجامعة يومًا ما.

***

قضى عمره الفائت بين عمل ودراسة بحثًا عن مجهول لم يكن يدرك كنهه حتى اقترب منها ووجد اكتماله معها، تسللت إليه في غفلة منه كأخت ولم يدرك تشبع ذراته بحبها إلا عندما صارت بين ذراعيه زوجة فعرف معنى السكن

عندما سكنت أحضانه واليوم موعد توحدهما الذي انتظره منذ عزم على الاقتران بها، ارتدى حلة العرس السوداء مع رباط عنق أسود يناقض بياض قميصه المتماشي مع زهرة تيوليب بيضاء وحيدة زينت جيب سترته العلوي، ترك غرفته بالفندق الفاخر المقام به العرس وسار بالرواق المؤدي إلى جناح العروس، طرق باب الغرفة فتأخر الرد، بالداخل كانت الفتاة المكلفة بتزيين العروس قد وضعت اللمسات النهائية لريم، سمعن طرق الباب فتحدثت هدير المرافقة لريم: ـ دي أكيد ولاء مكلماني من ساعة وقايلة جاية

طُرق الباب مرة أخرى فتوجهت هدير لفتحه وهي تتوعد صديقتها للتأخير لتواجه رائد، ابتسمت بود وخرجت تسحب باب الغرفة خلفها بشبه انغلاق تمنعه عن رؤية عروسه بالداخل وهو اعترض لفعلها:

. عايز أشوف ريم

والشابة ترفع كفها أمامه وتتمسك بالباب معترضة طريقه:

. ما ينفعش دلوقت

ورائد لا يُجدي معه رفض ثبّت نظره على نقطة وهمية خلفها على الحائط وأشار لها بعدم الحركة

وكأنه رأى شيئًا، صوته المتحدث بهمس أثار الريبة بنفس هدير وهو يخبرها:

. صرصار بيطير أوعي تتحركي

والصغيرة انتفضت مبتعدة بذعر ليضحك رائد ويدلف للغرفة مغلقًا الباب خلفه ويشير بأصابعه للمخدوعة بعد أن اكتشفت مكيدته التي سقطت بها كأي فتاة غرة، دلف رائد يطالع ريم التي وقفت تواجهه عندما سمعت صوته، ذُهل لهيئتها الملكية فالثوب الستان بلون العاج يحتضن جسدها برقي ويعلوه خيوط من التطريز الفضي المطعم بأفرع أشجار تمتد على طول

الثوب من أسفله حتى تتفرع على الصدر والأكمام المصنوعة من الشيفون ليعكس قمحية بشرتها أسفله، الثوب الذي ينسدل حتى القدمين بشكل ملاصق لجسدها ويحوي تنورة خلفية تبدأ من الوسط وتتسع بتموجات حوله لتمتد للخلف بطول متر تمنحه مظهرًا أسطوريًا زاده تاج من أفرع الأشجار الفضية زين رأسها وانسدلت منه طرحة العرس القصيرة التي زادتها رقة ووقارًا، تقدم رائد بأعين مشدوهة يُمتع نفسه بما يرى وريم أخفضت نظرها خجلًا عندما

أمسك رائد بكلتا كفيها يرفعهما إلى شفتيه

فيطبع قبلة رقيقة على كل منهما:

. يا بختي بقى

رفعت ريم نظرها بسعادة وهو رفع ذراعها

يديرها دورة كاملة حول نفسها ليشاهد الثوب

بالكامل ليتوقف بصره على ظهر الثوب

المصنوع بالكامل من الشيفون مكتفيًا بأفرع

الأشجار المطرزة التي تحتضنه من الجانبين وصف

من الأزرار بلون العاج بالمنتصف لينطلق

اعتراضه:

. يا خبر أسود

صُدمت ريم وتوقفت تواجهه وتُضيق حاجبيها بغيظ وهدير التي دلفت مجددًا تدخلت في محاولة لإنقاذ الموقف:

. ماله يا باشمهندس بس

التفت إليها رائد وهو يكبح غيظه بصعوبة يكز على أسنانه فتبرز عظام وجنتيه:

. ماله! إيه الضهر ده

ثم التفت إلى ريم ولم يستطع التخلي عن عبثه الذي فهمته وحدها:

. وأيه كل الزراير دي؟

ابتلعت خجلها وردت ببعض تحد لم تعد تجيده أمامه:

. الفستان عجبني

مط رائد شفتيه بعدم رضا يعترف أن الثوب ملكي ويليق بها لكنه غير راضٍ:

. يعني إنتِ تقفلي الشبابيك قدام تفتحي المنور

وريم لم تتمالك نفسها من الضحك على كلمته بينما هو دس كفيه بجيبي بنطاله وأصدر أمره:

. مش هتنزلي كده

صدمت ريم لما تفوه به وعاد اعتراضها للطفو:

. يعني إيه وهعمل إيه دلوقت

رفع رائد كتفيه بعدم اهتمام وأجاب:

. معرفش اتصرفوا وغطوا الضهر ده

تقدمت هدير تحاول علاج الموقف باقتراح:

. ممكن نطول الطرحة تغطي الضهر

وهنا تدخلت الفتاة المختصة بالزينة باعتراض:

. ما ينفعش يا آنسة الفستان بديل الطرحة المفروض لحد الكتاف أو نص الضهر بالكتير

أمسكت هدير بكف ريم تعيدها لتجلس أمام المرآه وتؤكد:

. هنطولها لحد الوسط مش مشكله

ورائد قطع اعتراض الفتاة الأخرى التي ودت بالحديث فابتلعت كلماتها:

. أعملي اللي قالت عليه من سكات

حلت طرحة العرس وأعادت وضعها بشكل أطول مع الحفاظ على تموجاتها، ألقى رائد نظرة رضا نهائية ثم منح ريم ساعده لتتعلق كفها به:

. يالا على السيشن

تعلقت ريم بساعده والتفتت إلى هدير مستفسرة:

. ولاء اتأخرت قوي

والأخرى كانت بالأسفل بمدخل الفندق على موعد مع اصطدام على حين غرة عندما حاولت الدلوف إلى المصعد بينما كان أحدهم يحمل الكثير من الحقائب ويخرج دون انتباه لتصطدم به وينزلق كعب حذائها الرفيع في الفراغ بين المصعد والحائط كادت تسقط لينتبه الآخر يحيط بخصرها في دعم سريعًا ما تراجع عنه عندما نهرته:

. إيدك

رفع كفه باعتراض وهي حاولت استعادة توازنها وسحب حذاءها ليخرج دون كعبه الذي سقط إلى غير رجعة، أخفضت ولاء نظرها تطالع حذاءها الذي فسد وأفسد يومها ثم عادت بغضب للآخر الذي كان يلملم حقائبه المتناثرة بفعل الاصطدام:

. عاجبَك كدة!

ألقى الرجل نظرة إلى الحذاء ثم عاد إليها معتذرًا:

. آسف

والأخرى لم تعد تعرف كيفية التصرف بينما لا تستطيع السير بحذاء ونصف فصبت غضبها على من أمامها:

. هعمل إيه بأسفك؟ هحضر الفرح إزاي دلوقت ده أنا مش عارفة أمشي خطوة

تنحنح الرجل الذي لم يجد ما يستطيع تقديمه سوى عرض المساعدة:

. عربيتي قدام الأوتيل ممكن نروح نشتري واحدة تانية

تخصرت ولاء بكف وأشارت نحوه بسبابتها بغضب أكبر:

. عايزني أركب معاك العربية!

. إنتَ فاكرني إيه

والرجل لا يجد ما يقدمه أكثر أضاف بتوضيح:

. أنا قصدي بس أصلح اللي حصل

طالعته ولاء بشك، هيئته المحترمة لا تشي بشاب عابث، خصلات بنية قصيرة وعينين بلون البن يظهران أسفل عوينات طبية أكسبته وقارًا مع حلته الكحلي، هي لا تجد ما يمكنها فعله غير الاستعانة به فأومأت إيجابًا وسارت معه بعد إشارته المشجعة، وضع الأكياس التي يحملها بحقيبة السيارة وانتقل لمقعد السائق يشير للواقفة

جوارها بتوجس للركوب وولاء بعد تردد فتحت باب السيارة الخلفي لتركب تحت دهشته لكنه لم يعترض، وصلا لأقرب محل أحذية فهمّ بالنزول ليمنعه صوتها:

. استني؛ إنتَ فاكرني هخليك تشتري ليَ

توقف وعاد لمقعده وهي نزلت تعرج حتى المحل، دقائق وكانت تنتعل آخر وتسير بثقة بثوب سهرتها الكلاسيكي عائدة إلى مقعد السيارة الخلفي ليعودا حيث الفندق ويصف سيارته ويترجل سريعًا يلحق بالهاربة نحو بوابة الفندق يستوقفها:

. متعرفناش

مد كفه يصافحها بأدب:

. رائف

وهي نقلت نظرها بين وجهه وكفه بعدم رضا وتركته ودلفت للفندق تلحق بصديقتيها فقد تأخرت عليهما بسببه والآخر خلفها ينادي:

. يا آنسة، اسمك طيب، يا سندريلا

***

بقاعة العرس كان صوت صابر الرباعي يصدح

الليلة دي أنا ملكت الكون بحاله

ورياك إنت حبيبي أنا

ورائد يمسك بخصر ريم التي تستند بكفيها إلى

كتفيه يتمايلان مع أنغامها الساحرة

م اللحظة دي أنا هتتغير حياتي

وهتبقى أحلى مع حبنا

يفرد ذراعه ممسكًا بكفها لتفرد هي الأخرى

ذراعها وتدور لتعود بأحضانه مرة أخرى

حبيبي إنت وأنا بقينا قلب واحد

عقل واحد روحين في روح

يرفع ذراعه ممسكًا بذراع ريم للأعلى فتدور حول نفسها دورة كاملة ثم تعود بين ذراعيه مرة أخرى

حبيبي كل يوم هقولك يا حبيبي

هتفضل حبيبي مليون سنة

يلصق جبينه بجبينها وهو يأسر عينيها هامسًا بالكلمات التي اختارها بنفسه

خدني حبيبي لعالم تاني بعيد

في حياة وجديد أفضل معاك على طول

إنت اللي عشت حياتي منايا ألاقيه ومنايا

أراضيه

طول الحياة وفي هواه مشغول

يحملها من خصرها باحتضان ويدور دورة كاملة حول نفسه ثم ينزلها طابعًا قبلة على جبينها.

في طاولة جانبية كانت نسمة تجلس وحيدة تشاهد الحفل وقلبها يرقص معهما، اقترب فارس بخطوات متمهلة ليجاورها وكلمات الأغنية التي تتردد وتعبر عنه تدفعه دفعًا ربما نال ما عاش طويلًا يتمناه، ألقى بنظرة نحو لمى التي جاورت نادين ونور جوار المسرح الذي توسط

القاعة واعتلاه ريم ورائد وعاد بنظره إلى مالكة عقله وروحة وهي طالعته بفهم لمغزى نظراته، تشفق عليه من حب لا ترى جدواه له بينما هو متمسك بأمل يراه وحده دونها، همست بإجابة سؤاله الذي طرحته نظرته عليها:

. القرار صعب

ابتسم فارس بتشجيع يكمل:

. لكن مش مستحيل

هزت نسمة رأسها يأسًا منه:

. مش هقدر آخده

نظرات حنانه التي لا يكف عن إرسالها أربكتها

وهو يؤكد:

. هستناكِ لحد ما تاخديه

ملأت صدرها بالهواء وزفرته في محاولة لاستدعاء

صبرها، لماذا لا ييأس منها فقط ويتركها:

. ما أقدرش أوعدك

ومن عاش بحب يئس منه طويلًا لن ييأس الآن

وإن كانت تُجدد عدم قبولها في كل مرة:

.كفاية عليَ أكون قريب منك

صمتت وعادت لتشرد في رقصة شقيقها وصديقتها، فبين حاجة لمن تستند إليه للمتبقي من عمرها وعدم قدرتها على استبدال من لم تعرف غيره زوجًا تبقى هي ممزقة ولا تمتلك إجابة طلبه وحده الزمن قادر على ترجيح أي من الكفتين.

تمت بحمد الله

الرواية التي بدأت كفكرة وكُتب أول مشاهدها

في رمضان ١٤٣٧

يونيو ٢٠١٦

لتظل حبيسة رأسي حتى نُشر أول فصولها في

١٨ ديسمبر ٢٠١٩

وكُتبت آخر كلماتها في يوم الجمعة

١٨ سبتمبر ٢٠٢٠

٨ مساءً

كلمة

عن نسمة؛ نسمة لم تكن تلك البطلة التي خلقتها لأمنحها فرصة أخرى وإن تمنيت بداخلي أن أمنحها إياها ولكن نسمة هي كل امرأة معيلة سحقتها الحياة بين رحاها وأجبرتها على لعب دورًا لم يكن يومًا لها وهي كانت على قدر المسئولية رغم ما تتكبده لقاء ذلك

نسمة هي بائعة الخضروات التي نمر عليها كثيرًا دون معرفة القصة خلفها، هي ربة البيت التي انحنت خلف ماكينة حياكة، هي الموظفة التي خرجت لتعيل أبناءها أي كان السبب، فإن

التقيتم بإحداهن يومًا فاتركوا لهن القرار فكل نسمة منهن وحدها من تملك حق تقرير مصيرها فلن يحيا أحدٌ كان حياتها ليقرر عنها حتى أنا

في النهاية

قارئي العزيز

بين يديك قطعة أودعت بها جزءً من روحي

أرجوا أن تتقبلها بقبول حسن

هبة ندا

وإلى اللقاء في

بذور الماضي